

# الوصايا

## العرفانية والأخلاقية

تأليف  
الباحث والمحقق  
الشيخ عباس أمين حرب العاملي



دار المحجة البيضاء

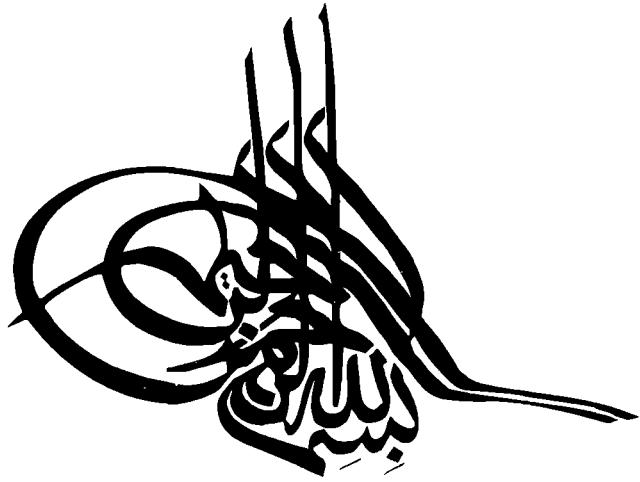
مكتبة  
مؤمن قريش  
www.muhammadqurshid.com





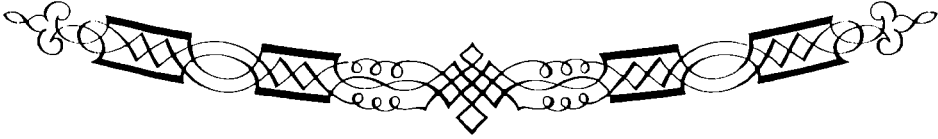
## الوصايا العرفانية والأخلاقية







# الوصايا العرفانية والأخلاقية



عند علماء العرفان والأخلاق

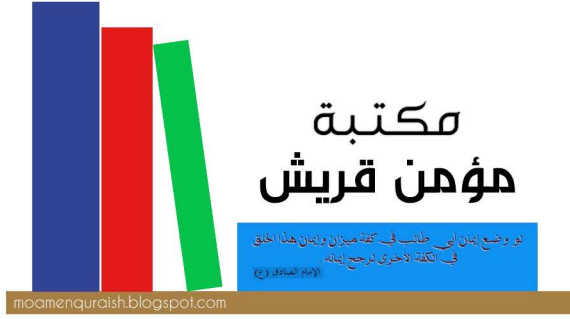
- العارف الإمام روح الله الخميني رحمته الله
- العارف آية الله محمد تقي بهجت رحمته الله
- العارف الجليل السيد محمد حسين الطباطبائي رحمته الله
- العارف الجليل حيدر الأملي رحمته الله
- العارف الجليل جواد الملكي التبريزي رحمته الله

تأليف

الباحث والمحقق

الشيخ عباس أمين حرب العاملي

دار المحجة البيضاء



جميع الحقوق محفوظة  
الطبعة الأولى  
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

إخراج

حسن ملني ٧١ / ٧٣٥١٣٦

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: [almahajja@terra.net.lb](mailto:almahajja@terra.net.lb)

[www.daralmahaja.com](http://www.daralmahaja.com) info@daralmahaja.com



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين إلى يوم الدين.

وبعد...

من حق أي مسلم أن يسعى لبلوغ حياة أفضل، غير أن مفهوم الحياة الأفضل يختلف من شخص لآخر تبعاً لعوامل عديدة: فمن الناس من يرى أن الحياة الأفضل تتحقق بالمال من ذهب وفضة وعقار وغير ذلك من حطام الدنيا الفانيا.

وكل هؤلاء قد نسوا أن الله تعالى أكد غير ذلك فقال: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَابِ﴾ (١)، إذاً فهناك ما هو أكمل سعادة ونعيماً للإنسان، وقد جاء به الدين الإسلامي وأشار إليه تعالى بقوله: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَابِ﴾ (٢)، ترى ما يكون ذلك الذي خير من المال والقناطير الذهب والفضة، ولمن أعده الله تعالى..

إذا هذا هو المفهوم الحقيقي والصادق للحياة الأفضل، نعم خالق الإنسان أعلم منه وأبصر بها هو أنفع له وأدوم وأعظم من هذه المشتهايات الزائلة والمحدودة والتي لا تبقى ولا تدوم ولا يؤخذ منها شيء عند الموت كما هو حال من تزود من هذه الدنيا بالتقوى والورع والسلوك الرباني حيث أدخر له الله عز وجل نعيماً لا يزول ولا يبلى، خصه للمتقين ولم يجعله مشاعاً للجميع.

نعم فإن الاسلام دين الله الخاتم، وشريعته الأخيرة للبشرية جمعاء في كافة أقطارها، على مدى عصورها وأزمانها، وقد جاء هذا الدين لينقذ البشرية من الجهل، ويخرجها من ظلماته إلى نور العلم والهدى، فكان الحث على العلم وبيان قيمة العلماء من المعالم البارزة في القرآن الكريم وكلام أئمة الدين، وقد ورد في القرآن الكريم ما يزيد على ٧٥٠ آية في العلم ومشتقاته، من مدح العلماء، وحث على

(١) آل عمران: ١٤.

(٢) آل عمران: ١٤.



طلب العلم، وبيان لأهمية العلم في حياة الإنسان، ويكيفك منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٢) أما ما أثر عن النبي الأكرم وأهل بيته الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في هذا الباب فهو أكثر من أن يُحصَر، وما على طالبه إلا أن يمدّ يده إلى أقرب كتاب حديثي إليه فسيجد فيه فصلاً بل فصولاً في الإشادة بالعلم والعلماء، وسيمرّ عليك في أثناء هذا الكتاب من ذلك الشيء الكثير.

هذا في اهتمام قادة الإسلام بالعلم بجميع شعبه وفنونه.

أما علم الحديث الشريف فهو علم إسلامي بحث نشأ ونما وآتى أكله ليحفظ لنا أقوال المعصومين عليهم السلام التي هي بيان وتفسير للقران الكريم، وهدى إلى سعادة الدنيا والاخرة، فيها جميع ما يحتاجه الإنسان لتكميل نفس هو عمارة دنياه وسعادة أخراه، ولهذا العلم الشريف في نفس المؤمن والسالك سهم كبير ومكان عال، فالعلوم الأخرى من تفسير وفقه وعقائد وتوجه وسلوك عرفاني ومواعظ أخلاقية تعتمد عليه وتستمد منه، فهو الصدر الأول للمفسر والفقهاء والمتكلم والعارفين... وهو علم تتميز به الأمة

(١) الزمر ٣٩ : ٩

(٢) فاطر ٣٥ : ٢٨

الاسلامية عن بقية الأمم، حيث حفظ هذا العلم الشريف جميع كلام النبي الأكرم وآل بيته الطاهرين وإخبارهم عن الله تعالى وما يتعلق بسيرهم وحياتهم، وحفظ لنا إضافة إلى هذا الصحيح من كلام الأنبياء السابقين عليهم السلام... مما لا نجده عند أتباع الديانات الأخرى.

وقد أتعب علماء المسلمين أنفسهم في نقل الحديث الشريف وحفظ أسانيده، ووضعوا له علماً مستقلاً يضبط أصوله وفروعه أسموه علم دراية الحديث.

وكان أن نبغ عباقرة ثقات حفظوا هذا العلم للأمة، وكان منهم من يحفظ مئات الألوف من الأحاديث بأسانيدها. وهذا الكتاب قمت بتأليفه وجمع طائفة مفيدة قيمة من محاضرات وكتابات لأبرز علماء العرفان والأخلاق وقد فصلته إلى سبعة فصول، ذكر في كل فصل منها مجموعة من القصص العرفانية والأخلاقية.

فكان الفصل الأول: هو عبارة عدة كتابات ومقالات قمت بكتابتها على مراحل وهي: الشباب وعلم العرفان والقراءات الروحية والغيبية.

**الفصل الثاني:** برامج للسالكين على درب العرفان وهي رسالة العارف الشيخ محمد حسين الاصفهاني المعروف باكمباني، ورسالة فخر المجتهدين وسند العارفين الميرزا جواد الملكي رحمته الله.

**الفصل الثالث:** مقتطفات من مواعظ العارف الميرزا جواد الملكي رحمته الله.

**الفصل الرابع:** مقتطفات من مواعظ آية الله العظمى الشيخ محمد تقي بهجت رحمته الله.

**الفصل الخامس:** مقتطفات من الأسئلة والإجابات آية الله العظمى الشيخ محمد تقي بهجت رحمته الله.

**الفصل السادس:** رسالة في فلسفة الأخلاق والمذاهب الأخلاقية وأروع ما قام بتفسيره الفيلسوف الإسلامي السيد محمد حسين الطباطبائي رحمته الله.

**وأخيراً أقول:** أن التارك للدنيا الزاهد فيها مثله كمثل الشمعة التي تحرق نفسها لتضيء الدرب للآخرين.

وهنا نصيحة أمير المؤمنين الإمام علي الطويلة لكميل التي يقول في فقرة منها: «يا كميل، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق،

وصنيع المال يزول بزواله».

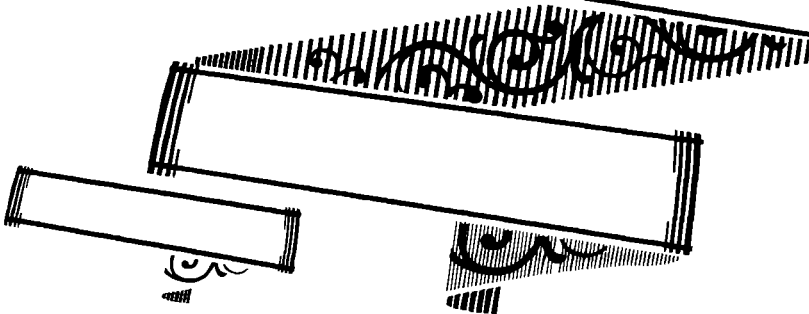
ثم يقول الإمام عن أهمية القرآن في حياة المسلمين فيذكر: «قراءة القرآن أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الصدقة، والصدقة أفضل من الصيام، والصوم جنة من النار»، ثم يقول: «المؤمنون مصفرة وجوههم من خشية الله، وألوانهم متغيرة، وبطونهم خميصة اتخذوا الأرض فراشاً، والتراب بساطاً، والماء طيباً، والقرآن شعاراً، والدعاء دثاراً»، ويعقبه أمير المؤمنين فيقول: «فيا عجباً لمن يطلب الدنيا بذل النفوس والتعب، ولا يطلب الآخرة بعز النفوس والراحة؟!»

ويقول سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عن صفات المؤمن وخلالها الحسنة فيذكر أحاديث منها:  
«من سرته حسنته، وساءته سيئته فهو مؤمن».


والحمد لله رب العالمين

## الفصل الأول

- ١ \_ الشباب وعلم العرفان والقراءات الروحية والغيبية.
- ٢ \_ حقائق مهمة عن عالم الغيب وقضايا الروح.
- ٣ \_ ظهور المعاني العينية والحقائق الغيبية.
- ٤ \_ تحليل دوافع النزوع الروحي عند الشباب
- ٥ \_ حقائق لا بد أن يعيها الشباب في سيرهم التكاملي.
- ٦ \_ تصحيح الدوافع الخاطئة في التوجه الروحي عند الشباب.
- ٧ \_ الشباب وعالم الأحلام والرؤى.







## الشباب وعلم العرفان والقراءات الروحية والغيبية

ستحدث عن علم العرفان وعن طريقة العرفاء في استحصال المعرفة، وحديثنا في هذه الكلمة عن العرفان بصورة خاصة وعن الكتابات والتأجات الروحية والغيبية بصورة عامة ينطلق من إحساسنا المتزايد بضرورة تصحيح المسار الكلي الذي يتعامل شبابنا المسلم من خلاله مع القراءات الروحية والغيبية التي كثر الاقبال عليها ولاسيما من قبل الشباب في الفترة الأخيرة، وبالأخص بعد تنامي حركة الصحوة الإسلامية والعودة إلى الدين التي شهدتها مجتمعاتنا الإسلامية مع بدايات عقد الثمانينات من القرن العشرين الميلادي.

إذ مما يؤسف له أنه قد تولدت عند شبابنا المسلم رغبة جامحة في قراءة ومتابعة الكتابات الروحية والتي تعني بقضايا النفس والروح وكل ما يرتبط بالغيبيات من قريب أو بعيد، وموقع الخطأ في هذه القراءات الشابة أنها ما كانت تميز في كثير من الأحيان بين الغث والسمين في هذه الكتابات، ولا بين الكتابات التي تتعامل مع القضايا الروحية والمسائل الغيبية بجد ووعي وإدراك لجميع أبعاد تلك القضايا والمسائل، والتأثيرات السلبية التي يمكن أن ينتجها التعامل الخاطئ مع هذه القضايا والمسائل وبين الكتابات التي تبتعد عن الواقعية والموضوعية في طرح ومعالجة قضايا الروح والنفس الإنسانية ولا تلتفت إلى الانعكاسات السلبية التي يمكن أن يولدها التصوير المشوه والمبتور لقضايا النفس والروح الذي تقدمه ههنا الكتابات، ومن المهم التنبيه على أن المسئلة في واقعها كانت ذات بعدين، فمن جهة كانت هناك مثل هذه الكتابات الأخيرة التي لم يكن يهمها إلا أن تقدم ما يثير القارئ ويستجلب نظره من دون أن تحاول دراسة واستقصاء التأثيرات البعدية التي تركها قراءة الكتاب على نفسية الشاب وتفكيره وطريقة تعامله مع الناس والحياة، والتي كانت في أغلب الأحيان تأثيرات سلبية وغير محمودة.



ومن جهة أخرى كان الشاب المسلم يقبل على هذه الكتابات بشغف ونهم من دون أن يكون واعياً للمخاطر النفسية والفكرية والسلوكية التي يمكن أن يولدها التعامل الخيالي واللاواقعي مع القضايا الغيبية والروحية الذي يقع فيه الشاب نتيجة اقباله الكلي على قراءة ومتابعة هذه الكتابات، ولا يتصور الشاب المسلم الذي يعشق هذه الكتابات ويقبل عليها لأنه يجدها تنسجم وغاية الإسلام في ربط الإنسان بخالقه وتوثيق علاقته الروحية به، إننا نريد أن نقلل من أهمية القراءات الروحية التي يمكن أن تساهم أو من المحقق أنها تساهم في بناء وتنشيط البعد الروحي عند الإنسان في علاقته بالله وبالعالم الآخر، ولكن ما نريد قوله: إنه ليس كل الكتابات التي تتناول وتثير القضايا الغيبية والروحية ينبغي للشباب قراءتها، لأنه من الملاحظ أن هذه الكتابات على قسمين كما أشرنا إليه من قبل: قسم يعالج قضايا الروح والغيب برؤية سحرية كما نشاهده في الكتابات التي تعني بقضايا الطلمسات والسحر واستحضار الأرواح والجن، وما شابه ذلك وشاكله، ومن الملاحظ والمجرب في سيرة الكثيرين ممن كانوا يقبلون على مثل هذه الكتابات الاغراق في الاهتمام بهذه القضايا ومحاولة تصيرها وسيلة للقفز على مشاكل الواقع الحياتي والتغاضي عن ضرورة حدها بالطرق الطبيعية والمتعارفة، ولا ننسى بالإضافة إلى ذلك الاستفادة السيئة التي يستفيدها البعض من المستغلين والانتهازيين من مثل التعامل مع الغيب والغيبات بهذه الصورة وضمن هذا المجال وقسم آخر

يعالج قضايا الروح والغيب باعتبارها أمور ترتبط كل الارتباط بالنفس الإنسانية في سيرها الصعودي والتكاملي إلى الله سبحانه وتعالى.

وفي هذا المقام يبرز علمان في الوسط الإسلامي كان لهما الدور الأكبر في الاعتناء بالقضايا الروحية والمسائل الغيبية وهما علم العرفاء وعلم التصوف، ولأننا نشعر بحصول وتواجد الكثير من الملاحظات عند شبابنا المسلم في فهم ووعي هذين العلمين، ولا سيما الأول منهم أعني علم العرفان الذي حظى باهتمام واسع من قبل الشباب على أثر انتصار الثورة الإسلامية في إيران وانتشار الفكر العرفاني لقائدها العظيم الإمام الخميني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فإننا سنحاول أن نقدم لمحة مختصرة عن كلا العلمين مع إيضاح وبيان الملاحظات الفعلية التي تكتنف التعامل مع هذين العلمين من قبل الكثير من الناس وبالأخص شبابنا المسلم، وسنسعى أيضاً لاكتشاف الرؤية الإسلامية في نقد وتقييم كلا العلمين.

فنقول بالنسبة إلى علم العرفان انه علم اعتنى بالجانب الروحي في الإسلام باعتباره البعد الأساس الذي ما جاءت ونزلت الأديان الإلهية إلا من أجل تنميته وتركيزه وتذكير الإنسان به، وابتداءً يحدد العرفان موضوعه بأنه الله والمعرفة بذاته وصفاته وأفعاله معرفة شهودية لا تتم للإنسان إلا من خلال مجاهدة النفس وتزكيتها وتطهيرها وتأديبها بآداب الشريعة ورسومها.

وبعد ذلك يقسم العرفان إلى عرفان نظري وعرfan عملي، والقسم الأول يهتم ببحث ودراسة العديد من المسائل أهمها البحث في حقيقة التوحيد ومراتبه وإنقساماته إلى توحيد ذاتي، وتوحيد صفاتي، وتوحيد أفعالي، والبحث في حقيقة النفس وتجربتها، ومراتب السير والسلوك إلى الله، والبحث عن العلاقة بين الشريعة والطريقة والحقيقة وهي ثلاث تسميات يرمز.

الأولى: منها إلى الفقه والأحكام الشرعية.

الثانية: إلى الآداب التي يلزم مراعاتها من قبل السالك إلى الله.

الثالثة: إلى المعاني والمعارف التي يتوصل إليها الإنسان من خلال سعيه التكاملي والروحي، وربما عبر بعض العرفاء عن هذه التسميات الثلاث بالفقه الأصغر والفقه الأوسط والفقه الأكبر.

ويبحث في العرفان النظري أيضاً عن ظاهر الشريعة وباطنها وعن حدود العلاقة بين الظاهر والباطن.

وأما القسم الثاني: من العرفان وهو العرفان العملي فهو يعني بتحديد البرنامج العملي للإنسان السالك إلى الله، من حيث الآداب التي ينبغي التزامها والوظائف والأذكار والأوراد التي يلزم مراعاتها، ومن خلال ذلك يتبين لنا أن العرفان بقسميه النظري والعملي لا يعدو أن يكون في حقيقته وواقعه أكثر من جنبه من جنات الدين، التي أوليت عناية خاصة ومتميزة من قبل علماء

العرفان لكونها هي الجنبه الرئيسيه في الخطاب الديني الإلهي الذي لا يبتغي من وراء تشريع الأحكام على الإنسان وتكليفه بها إلى تطهير ذاته من كل ما سوى الله وجعل الإنسان متحققاً بحقيقة العبودية المطلقة لله وَعَلَىٰ، إنطلاقاً من قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَيُلِيَّتُمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٦﴾ (١).

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ (٢).

وبعد هذا لا بد أن نشير إلى أن العرفان يعتبر طريقاً من طرق المعرفة الدينية في مقابل العقل والوحي، إذ العرفان يقوم أساساً على الإيمان بأن الوصول إلى معرفة الحقائق الدينية على وجهها الواقعي والصحيح إنما يتيسر للإنسان بطريق المجاهدة وتركية النفس، وهو ما يفهم من قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَنْقُوْا اللَّهَ يَجْعَل لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ ﴿٣﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْتَقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ ۚ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ۚ وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ۚ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٢٨﴾ (٤).

(١) سورة المائدة: الآية ٦

(٢) سورة الذاريات الآيات: ٥٦ - ٥٧

(٣) سورة الأنفال: الآية ٢٩

(٤) سورة الحديد: ٢٨ الآية

أما العقل فهو طريق معرفي يعتمد الدليل البرهاني وسيلة أصلية لإثبات المطالب وتقرير الحقائق، والوحي طريق معرفي يعتمد التلقي المباشر من الله وسيلة لتقرير وإثبات الحقيقة الدينية، ومرادنا من الوحي في هذا المقام الوحي بمعناه الخاص الذي يعني الإنباء والإخبار عن الله تعالى.

وحيثما نقول أن العرفان طريق معرفي يقابل العقل والوحي فهذا لا يعني كما يتصور الكثيرون أنه يضادهما ويخالفهما بل يعني أنه رتبة من رتب استجلال الحقيقة كما أن العقل والوحي كذلك، ومما لا خلاف فيه بين جميع أهل الديانات والرسالات السماوية أن الوحي هو المصدر الأول والأساس للتعرف على الحقائق الدينية والغيبية، وإنما حصل الخلاف بين الفلاسفة المشائين والحكماء الأشراقين في تقديم الطريق البرهاني العقلي على الطريق العرفاني الذوقي أو العكس.

فقال الفلاسفة العقليون بتقديم البرهان على العرفان وقال الحكماء الذوقيون بتقديم العرفان على البرهان، وصار لكل واحد منهم حججه وبراهينه، وهذا النزاع يعتبر من المشاكل المعرفية والمهمة في تاريخ الفلسفة، ولا نستطيع أن نستقصي الكلام عنه وفيه في هذا المقام لأنه يحتاج إلى بحث موسع مستقل ونحن إنما أردنا فقط أن نقدم لشبابنا المسلم تعريفاً مختصراً عن موضوع علم العرفان وطريقة العرفاء في استحصال المعرفة، وأما بالنسبة إلى كيفية



إطلاع النفس على الحقائق الغيبية والمعارف الإلهية من خلال هذا الطريق فيوضحه لنا فيلسوف الإسلام الراحل العلامة الطباطبائي حينما يشرح الاختلاف الواقع في كيفية إيصال هذا الطريق إلى المعرفة بقوله: «فمنهم من قرره على أن العلوم الإنسانية فطرية بمعنى أنها حاصلة له، موجودة معه بالفعل في أول وجوده، فلا جرم يرجع معنى حدوث كل علم له جديد إلى حصول التذكر.

ومنهم من قرره على أن الرجوع إلى النفس بالانصراف عن الشواغل المادية يوجب انكشاف الحقائق لا بمعنى كون العلوم عند الإنسان بالفعل بل هي له بالقوة وإنما الفعلية في باطن النفس الإنسانية المفصولة عن الإنسان عند الغفلة الموصولة به عند التذكر، وهذا ما يقول به العرفاء واهل الإشراق وأتراهم من سائر الملل والنحل. ومنهم من قرره على نحو ما قرره العرفاء غير أنه اشترط في ذلك التقوى واتباع الشرع علماً وعملاً كعدة من المسلمين ممن عاصرناهم وغيرهم زعماء منهم أن اشتراط اتباع الشرع يفرق ما بينهم وبين العرفاء والمتصوفة، وقد خفى عليهم ان العرفاء سبقوهم في هذا الاشتراط كما يشهد به كتبهم المعتمدة الموجودة»<sup>(١)</sup>.

(١) الطباطبائي - محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن ٥: ١٦١ - ١٦٢

ويؤكد العلامة السيد الطباطبائي تذ على أنه لا مجال لانكار حصول المعارف الإلهية عن طريق مجاهدة النفس وتزكيتها، والذي يثمر قرب العبد من ربه ودخول الإنسان في حظيرة الولاية الإلهية، حينما يقول: «نعم هاهنا حقيقة قرآنية لا مجال لانكارها، وهو أن دخول الإنسان في حظيرة الولاية الإلهية، وتقربه إلى ساحة القدس والكبرياء يفتح له باباً إلى ملكوت السماوات والأرض يشاهد منه ما خفى على غيره من آيات الله الكبرى، وأنوار جبروته التي لا تطفأ عن الإمام جعفر الصادق قال: «لولا أن الشياطين يحومون حول قلوب بني آدم لرأوا ملكوت السماوات والأرض»<sup>(١)</sup>، وفيما رواه الجمهور عن النبي ص قال: (لولا تكثير في كلامكم وتمريج في قلوبكم لرأيتم ما أرى ولسمعتم ما أسمع)<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، ويدل على ذلك ظاهر قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾<sup>(٤)</sup>.

حيث فرع اليقين على العبادة.

(١) سفينة البحار ج ٥ ص ٣٤٥

(٢) السيرة الحلبية - لابن هشام ج ١ ص ٣٢

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٦٩

(٤) سورة الحجر: الآية ٩٩

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ (١).

فربط وصف الإيقان بمشاهدة الملكوت.

قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ نَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ  
الْجَحِيمَ ﴿٦﴾﴾ (٢).

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ  
﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ (٣).

ومع اعتقاد العرفاء الراسخ بإمكانية توصل الإنسان إلى المعرفة  
من خلال هذا الطريق، إلا أنهم كانوا يؤكدون على صعوبة سلوك  
هذا الطريق لكثرة المؤهلات والخصوصيات التي يحتاجها سالك  
هذا الطريق، بالإضافة إلى كثرة الإشتباكات التي تقع في سلوك  
هذا الطريق والتي قل من ينجو منها ممن سلكوا هذا الطريق.

(١) سورة الأنعام: الآية ٧٥

(٢) سورة التكاثر: الآية ٧


(٣) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ٥: ٢٧٠ - ٢٧١



ومن تلك الإشتباهات العظيمة التي يقع فيها الكثير ممن يميلون إلى العرفان، والتي طالما حذر من الوقوع فيها أكثر العرفاء، محاولة الإطلاع على كتب العرفان وقراءتها بصورة شخصية ومن دون الإستعانة في فهمها ودراستها بأهل هذا الفن، وهذا الخطأ والإشتباه قدر لكثير من شبابنا المسلم الوقوع فيه نتيجة إقبالهم على قراءة هذه الكتب التي وضعت للمتخصصين من أهل هذا الفن، ولاسيما بعد انتصار الثورة الإسلامية المباركة في إيران وإنتشار الكتابات العرفانية لزعيمها الراحل الإمام الخميني رضي الله عنه.

ومن هنا نريد أن نذكر شبابنا المسلم - في ختام حديثنا عن العرفان على ضرورة الالتفات إلى هذا الامر والرجوع إلى إنسان مطلع وخبير في ما ينبغي أن يقرئه الشباب وما لا ينبغي أن يقرئه، ولاسيما في مثل هذه الكتابات التي يولد الفهم الخاطئ لمقاصدها الكثير من المشاكل والأزمات الفردية والاجتماعية، وأما بالنسبة إلى علم التصوف والذي يعتبره البعض من المفكرين الإسلاميين الجنبه الاجتماعية في العرفان، كما أن العرفان الجنبه النظرية للتصوف، فإن الحديث عنه لا يعدو أن يكون نفس الحديث المتقدم عن العرفان، غاية الأمر أن الملابس التاريخية التي أحاطت بعلمي العرفان والتصوف كانت أكثر ما تنشأ من الأفكار والسلوكيات المثيرة التي بناها من تسموا بـ: «المتصوفة» أو «الصوفية».

وهذه الأفكار والسلوكيات المثيرة والتي كانت في كثير من الأحيان تصطدم بالشريعة ومشاعر المسلمين الدينية كان بعض المتصوفة يقع فيها نتيجة عدم نضوج وإكتمال الجانب العلمي والمعرفي عند هؤلاء المتصوفة، وهو الجانب الذي أكد عليه أشد التأكيد بعد ذلك العرفاء من خلال تقييمهم ونقدهم لإشتمات المتصوفة العلمية والعملية، ومن خلال هذا الحديث السريع والمقتضب عن كل من العرفان والتصوف اتضح لنا أن هناك الكثير من الملاحظات التاريخية والمعرفية والشرعية التي تحيط بهذين العلمين، والتي تجعل من مهمة التمييز بين الحق والباطل والصواب والخطأ فيهما مهمة عسيرة لا يقدر على القيام بها إلا القليل من الناس ممن أستوعبوا كل المسائل والإثارات المرتبطة بهذين العلمين، وجميع المداخلات التي تتعلق بالمسارات المختلفة لهذين العلمين في أبعادهما وانعكاساتها التاريخية والاجتماعية والدينية.



## حقائق مهمة عن عالم الغيب وقضايا الروح

يستأثر التفكير في القضايا الروحية والغيبية اهتمام الكثير من الناس، بل يمكن القول أنه ما من أحد من الناس إلا وجال فكره وخاطره في ما وراء عالمنا المادي هذا من حقائق وموجودات، غاية الأمر أن اشتغال الإنسان بتدبير أمور حياته ومعاشه اليومي يصرفه عن إدامة النظر وإطالة التفكير في ما هو غائب عن حواسه الخمس، ولكن مع ذلك، فإن هذا الاشتغال والتعلق بالعالم المادي الدنيوي لم يمنع كثيراً من الناس من محاولة التعرف على ما وراء الغيب، وربما يدفع الإنسان إلى هذه المحاولة الرغبة في استكشاف المجهول، وهي رغبة تظل تلح على الإنسان وتؤرقه مادام المجهول مجهولاً بالنسبة إليه.

وإذا ما أردنا أن نستكشف العوامل التي تحفز الإنسان المؤمن بالغيب والمعتقد بوجود عالم آخر وراء هذا العالم المادي المحسوس للإهتمام بكل القضايا الغيبية والوجودات الماوراء طبيعية، فإننا لن نحتاج إلى مزيد عناء وتعب في التعرف على هذه العوامل ووضع اليد عليها، وذلك لأننا سنعثر بالإضافة إلى العوامل المشتركة بين عموم الناس على عوامل خاصة ينميها ويأصلها نفس المعتقد الديني للشخص المؤمن بعالم الغيب وما وراء الحس والطبيعة، إذ من الملاحظ أن كل الأديان حتى التي كانت من صنع البشر وإبتداعهم - بإستثناء المعتقدات الإلحادية التي كانت تنكر وجود الخالق ووجود عالم آخر غير عالمنا المادي هذا وهي نادرة تمثل حالات استثنائية من الشذوذ العقلي والفطري لا يمكن التعويل عليها والالتفات إليها كان الإيمان بالغيب والغيبات يحتل مجالاً واسعاً من أفقها الفكري والعقدي.

إذن الإهتمام بالعنصر الغيبي ونعني به ما لا يدرك بالحواس الخمس سواء كان هو الله ﷻ، أم الجن، أم الملائكة والأرواح، أم الجنة والنار، أم غير ذلك من الموجودات الغيبية، لم يكن وليد فترة زمنية معينة من حياة الإنسان وتاريخه، ولا سيما إذا أضفنا إلى ما تقدم الكثير من الظواهر الغيبية التي كان يشاهدها الإنسان أو يستشعر تأثيراتها من دون أن يستطيع العثور على أسبابها وعللها الحقيقة، كالسحر والمعجزات والحسد والعين والتخاطر من بعد

وخوارق العادات، وغيرها من الظواهر التي قد ينكرها بعض الناس ولا يؤمنون بها، ولكن كثيراً من الناس - إن لم يكن أكثرهم يؤمنون بها وبوقوعها، أو على أقل تقدير لا يستبعد إمكانية وقوعها وتحققها.

فهذه الظواهر وتلك الغيبات كانت دائماً تشغل بال الإنسان وتسترعي إنتباهه، وتدفعه لمحاولة التعرف عليها من قرب والتوصل إلى مجاهيلها وأسرارها بطريق أو آخر، وهذا كان يدفع عدداً غير يسير من الناس للدخول في ممارسات عملية قد لا تكون مستقيمة ومرتنة تلبية للرجبة الجامحة التي تثيرها عند الإنسان فكرة الاتصال بالمجهول والارتباط بالعالم الغيبي، وفي كلمتنا هذه نحاول أن نقدم لشبابنا المسلم بعض الحقائق والتصورات المهمة عن عالم الغيب وقضايا الروح، مستهدفين من ذلك رفع بعض الغموض الذي يلف القضايا الغيبية ويحولها إلى قضايا يتعامل معها الكثير من الناس من موقع التخبط والإهتزاز الفكريين والسلوكيين.

وسنحاول تقديم هذه الحقائق وتلك التصورات من خلال النقاط الأربع التالية:

👉 النقطة الأولى: ضرورة الإيمان بالغيب:

من السمات البارزة التي يذكرها القرآن الكريم للمؤمنين هي إيمانهم الراسخ بعالم الغيب فيقول تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ (١).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾ (٢).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ (٣)، وتذكيرنا بهذه الحقيقة يأتي من أجل لفت النظر والتنبيه على أن الإنسان مادام في هذه الدنيا فإنه تبقى كثير من الأمور بالنسبة إليه في نطاق الغيب ومجاله، ومهما أوتي الإنسان من سعة علم ومعرفة فإن معرفته في أكثر الأحيان لا تتعدى حدود المعرفة الظاهرية والسطحية للأشياء، وهذا يستلزم من الإنسان أن لا يعجب بما وصل إليه من علوم ومعارف، وأن يعي كل الوعي أن

(١) سورة البقرة: الآيات ١ - ٣

(٢) سورة يس: الآية ١

(٣) سورة الملك: الآية ١٢

فوق كل ذي علم عليم، وهذه الأمور هي التي يذكرنا بها القرآن حينما يقول تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

قال تعالى: ﴿ وَقَوْفَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢).

قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٣).

قال تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٤).

قال تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥).

وهذه الآيات وغيرها تدفعنا لتفويض أمر الغيب والعلم به بكل تفاصيله إلى الله لأنه قال تعالى: ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (٦).

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٦

(٢) سورة يوسف: الآية ٧٦

(٣) سورة الروم: الآية ٧

(٤) سورة الإسراء: الآية ٨٥

(٥) سورة يوسف: الآية ٢١

(٦) سورة النمل: الآية ٦٥

وقد أخبرنا جل شأنه بأنه لا يطلع أحدا على الغيب إلا من شاء من رسول أو نبي فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٩) ﴿١﴾.

ولذا فإن عباد الله الصالحين يرجعون العلم بالغيب إلى الله، وهذا ما يحكيه القرآن حينما يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (١٠٩) ﴿٢﴾.

وما نريده من إثارة هذه الأمور المتقدمة والتي ربما تكون معلومة عند الكثير منا هو تنبيه شبابنا المسلم على ضرورة التطلع إلى الغيب وما وراء عالم المادة والطبيعة ولكن من موقع الرغبة في توثيق العلاقة بين العبد وربّه، لا من موقع التفكير في الاستئثار بمعلومات ومعارف غيبية يشكل العلم بها إمتيازاً نفسياً للإنسان وذلك لأن الإسلام لا يعطي للعلم قيمة مجردة عن العمل، وإنما العلم يراد له أن يكون مقدمة للعمل ووسيلة لتحقيق الإنسان بحقيقة العبودية، وكثيرون أولئك الذين حجبهم علمهم عن الله لأنهم لم يعوا أن العلم إنما هو المنزل الأول من منازل السلوك إلى الله، وانه لا ينبغي للسالك إلى الله التوقف عنده والإكتفاء به بل يلزمه تجاوزه إلى منازل القرب الأخر.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٧٩

(٢) سورة المائدة: الآية ١٠٩



وفي ذلك يقول الإمام الخميني قدس سره: «فسالك طريق الحقيقة ومسافر سبيل العبودية إذا قطع هذا المنزل بالسلوك العلمي وركب مركب السير الفكري يقع في حجاب العلم ويصل إلى المقام الأول للإنسانية»<sup>(١)</sup>.

ولكن هذا الحجاب من الحجب الغليظة وقد قالوا: العلم هو الحجاب الأكبر، ولا بد للسالك أن لا يبقى في هذا الحجاب وأن يخرقه ولعله إذا أقتنع بهذا المقام وسجن قلبه في هذا القيد يقع في الإستدراج، والإستدراج في هذا المقام هو أني يشتغل بالتفريعات الكثيرة العلمية ويجول فكره في هذا الميدان، فيقيم لهذا المقصد براهين كثيرة فيحرم من المنازل الأخر ويتعلق قلبه بهذا المقام ويغفل عن النتيجة المطلوبة وهي الوصول إلى الفناء في الله ويصرف عمره في حجاب البرهان وشعبه وكلما كثرت الفروع يصير الحجاب والاحتجاب عن الحقيقة أكثر.

فلسالك أن لا يغتر بمكايد الشيطان في هذا المقام ولا يحتجب بكثرة العلم وغزارته، ولا بقوة البرهان عن الحق والحقيقة ويتأخر عن السير في الطلب وله أن يشمر الذيل بهمته، ولا يغفل عن الجد في طلب المطلوب الحقيقي حتى ينال المقام الثاني، وهو أن كل ما أدركه عقله بقوة البرهان والسلوك العلمي يكتبه بقلم العقل على

(١) الوصايا العرفانية - الإمام روح الله الخميني قدس سره.



صحيفة قلبه كي يوصل ذل العبودية وعز الربوبية إلى القلب ويفرغ من القيود والحجب العلمية».

### 👉 النقطة الثانية: حقيقة العالم الغيبي:

أكثر الناس تؤمن بوجود عالم غيبي يختلف في خصائصه ومميزاته عن عالمنا المادي الذي نعيش فيه ونشعر به بالفعل، ومنذ أن خلق الله تعالى الإنس ان خلقه بجنبة روحية يتطلع من خلالها إلى العالمين الغيبي والروحي، وقد أشار تعالى إلى البعد الروحي الذي يتمتع به الإنسان حينما قال تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ ۝٩ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝١٠﴾ (١).

ومن خلال الجنبة الروحية كان الإنسان على الدوام يسعى للتعرف على حقيقة العالم الغيبي الذي يشعر الإنسان بأن روحه ونفسه تنتمي إليه وتشتاقان للارتباط به، وقد كانت مهمة الأديان السماوية هي ربط الإنسان بهذا العالم وتوثيق علاقته به من خلال الافصاح عن بعض حقائق هذا العالم وموجوداته، وربما وفق البعض من الناس كالفلاسفة والحكماء الإلهيين من خلال قدراتهم العقلية المتميزة من الوصول إلى بعض الأمور الغيبية والتعرف على حقيقتها.

(١) سورة السجدة: الآيات ٧ - ٩

ولكن مع ذلك ظلت حاجة الإنسان شديدة إلى الأديان والرسالات السماوية من أجل وعي وإدراك حقيقة العالم الغيبي ولو بنحو الإجمال، لأن الوعي التفصيلي بكل حقائق عالم الغيب ربما لا يتيسر للإنسان مادام في هذه الدنيا.

ولئن أكثر الناس تعجز عن إدراك حقيقة العالم الغيبي فإن الشرائع قد أمرتهم أن يؤمنوا إيماناً إجمالياً بالغيب، وأن لا يسعوا لتكلف التعرف والإحاطة بما لا يمكن لعقولهم الإحاطة به وإدراك حقيقته، ولذا حينما سئل أمير المؤمنين الإمام علي عن القدر قال: «طريق مظلم فلا تسلكوه، وبحر عميق فلا تلجوه، وسر الله فلا تتكلفوه»<sup>(١)</sup>، ومما ينبغي الالتفات إليه بصورة أساسية أن حقيقة الحقائق وهو الله سبحانه وتعالى الذي هو المقصد الأصلي للإنسان في سيره التكاملي والروحي مهما اقترب الإنسان منه وارتبط به فإنه يظل غيباً بالنسبة إليه، وليس بإمكان أي إنسان أن يحيط بحقيقة الذات المقدسة، وهذا المطلب مقرر بصورة واضحة وجليّة في نصوص الشريعة وكلمات العرفاء وكم هي جميلة كلمة الإمام زين العابدين والساجدين حينما يناجي ربه قائلاً: «إلهي قصرت الألسن عن بلوغ ثنائك كما يليق بجلالك، وعجزت العقول عن إدراك كنه جمالك، وانحسرت الأبصار دون النظر إلى سبحات وجهك، ولم

(١) نهج البلاغة: قصار الحكم، رقم ٢٧٨

تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك إلا بالعجز عن معرفتك»<sup>(١)</sup>.

يوصينا أمير المؤمنين الإمام علي بأن نرجع إلى القرآن في التعرف على صفات الباري تعالى وأن لا نتكلف ما وراء ذلك، لا لأنه لا يراد لنا أن نعلم بما وراء ذلك، بلا لأنه لا يوجد شيء وراء ذلك يمكن لعقولنا أن تصل إليه وتطلع عليه.

فيقول أمير المؤمنين: «فأنظر أيها السائل: فما ذلك القرآن عليه من صفته فائتم به واستضيء بنور هدايته، وما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه، ولا في سنة النبي ﷺ وائمة الهدى أثره، فكل علمه إلى الله سبحانه، فإن ذلك منتهى حق الله عليك، واعلم ان الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب، الإقرار بجملته ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح الله تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً، فاقصر على ذلك، ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين. هو القادر الذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته، وحاول الفكر المبرء من خطرات الوسواس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته، وتوهت القلوب إليه، لتجري في كيفية صفاته، وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته، ردعها وهي تجوب مهاوي سدف

(١) الصحيفة الكاملة السجادية، مناجات العارفين

الغيوب، متخلصة إليه سبحانه فرجعت إذ جبهت معترفة بأنه لا ينال بجور الإعتساف كنه معرفته، ولا تخطر ببال أولى الرويات خاطرة من تقدير جلاله عزته»<sup>(١)</sup>.

وبعد أن وعينا هذه الحقيقة نريد أن نقدم لشبابنا المسلم بعض الحقائق الأساسية عن عالم الغيب بالمقدار الذي يتناسب والمستوى الفكري العام لهؤلاء الشباب، ولم يكن بإمكاننا أن نتوسع كثيراً في بيان حقائق عالم الغيب لأن الكثير من هذه الحقائق يتوقف فهمها واستيعابها على توفر مقدمات علمية وعملية للإنسان لا يمكن تحصيلها من دون كثير عناء وتعب، ولذا فإن ما سنقدمه لن يتجاوز أن يكون صورة إجمالية عن العالم الغيبي، نريد من خلالها رفع حالة الغموض والإرتباط التي يعيشها الشاب المسلم في تصوراتهِ عن عالم الغيب وما وراء الطبيعة.

فنعول: مما لا شك فيه أن هناك تقسيماً أولياً للوجود يدركه كل الناس بعقولهم البسيطة والسادجة، وهو تقسيم الوجود أو الموجودات بالأحرى إلى وجودات مادية نستشعرها ونحسها بحواسنا الخمس، ووجودات غير مادية نؤمن بها ولكننا لا نحسها، وأكثر الناس تعتقد أن العالم الغيبي هو وجود واحد يقابل العالم المادي، ولكن الحقيقة التي يهدينا إليها الشرع والدين وتوصل إليها العرفاء الالهيون من خلال اتباعهم للشرع ومجاهدتهم لأنفسهم هي

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٩١.

غير ذلك، وذلك لأن العالم الغيبي هو عالم ذو مراتب تحفى جميعها علينا، وقد اصطلح العرفاء الإسلاميون ممن عنوا بالجانب الروحي في الإسلام واستطاعوا إدراك الكثير من حقائق عالم الغيب على التسميات التالية التي تبين جميع مراتب الوجود وتنزلاته، فقالوا: «فأول العوالم في الوجود الخارجي هو عالم العقول والنفوس المجردة المسماة بعالم الجبروت. ثم عالم المثال المطلق الذي لكل من الموجودات المجردة وغير المجردة فيه صور مثالية مدركة بالحواس الباطنة، ويسمى بعالم الملكوت.

ثم عالم الملك الذي هو العرش والكرسي والسموات والعناصر، وما يتركب منها؟.

وهذه العوالم الثالث صور ما في العلم الإلهي من الأعيان الثابتة المسماة بالماهيات الممكنة، والحقائق وأمثالها، وهي عالم الغيب المطلق لاشتماله على غيوب كل ما في العالم.

والإنسان وإن كان من حيث صورته الظاهرة من عالم الملك لكن لجامعيته وكونه مشتملاً على كل ما في العالم الخارجي فهو عالم آخر برأسه، فصارت العوالم الكلية والحضرات الأصلية خمساً:

عالم الأعيان الثابتة وهي عالم الغيب المطلق.

عالم الجبروت. عالم الملكوت. عالم الملك.

## عالم الإنسان الكامل<sup>(١)</sup>.

ولابد من التنبيه في هذا المقام على أن معرفة الأمور والأشياء تارة تكون بحدودها وتارة بإدراكها على ما هي عليه من خلال انكشاف حقيقتها للإنسان بصورة مباشرة، وحينما نريد أن نوضح ذلك بمثال فإنه سيمكننا تشبيه النوع الأول من المعرفة بمن يستطيع ان يجد الحلاوة فيقول هي كذا وكذا، وهذا نوع معرفة بالشيء، والنوع الثاني من المعرفة يمكن تشبيهه بمن يعرف الحلاوة بتذوقها، والنوع الأول من المعرفة يسمى بالمعرفة العقلية لأنها تستند في معرفة حقيقة الأشياء إلى العقل والبرهان، والنوع الثاني من المعرفة يسمى بالمعرفة القلبية لأنها تستند في معرفة حقيقة الأشياء إلى القلب والعرفان، ولكل نوع من أنواع المعرفتين مناصرون ومؤيدون، وإصطلح على تسمية مناصري المعرفة التلبية والذوقية بالاشراقين أو العرفاء.

وفي هذا المجال توجد بحوث معرفية وفلسفية مطولة في ترجيح المعرفة العقلية البرهانية على المعرفة القلبية العرفانية أو بالعكس. وفي الإشكالات المعرفية التي ترد على كل نوع من أنواع المعرفتين، والبحث في هذه المسئلة يعد من البحوث الفلسفية المهمة التي شغلت تفكير الكثير من الفلاسفة والعرفاء ومازالت المسئلة إلى يومنا هذا محل أخذ ورد.

(١) رسائل قيصري، رسالة في التوحيد والنبوة، ج ١، ص ١٤ - ١٥.

وما أردته من ذكر هذا التنبيه هو فقط الإشارة إلى أن معرفة الحقائق الغيبية على وجهها الصحيح والتام قد لا تيسر للإنسان بمجرد البحث العلمي والتتبع الفكري، بل ربما يفتقر إدراكها إلى مجاهدات نفسية عملية، وذلك لأن الإسلام قد دلنا على أن العلم والعمل يرتبط كل منهما بالآخرة ويؤثر فيه فالعلم يهدي إلى العمل، والعمل بالعلم يفتح للإنسان أبواباً آخر من العلم، وهذا ما أكدته القرآن حينما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ (١).

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرِسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٨) (٢).

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٩) (٣).

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٩

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٨

(٣) العنكبوت: الآية ٦٩



ومن هنا نريد التأكيد على أن ما استعرضناه من حقائق عن عالم الغيب في هذه النقطة وما سنقوم باستعراضه في النقطة القادمة من حقائق وتصورات ترتبط بهذا العالم أيضاً قد لا تتضح كل الوضوح للقارئ، وكل ما نرجوه من القارئ أن يعي أن هناك حقائق كثيرة عن عالم الغيب قد يكون جاهلاً بها ولم يسمع عنها أبداً مما يستدعي منه أن يكون دقيقاً في رفض أو قبول هذه الحقائق أو التصورات، وأن يكون أكثر دقة في التعامل مع القضايا والأمور الغيبية التي لم يسمح له الوقت بتكوين تصور معقول وواقعي عن حقيقتها وكنهها، لأننا نعي تمام الوعي أن التعامل مع القضايا الغيبية والروحية من دون استعداد علمي وعملي مسبقين عمل له خطورته الكبيرة على ذات الشخص وعلى الآخرين ممن يرتبطون به، وهذا ما سنقوم ببيانه في النقطة الرابعة من هذه الكلمة.

وما قدمناه من تصوير عن عالم الغيب وتعدد وجوداته وتنزلاته فيما مر وسبق هو نتاج أفكار العرفاء الإسلاميين. وهناك تصوير آخر حاول العلماء الطبيعيون من خلاله تقديم بعض الحقائق عن العالم الغيبي، وأكثر هذه الحقائق ينسجم ولا يتعارض مع الحقائق التي استطاع عرفاء الإسلام التوصل إليها وإكتشافها في هذا المجال، ومنذ بدايات القرن العشرين الميلادي توجهت أنظار الكثير من العلماء في أوروبا وأمريكا والاتحاد السوفيتي السابق إلى البحث في القضايا الروحية والغيبية، ويومسون من خلال بحوثهم

التجريبية والمختبرية إلى نتائج مهمة في المجالين الروحي والغيبى يمكننا اعتبارها أوليات البحوث الروحية والغيبية التي أهتم بها أشد الاهتمام في الوسط الإسلام علم العرفان.

ويقوم التصوير الذي يقدمه العلماء المحدثون عن العوالم الغيبية على الإعتقاد بانقسام العالم إلى عالمين:

عالم فيزيقي: وهو العالم المادي الذي نحسه ونشعر به وندرك موجوداته.

وعالم أثيري: هو بمثابة العالم الغيبى الذي لا نحسه ولا نشعر به ولا ندرك موجوداته إلا من خلال تأثيراته التي تنعكس في بعض الأحيان على عالمنا المادي الفيزيقي.

وفي مقام بيان وشرح بعض حقائق الإنسان الغيبية يقول جيمس آرثر فند لاي: «إن الإنسان مكون من جسم ونفس وروح، فالجسم ما نراه، والنفس هي العقل، والروح هي الجسم الأثيري الذي يطابق في الشكل الجسم الفيزيقي وهي التي تجعل هذا الجسم الفيزيقي يتماسك، وما الموت إلا انفصال الجسم الأثيري عن الجسم المادي، ويحمل هذا الجسم الأثيري معه العقل او النفس، وعندئذ ننظر إلى الكون من وجهة النظر الأثرية لا وجية النظر المادية، ويصبح العالم المادي أمراً تافهاً لا يعتد به.

أما الأثيري وهو ما نسميه نحن الفضاء فليس إلا مادة حقيقية في صيغة أكثر تخلخلاً، وهو العالم الحقيقي الذي يعتد به، وهو ما عرفنا عن تكوينه كون مستقر ثابت، في حين أن الكون المادي دائم التغير سائر إلى الانحلال، ولا يوجد في الكون الأثيري أي أثر للانحلال، بل إن كل شيء فيه ثابت منتظم أما عقل الإنسان فشيء فوق الأثيري، ولا يستطيع أي إنسان وهو في جسمه الفيزيقي أن يشرح العقل ويفسره، ولكنه لا بد أن يكون شيئاً فوق الأثيري لأنه يعمل بعد الموت، فهو الذي يرشد الجسم الأثيري ويضبطه<sup>(١)</sup>.

وعن الجسم الأثيري يقول فندلاي: «والجسم الأثيري هو الذي يحفظ كيان الجسم المادي فوق الأرض، ومن الجائز أن يكون لكل شيء في الوجود جسم أثيري، ولن يتغير العقل بالموت ولكنه يؤدي وظائفه في أوساط أخرى مغايرة»<sup>(٢)</sup>.

ورغم ما توصل إليه فندلاي من حقائق عن عالم الغيب والروح فإنه كان يقول عن الحياة: «والحياة شيء آخر غير المادة الفيزيكية، وهي من خصائص العالم الأثيري، أما لماذا أو متى امتزجت بالمادة الفيزيكية فأمر لا نعرفه»<sup>(٣)</sup> وهذه هي بعض ملامح العالم الغيبوي

(١) راجع كتاب على حافة العالم الأثيري ص ٢٥ - ٢٦ - د. جيمس آرثر فند

لاي - وهو ممن توصلوا إلى نتائج مهمة وجيدة في البحث الروحي.

(٢) راجع كتاب على حافة العالم الأثيري ص ٢٥ - ٢٦ - د. جيمس آرثر

فندلاي.

(٣) المصدر نفسه.

لا تعدو أن تكون مجرد تصورات أولية عن حقيقة العالم الغيبي وموجوداته، وإلا فإن حقائق هذا العالم لا تنفذ ولا تنتهي ولا يمكن الاحاطة بها واستعراضها في كتاب بل ولا في كتب كثيرة.

قال تعالى: ﴿وَسَأَلُونكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٨٥﴾ (١).

### النقطة الثالثة: حقيقة الاتصال بالعالم الغيبي وصوره:

بعد ان تبين لنا في النقطة السابقة وجود العالم الغيبي وبعض حقائقه الأولية فإنه يهمننا في هذه النقطة الحديث بصورة إجمالية أيضاً عن حقيقة الإتصال بالعالم الغيبي وموجوداته وصور هذا الإتصال وأشكاله.

والحديث عن هذا الأمر حديث له أهمية خاصة لأننا نشعر أن الكثير من الناس يحملون تصورات مشوهة ومغلوطة عن كيفية الاتصال بالعالم الغيبي وقبل ذلك عن حقيقة الارتباط بهذا العالم وإمكانية ذلك وعدمه، وقبل بيان صور وأشكال اتصال الإنسان بالعالم الغيبي وموجوداته نريد أن نقدم المقدمة التالية وهي: أن كل إنسان موحد يؤمن بالله ورسالاته لا بد وأن يعتقد بإمكانية إرتباط الإنسان بالغيب ولو في حالات مخصوصة وعند أفراد مخصوصة من الناس، وعلى هذا الأساس يؤمن هذا الإنسان

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٥

بدعوات الأنبياء والرسل لأنها لا تتأتى للأنبياء والرسل ﷺ إلا من خلال إرتباطهم بالله تعالى ونزول الوحي عليهم بواسطة الملائكة أو القذف في القلب أو بأي واسطة أخرى، ومن خلال هؤلاء الرسل والأنبياء يوصل الله عز شأنه وأمره ونواهيته إلى عامة الناس، وليس من الممكن ولا بمقدور أي إنسان ان يكلمه الله بصورة مباشرة ويوحي إليه ما يشاء، لأن الإرتباط بالله وتبليغ أحكامه إلى الناس مهمة ثقيلة لا يتوفر على شرائطها إلا القليل من الناس.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذَانِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٌ ﴾ (١)

والإتصال بالله تعالى وبالعالم الغيب عن طريق النبوة والرسالة هو الطريق الوحيد الذي يطمئن الإنسان من خلاله إلى صحة وواقعية ما يصل إليه من عالم الغيب وما وراء المادة، وذلك لأن الحفظ والصيانة من الخطأ والاشتباه أمران مضمونان في هذا النوع من الارتباط بالعالم الغيبي، وهذا ما نلمحه من خلال تأكيد القرآن الكريم على مقتضيات العصمة والحفظ في مبدء ومنتهى وواسطة هذا الارتباط الغيبي بين الله تعالى وأنبيائه ورسله فالوحي ينزل من

(١) سورة الشورى: الآية ٥١

الله جلالاً والله لا يقول إلا الحق ولا يهدي إلا إلى الصراط المستقيم.

قال تعالى: قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ﴿١﴾.

قال تعالى: ذَلِكَ بَانَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ ﴿٢﴾.

قال تعالى: وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾.

وواسطة هذا الاتصال هو الملك الذين ينزل على الرسل والأنبياء بالوحي من السماء، وقد وصف الله تعالى ملائكته بأنهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٦﴾.

ووصف الملك الذي ينزل على خاتم الأنبياء والرسل ﷺ بالوحي والقرآن فقال تعالى: ﴿وإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١١٣﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ ﴿٥﴾.

(١) سورة يونس: الآية ٣٥

(٢) سورة الحج: ٦

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٤

(٤) سورة التحريم: الآية ٦

(٥) سورة الشعراء: الآيات ١٩٢ - ١٩٣

ومنتهى هذا الإتصال الغيبي هو النبي أو الرسول الذي يتلقى الوحي من الله بواسطة الملائكة، ومن يتلقى الوحي من الله ويبعثه الله بالنبوة والرسالة لا يمكن أن يكذب أو أن يحرف الكلام، وهو ما يثبته القرآن الكريم في العديد من آياته كقوله تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ (١).

وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (٢).

وكقوله تعالى على لسان نبيه موسى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (٣).

وعلى هذا الأساس فإن جميع تنزلات الوحي على الأنبياء والرسل تكون بالحق، قال تعالى: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْنَا وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ (٤).

(١) سورة النجم: الآيات ٢ - ٤

(٢) سورة الحاقة: الآيات ٤٠ - ٤٧

(٣) سورة الأعراف: الآيات ١٠٤ - ١٠٥

(٤) سورة الإسراء: الآية ١٠٥

قال تعالى: ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾<sup>(١)</sup>.

قال تعالى في شأن كل الأنبياء الذين أوحى إليهم: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن المهم أن نشير في ختام حديثنا عن الوحي إلى أن الوحي في المصطلح القرآني لا يختص بالأنبياء والرسل، بل هو على أنواع وأشكال ومراتب وما يختص بالأنبياء والرسل هو المرتبة العالية من الوحي التي تستلزم حمل رسالة إلهية أو دعوة ربانية إلى الناس، وعدم اختصاص الوحي بالأنبياء والرسل دلت عليه الكثير من آيات القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿٦٨﴾

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهٗ ﴾<sup>(٤)</sup>.

هذا ما أردنا بيانه بالنسبة إلى الطريق الأول من طريق الإتصال بالغيب وأما الطرق الأخرى للإتصال بعالم الغيب والإرتباط بها

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٦

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٣

(٣) سورة النحل: الآية ٦٨

(٤) سورة القصص: الآية ٧



وراء الطبيعة فإن الحديث عنها يطول وسنحاول تقديم بعض الحقائق والتصورات عنها ضمن الخلاصة التالية:

يعتقد جل الفلاسفة والعرفاء من الإسلاميين وغيرهم بوجود عوامل غيبية يمكن للإنسان الإرتقاء إليها والتوصل إلى إكتشاف حقائقها بطريق أو آخر، وأهم تلك العوامل هو عالم المثال، وهو عالم بين عالم الأجسام وعالم الأرواح المجردة: «فهو من حيث أنه غير مادي شبيه بعالم الأرواح، ومن حيث أنه ذو صورة وشكل ومقدار شبيه بعالم الأجسام»<sup>(١)</sup>.

وهذا العالم توجد فيه حقائق الأشياء والموجودات وصورها المثالية ويمكن للإنسان من خلال تجريد نفسه أن يتصل بهذا العالم وأن يتعرف على ما فيه من حقائق وصور: «وجميع أرباب المكاشفة أكثر ما يكاشفون الأمور الغيبية يكون في هذا العالم وفيه يتجسد الأعمال والافعال الإنسانية الحسنة والقبیحة كل بما يناسبها. ولكل إنسان فيه نصيب وهو القوة الخيالية التي فيها يرى المنامات»<sup>(٢)</sup>. وستحدث بعد قليل عن حقيقة المكاشفة التي يدعي أهل العرفان أنها طريق من طرق تحصيل المعارف الغيبية والإلهية.

(١) رسائل قيصري، رسالة التوحيد والنبوة والولاية ص ١٧.

(٢) رسائل قيصري، رسالة التوحيد والنبوة والولاية ص ١٨.

وما يلزم التنبيه عليه إن الإنسان حينما يتجرد وتسمو نفسه إلى الاتصال بالعالم العلوي فإن أول ما يتعرف عليه من عوالم الغيب هو هذا العالم المثالي، وفي ذلك يقول القيصري أحد أبرز علماء العرفان: «وأول ما يفتح للإنسان عند غيبته من هذا العالم الجسماني هذا العالم المثالي، وفيه يشاهد أحوال العباد بحسن صفاء الباطن، وقوة الاستعداد. فإن من يشاهد أمراً يقع بعد سنة أقوى استعداداً ممن يشاهد ما يقع دون تلك المدة. وكل ما يشاهد في الخيال المقيد قد لا يكون محتاجاً إلى التعبير وهو القليل والأكثر ما يحتاج إليه، وذلك لأن المعاني إذا ظهرت بالصور إنما يظهر فيها بحكم المناسبة بينها وبين ما يظهر فيها من الصور، فلا بد أن يعبر الرائي أو من يعبر له من تلك الصور إلى المعنى الظاهر فيها. وقد يكون أضغاث أحلام لا يلتفت إليه لسوء مزاج الدماغ، لذلك يصيب بعض المنامات ويخطأ بعضها»<sup>(١)</sup>.

وبعد أن أدركنا وجود هذا العالم وحقيقته فإنه سيتضح لنا ان اتصال الإنسان بعالم الغيب يعني قدرته على الاطلاع على ما في العوالم الغيبية وبالأخص عالم الثال من صور ومعلومات، ولا ينبغي الاعتقاد بأن اطلاع الإنسان على ما في عالم المثال من صور وحقائق ينحصر في طريقة واحدة وأسلوب معين، بل من المقرر بين علماء العرفان - وهم

(١) رسائل قيصري، رسالة التوحيد والنبوة والولاية ص ١٨.



أكثر من اهتم وعنى بمثل هذه المسائل ان تحصيل القدرة على الاطلاع على عالم الغيب يمكن من خلال عدة طرق، والبعض من هذه الطرق ربما لا يكون مكتسباً أصلاً، وإنما تتدخل بعض العوامل الوراثية والبيئية في وجوده وحصوله عند البعض من الناس، وعلى هذا الأساس فقد قسم العرفاء الكشف والذي يعني اطلاع الإنسان على ما وراء هذا العالم المادي من حقائق ومعلومات وصور إلى قسمين:

**الأول:** الكشف الحقيقي المعنوي، وهو يعني ظهور المعاني العينية والحقائق الغيبية، وهو يحصل بسبب تزكية النفس ومجاهدتها بالمجاهدات الشرعية.

**الثاني:** الكشف الصوري غير الحقيقي، وهو يعني اطلاع الإنسان على المغيبات المختصة بالخلق، بالإضافة إلى اطلاعه على ما في عالم المثال عن طريق الحواس الخمس.

وهذا النوع من الكشف يحصل بعوامل ثلاثة:

**الأول:** المجاهدات الشرعية والتي تعني تهذيب الإنسان نفسه وتطهيرها من أوساخ التعلق بالمادة وانقطاعه إلى الحق جل وعلا.

**الثاني:** المجاهدات غير الشرعية كما يفعله بعض أصحاب الرياضات النفسية والبدنية من أتباع الأديان والمذاهب الباطلة

من كثرة الجوع وقلة النوم، فإن لهذه المجاهدات تأثيراً على نفسية الإنسان ولو كانت من غير طريق شرعي.

وفي ذلك يقول بعض العرفاء: «وأما فراسة أهل الرياضة بالجوع والخلوة وتصفية البواطن من غير وصلة إلى جانب الحق، فلهم فراسة كشف الصور والأخبار بالمغيبات المختصة بالخلق، فهم لا يخبرون الا عن الخلق، لأنهم محجوبون عن الحق»<sup>(١)</sup>.

الثالث: ما يحصل بسبب خاصية معينة تكون في النفس ترجع إما لعامل وراثي أو لوقت الولادة ومكانها أو لوضع البلد والبيئة الجغرافية.

وقد اهتم علك «الباراسيكولوجيا» في عصرنا الحديث باكتشاف هذه الخاصية التي تتمتع بها بعض النفوس البشرية ودراسة الظواهر الخارقة للعادة التي تتولد من وجود هذه الخاصية عند البعض من الناس.

ويهمنا قبل الدخول في بيان صور الكشفيين الصوري والمعنوي ان نبه شبابنا المسلم على أمر مهم للغاية وهو ان حصول الكشف لإنسان ما لا يعني في تمام الأحوال استقامة هذا الإنسان وإتباعه للشرع، لأننا قد بينا أن الكشف الصوري والذي يعني في بعض جوانبه اطلاع الإنسان على أسرار الناس وقضاياهم الخاصة قد

(١) حيدر الأملي: جامع الأسرار ومنبع الأنوار ٤٦٨.

يحصل في بعض الأحيان من خلال طرق غير شرعية، والمشكلة الكبرى هاهنا أن المخادعين وقطاع الطريق إلى الله ممن تحصل لهم هذه المكاشفات الصورية، يستغلون هذه المكاشفات لأغراضهم الدنيوية الخبيثة ويخدعون عامة الناس بأنهم أصحاب مقامات وقرب من الله، والناس لجهلها بهذه الأمور والحقائق تحسن الظن بهم وتعتقد أنهم في الواقع كذلك، وربما أعرضوا عن أصحاب الكشف المعنوي من العلماء والعرفاء الذين لا يرجون إلا الله ولا يخشون أحداً سواه لأنهم لا يخبرونهم عن مغيباتهم وأسرارهم الخاصة، ولم يعلموا أن العرفاء الحقيقيين الذين لا يبتغون من وراء سعيهم ومجاهدتهم لأنفسهم على الوصول إلى الحق جَلَّالَهُ يعتبرون التفات الإنسان إلى الكشف الصوري واشتغاله بالاطلاع على أسرار الخلق من الحجب التي تحجب الإنسان عن الوصول إلى الحق.

وهذا ما يذكرنا به بعض العرفاء حينما يقول: «ولما كان العالم - أي عامة الناس أكثرهم أهل انقطاع عن الله واشتغال بالدنيا، مالت قلوبهم إلى أهل الكشف الصوري والأخبار عما غاب من أحوال المخلوقات فعظموهم واعتقدوا أنهم هم أهل الله وخاصته، وأعرضوا عن أهل الكشف الحقيقي، واتهموهم فيما يخبرون به عن الله، وقالوا: لو كان هؤلاء أهل الحق، كما يزعمون، لا خبرونا عن أحوالنا وأحوال المخلوقات، وإذا كانوا لا يقدرون على كشف أحوال المخلوقات، فكيف يقدرون على كشف أمور أعلى

من هذه، فكذبوهم بهذا القياس الفاسد، وعميت عليهم الأنباء الصحيحة.

ولم يعلموا أن الله تعالى قد حمي هؤلاء عن ملاحظة أهل الخلق وخصهم به، وشغلهم عما سواه، حماية لهم وغيره عليهم ولو كانوا ممن يتعرضون إلى أحوال الخلق، لما صلحوا للحق، فأهل الحق لا يصلحون للخلق، كما أن أهل الخلق لا يصلحون للحق<sup>(١)</sup>.

وأما بالنسبة إلى صور الكشفين الصوري والمعنوي فإنها كالتالي:

أولاً: صور الكشف الصوري: يذكر العارف الكبير السيد حيدر صور الكشف الصوري فيقول بعد تقسيمه الكشف إلى معنوي وصوري: «وأعني بالصوري ما يحصل في عالم المثال من طريق الحواس الخمس، وذلك أما أن يكون على طريق المشاهدة، كرؤية المكاشفة صور الأرواح المتجسدة والأرواح الروحانية وأما أن يكون على طريق السماع، كسماع النبي الوحي النازل منظوماً أو مثل صلصلة الجرس أو دوي النحل كما جاء في الحديث الشريف. فإنه كان يسمع ذلك ويفهم المراد منه.

(١) حيدر الآملي: جامع الأسرار ومنبع الأنوار ٤٦٩

أو يكون الكشف على سبيل الإستنشاق وهو التنسم بالنفحات الإلهية والتنشق بفوحات الربوبية<sup>(١)</sup>.

قال : إن لله تعالى في أيام دهركم نفحات: ألا فتعرضوا لها<sup>(٢)</sup> وقال: إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن<sup>(٣)</sup>. أو يكون الكشف عن سبيل الملامسة، وهي الإتصال بين النورين أو بين الجسدين المثاليين<sup>(٤)</sup>.

وبعد أن يستعرض الآملي صور الكشف الصوري هذه يوجه أنظارنا إلى أنواع الكشف الصوري من حيث تعلقها أو عدم تعلقها بالحوادث الدنيوية وكيف تصير هذه المكاشفات حجاباً لبعض الناس يحجبهم عن رؤية جمال الحق والاخلاص في الارتباط بالله سبحانه وتعالى، فيقول: «وأنواع الكشف الصوري إما أن تتعلق بالحوادث الدنيوية أولاً. فإن كانت متعلقة بها سميت رهبانية لاطلاعهم - أي أصحابها على المغيبات الدنيوية بحسب رياضتهم. وأهل السلوك، لعدم توقف همهم العالية في الأمور الدنيوية، لا يلتفتون إلى هذا القسم من الكشف لصرفها عن الأمور الأخورية وأحوالها، ويعدون من قبيل الاستدراج والمكر بالعبد، بل كثير

(١) نهج البلاغة.

(٢) نهج البلاغة.

(٣) نهج البلاغة.

(٤) حيدر الآملي: جامع الأسرار ومنبع الأنوار ٤٦٢.



منهم لا يلتفتون إلى القسم الأخرى أيضاً، وهم الذين جعلوا مقاصدهم الفناء في الله والبقاء به.

والعارف المحقق لعلمه بالله ومراتبه وظهوره في مظاهر الدنيا والآخرة، واقف معه أبداً ولا يرى غيره، ويرى جميع ذلك تجليات إلهية، فينزل كلاً منها منزلته، فلا يكون ذلك النوع أيضاً من الكشف إستدرجاً في حقه، لأنه حال المبعدين الذين يقنعون من الحق بذلك، ويجعلون ذلك سبب حصول الجاه والمنصب في الدنيا.

وهو تعالى منزه في الحقيقة من القرب والبعد المثبتين للغيرية مطلقاً، وإن لم تكن أنواع الكشف الصوري متعلقة بها أي بالحوادث الدنيوية، بأن كانت المكاشفات في الأمور الحقيقية الأخرى والحقايق الروحانية من الأرواح العالية والملائكة السماوية والأرضية، فهي مطلوبة معتبرة<sup>(١)</sup>.

(١) حيدر الأملي: جامع الأسرار ومنبع الأنوار ٤٦٥ - ٤٦٦



## ظهور المعاني العينية والحقائق الغيبية

يشرع في بيان صورته ومراتبه فيقول: «وله أيضاً مراتب. أولها ظهور المعاني في القوة المفكرة من غير استعمال المقدمات وترتيب القياسات، بل بأن ينتقل الذهن من المطالب إلى مبادئها، ويسمى بالحدس، ثم ظهور المعاني في القوة العاقلة المستعملة للمفكرة، وهي قوة روحانية غير حالة في الجسم، ويسمى بالنور القدس، والحدس من لوازم أنوارها، وذلك لأن القوة المفكرة جسمانية، فتصير حجاباً للنور الكاشف عن المعاني الغيبية، فهي أدنى مراتب الكشف، ولذلك قيل: الفتح على قسمين فتح في النفس، وهي يعطي العلم التام نقلاً وعقلاً. وفتح في الروح، وهو يعطي المعرفة وجوداً، لا عقلاً ولا نقلاً.

ثم ظهور المعاني في مرتبة القلب، وقد يسمى ظهورها بالالهام في هذا المقام، إن كان الظاهر معنى من المعاني الغيبية، لا حقيقة من الحقائق، أو روحاً من الأرواح المجردة، أو عيناً من الأعيان الثابتة لأن تجلي هذه الأشياء في هذا الموطن يسمى مشاهدة قلبية.

ثم ظهور المعاني في مرتبة الروح، وينعت ظهورها بالشهود الروحي، وهو بمثابة الشمس المنورة لسماوات مراتب الروح وأراضي مراتب الجسد.

فهو أي المكاشف في مرتبة الروح بذاته آخذ من الله العليم المعاني الغيبية من غير واسطة على قدر إستعداده الأصلي، ويفيض على ما تحته من القلب وقواه الروحانية والجسمانية، إن كان من الكمل والأقطاب، وإن لم يكن منهم، فهو آخذ من الله بواسطة القطب على قدر إستعداده وقربه منه، أو بواسطة الأرواح التي هي تحت حكمه من عالمي الجبروت والملكوت.

ثم ظهور المعاني في مرتبة السر، ثم ظهورها في مرتبة الخفى بحسب مقاميهما، وظهور المعاني في هذه المرتبة لا يمكن إليه الإشارة ولا تقدر على إعرابه العبارة، كما قيل: الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة، وإذا صار هذا المعنى مقاماً أو ملكة للسالك، أتصل علمه بعلم الحق اتصال الفرع بالأصل، فحصل له أعلى المقامات

من الكشف<sup>(١)</sup>.

وهذه المعاني التي يذكرها العرفاء في بيان وإيضاح حقيقة الكشف ذكر ما يماثلها ويشابهها في الكثير من التفاصيل والجزئيات بعض من اهتموا بدراسة وتتبع الظواهر الروحية والغيبية، ولاسيما تلك الحالات التي حدثت لبعض من أصيبوا بالغيوبة والموت المؤقت ثم عادوا إلى الحياة ليقصوا على الناس ما شاهدوه في أثناء غيوبتهم أو موتهم المؤقت، ومن العجيب أن تتفق تلك المشاهدات التي شاهدها هؤلاء البعض مع تصورات العرفاء عن عالم الغيب وما يتمتع به من خصائص ومميزات.

ويحكى الدكتور ريمون مودي في كتابه: «أضواء حول الحياة بعد الحياة» بعض هذه التجارب فيقول: «لقد أكد لي العديد من الأشخاص أنهم في لحظة معينة من تجربتهم، كانوا يشعرون بأن لديهم نظراً بعيد المدى يرون به واقعاً مختلفاً تماماً، حيث فيه كل المعارف - المتعلقة بالماضي والحاضر والمستقبل تجتمع كلها في حالة لا زمنية (حالة انعدام الزمن).

(١) حيدر الأملي: جامع الأسرار ومنبع الأنوار ٤٦٩ - ٤٧١.



فبالنسبة لبعض الأشخاص، كان يتجلى ذلك في لحظة ضياء، كانوا يبلغون خلالها، كما يبدو لهم، المعرفة الشاملة، وإذا ما حاولوا وصف هذا الجانب من حادثتهم، كانوا يجتمعون على وصفه بأنه لا يمكن التعبير عنه.

وقد اعترف الجميع، كذلك، بأن هذه المعرفة المطلقة كانت تتلاشى في لحظة عودتهم إلى الحياة الدنيوية، ولا يبقى لديهم من هذا العلم بكل شيء، أي شعور<sup>(١)</sup>. وحينما يسأل الدكتور مودي امرأة أصيبت بحالة موت مؤقت عن مشاهداتها في هذه الحالة عبر السؤال التالي:

بأي شكل تمثلت لك تلك المعرفة؟

هل بشكلها العملي أو بالصور؟

فإنها كانت تجيب قائلة: «بكل الاشكال الممكنة: من صور، واصوات، وأفكار. لقد كانت أي شيء، وكل شيء، كما أنه لم يبق شيء غير معروف. كل المعرفة كانت هناك، ليست فقط في هذه أوجهها، بل كلها»<sup>(٢)</sup>.

(١) ريمون مودي: أعضاء حول الحياة بعد الحياة ٢٩.

(٢) ريمون مودي: أعضاء حول الحياة بعد الحياة ٣١

ويحكى عن رجل شاب ما رآه في ذلك العالم الغيبي فيقول: «والمرء في ذلك العالم يتنسم المعرفة... (مثلما يشم النسيمات لتدخل إلى جسمه) فيعرف بها على حين غرة (فجأة) كل الأجوبة... وهذا يحدث كما لو أن المرء يركز انتباهه على ناحية ما من هذا العلم، وفي لمحة، تتدفق المعرفة من تلك الناحية بصورة ذاتية، وكأنه يستمع إلى عشرة دروس معاً ذات قراءة سريعة»<sup>(١)</sup>.

ويحدثه رجل في الأربعين من عمره أصيب بتوقف في القلب قائلاً: «ثم رأيت نفسي وسط منظر ريفي تمر به الجداول، وفيه الأشجار والجبال العالية. ولكن عند ما نظرت حولي إن صح القول لم تكن أشجاراً حقاً، حتى ولا شيء مما أعرفه بل إن الذي بدا لي كان أكثر غرابة كان يوجد أناس، ليسوا بمظهرهم المادي والجسدي: الناس كانوا موجودين، وهذا كل ما هنالك»<sup>(٢)</sup>.

وفي ختام هذه النقطة لا بد من الإشارة إلى أنه توجد طرق أخرى عروفة للإتصال بالعالم الغيبي والإطلاع على بعض المغيبات كإستحضار الأرواح والجان والكهانة وغيرها، وللإسلام موقف صريح تجاه التعامل معه هذه الطرق لا يمكننا التغافل عنه في علاقتنا مع الغيب والمغيبات، وهذا الموقف يهديننا إلى أن الإتصال بالغيب والاطلاع على الأسرار والمغيبات لا ينبغي أن يجعل غاية

(١) ريمون مودي: أضواء حول الحياة بعد الحياة ٣٣.

(٢) ريمون مودي: أضواء حول الحياة بعد الحياة ٣٤.

يتجاوز من خلالها على حدود الشريعة ومقررات الدين، ويشعر الفرد من خلالها بالتعالى والامتياز على الآخرين، بالإضافة إلى كون هذه الطرق كطريق الكشف قد تخطأ في بعض مطياتها ونتائجها مما لا يبرر الإعتماد المطلق عليها في التوصل إلى الحقيقة التي ينبغي للإنسان أن ينشدها في علاقته وارتباطه بعالم الغيب. وهذا ما سنقوم ببيانه في النقطة التالية.

### 👉 النقطة الرابعة: مخاطر الإتصال بالعالم الغيبي:

قد يتصور الكثير من الناس أن مسألة الارتباط بالعالم الغيبي وقدرة البعض على التعرف على أسراره واكتشافها ولو كان هذا البعض نبياً أو رسولاً، مجرد مسألة تفضيل واختصاص من قبل الل تعالى، من دون أن تكون هناك مبررات أخرى جعلت الله جل وعلا يختص هذا البعض من الناس دون غيرهم بإطلاعهم على الغيب وتعريفهم بحقائق العالم الآخر.

ولكن الصحيح إن المسألة خلاف ذلك تماماً، لأن الله سبحانه وتعالى وإن كان له الحق المطلق في اختيار من يشاء من عباده لجعله نبياً أو رسولاً أو ولياً صالحاً يخبر الناس عما غاب وخفى عنهم من أسرار وحقائق عالم الغيب، إلا أن الله إنما يختار من عباده لهذه المهمة من علم منه الأمانة والصدق والإخلاص في تأدية رسالته عنه إلى الناس، وهذا ما نلمحه من إطلاق تأكيدته تعالى على أن

يؤتية الله الكتاب والحكم والنبوة يمتنع عليه أن يسير الناس في اتجاه مغاير لإرادة الله ومشيئته، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (٧٩) ﴿١﴾.

وعلى هذا الأساس نعي أن مسألة الارتباط بالغيب مسألة لها خطورتها الكبيرة التي تجعل منها مهمة ثقيلة لا ينهض بحمل أعبائها وتحمل مسؤوليتها إلا القليل من الناس ممن توفرت فيهم مؤهلات خاصة جعلت منهم أناساً قادرين على القيام بدورهم المطلوب في ربط الإنسان بخالقه وبالعالم الغيب من دون أدنى تقصير أو إخلال بالواجب.

ولقد سعى علماء العرفان إلى بيان المخاطر التي يمكن أن تقع للإنسان في اتصاله بعالم الغيب عبر طريق الكشف والمشاهدة، مع تأكيدهم المسبق بإمكانية اتصال الإنسان بعالم الغيب من خلال هذا الطريق الذي يتأتى للإنسان من خلال تزكية النفس ومجاهدتها بآداب الشريعة ورسومها، بخلاف من أنكر إمكانية هذا الأمر ورأى في مكاشفات العرفاء ومشاهداتهم جنوحاً إلى الخيال وضرباً من الوهم، وسيأتينا الحديث مفصلاً عن العرفان وطريقة العرفاء في تحصيل المعرفة في بعض الكلمات القادمة.

(١) سورة آل عمران الآية ٧٩.

## 👉 الشريعة مقدمة على الحقيقة:

وعلى كل حال فقد أدرك العرفاء إمكانية الاشتباه والخطأ في ما يتوصل إليه أصحاب المكاشفات من نتائج معرفية عبر اتصالهم الروحي بعالم الغيب، ومن هنا بدأ العرفاء يؤكدون على قيود معينة لا يمكن لمكاشفة العارف أن تتجاوزها أو أن تحاول إسقاطها، وأهم تلك القيود أن لا تخالف المكاشفة الشريعة في مقرراتها وأحكامها، ومن هنا قال العرفاء: «إن الشريعة مقدمة على الحقيقة».

وأكدوا في عدة مقامات على ضرورة إتباع الأنبياء والرسل فيها جاءوا به عن الله تعالى.

وفي ذلك يقول القيصري: «فالإهداء إليه تعالى اما باخباره تعالى عن ذاته وصفاته وأسمائه، أو بتجليه لعباده واشهاده نفسه لهم».

وجل جناب الحق عن أن يكون شريعة لكل وارد، أو يطلع عليه إلا واحد بعد واحد فهم الأنبياء الذين هم خلاصة خاصة أهل الوجود والشهود، فواجب لطالب الحق اتباعهم والإهداء به.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة آل عمران: الآية ٣١



وبقدر متابعتة للأنبياء والأولياء يظهر له الأنوار الإلهية والأسرار الربانية<sup>(١)</sup>.

وبعد أني فرق الأملي في «جامع الأسرار ومنبع الأنوار» بين الإلهام الخاص والإلهام العام، وما يكون منه بسبب وما لا يكون بسبب، يصرح بضرورة الحاجة إلى النبي المرسل والإمام المعصوم في التمييز بين الإلهام الحقيقي وغير الحقيقي فيقول: «والتمييز بين هذين الإلهامين محتاج إلى ميزان كلمة ومحك رباني، وهو نظر الكامل المحقق والإمام المعصوم والنبي المرسل، المطلع على بواطن الأشياء على ما هي عليه، واستعدادات الموجودات وحقايقها ولهذا احتجنا بعد الأنبياء والرسل إلى الإمام المرشد، لأن كل واحد ليس له قوة التمييز بين الإلهامين الحقيقي وغير الحقيقي، وبين الخاطر الإلهي والخطاير الشيطاني، وغير ذلك»<sup>(٢)</sup>.

أضف إلى ذلك أن العرفاء طال ما نبهوا على ضرورة وأهمية كون الإنسان في بداية سلوكه إلى الله تحت نظر المرشد الخبير الذي يكشف له عما يمكن أن يلتبس عليه في أثناء مجاهدته لنفسه.

(١) القيصري - رسالة التوحيد والنبوة والولاية ٢١.

(٢) جامع الاسراء ومنبع الانوار ٤٥٥ - ٤٥٦.

وخلاصة ما نريد قوله في ختام هذه النقطة وهذه الكلمة أيضاً: أن على شبابنا المسلم أن يكون دقيقاً في إرتباطه بعالم الغيب وتعامله مع مسائل الروح، وأن يعي تمام الوعي انه مهما بالغ في العبادة والتقرب من الله فإن هناك الشيطان اللعين الذي يسعى لصدّه عن سبيل الله بكل وسيلة وألف حيلة وأن عليه أن يستعين كل الاستعانة بالله سبحانه وتعالى في جميع مراحل جهاده مع النفس الأمارة بالسوء، وإن يسأل الله عز شأنه أن يبصره ما يكايده به الشيطان ويلهمه ما يعدو له.

كما يقول زين العابدين وسيد الساجدين في دعائه عند ذكر الشيطان والاستعاذة منه: «اللهم وما سول لنا من باطل فعرفناه، وإذ عرفتناه فقناه، وبصرنا ما نكايده به، وألهمنا ما نعهده له، وأيقظنا عن سنة الغفلة بالركون إليه، وأحسن بتوفيقك عوننا عليه، الله واشرب قلوبنا انكار عمله، والطف لنا في نقض حيله»<sup>(١)</sup>.

(١) راجع شرح المختصر الصحيفة السجادية - آية الله الفقيه السيد حسين إسماعيل الصدر.

## تحليل دوافع النزوع الروحي عند الشباب

وبيان حد الاعتدال الذي لا يصح للشباب تجاوزه: مما لا ينبغي التأكيد عليه هو القول بأن الإنسان منذ اللحظة الأولى التي يعي فيها عالم الحياة ويبدأ بالتفاعل مع ما يحيط به من أشياء وموجودات يستثيره كل الإستثارة التعرف على عالم الغيب، وبعبارة أخرى: التعرف على غير ما يبصره ويسمعه ويدركه بصورة مباشرة.

وهذا النزوع لمعرفة ما وراء عالم الطبيعة والحس يتعمق بصورة أكبر وشكل أوسع في نفسية الفرد الذي ينشأ وينمو في بيئة دينية متمسكة بمفاهيم الدين وأعرافه، وإن كان الواقع يثبت ان النزوع الروحي يولد مع كل إنسان وهو مغروس في فطرته، غاية الأمر أن هناك عوامل ذاتية وموضوعية تؤثر في تنميته وتوجيهه، أو تؤثر في

تخفيف حدته وحرفه عن وجهته.

وهناك بعض النفوس التي تمتاز بدرجة عالية من الرغبة في التعرف على ما وراء الطبيعة والظواهر والارتباط بعالم الغيب بصورة مباشرة، ولا يهمنها البحث في الدوافع الخاصة التي تدفع بعض النفوس البشرية للتفاعل والتعامل مع القضايا الغيبية بمستوى يفوق المستوى المتعارف بين عامة الناس في الإهتمام بالقضايا الغيبية، ولكن ما نريد قوله هو أن الإنسان كلما إزداد تمسكه بالدين وتعلقه به كلما إزداد تعلقه بعالم الغيب وما وراء الحسن، وربما أثرت بعض الأمور والأحداث التي يمر بها الفرد ولاسيما الشاب في رفع حدة التفاعل بينه وبين عالم الغيب، ولاسيما حينما تترك الأحداث آثاراً نفسية قوية في شخصية الفرد وقرارة نفسه، وربما يقدر لهذه الآثار أن تتحول في الكثير من الأحيان إلى أزمات نفسية تترك إختلالات وإهتزازات واسعة في تفكير الفرد وشعوره وسلوكه.

وهذه الأزمات النفسية تولد عند الإنسان ولاسيما المتدين إحساساً مضاعفاً بضرورة الإلتجاء إلى عالم الغيب والاستنجاد به في حل هذه الأزمات النفسية والروحية أو على أقل تقدير التخفيف من حدتها، ولجوء الإنسان إلى الله في أوقات الأزمات والصعاب أمر مشاهد حتى في سلوك من لا يعتقد بالله ولا يؤمن به، وهذا ما يؤكد القرآن الكريم في العديد من آياته.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

إلى غيرها من الآيات التي تشير إلى هذه الحقيقة، والتي تعطينا انطباعاتاً عاماً بأن الإنسان من شأنه حينها يبتلى بالمشاكل والتعقيدات اللجوء إلى خالقه وربّه، يبت إليه همومه وآلامه، ويستعين به على الثبات في وجه تلك المشاكل والتعقيدات.

ومن المؤكد أن هذا الشعور بالرغبة في الارتباط بالمطلق جل شأنه والالتصاق بعالم الغيب يقوى عند الإنسان المتدين الذي يجد في نفس الدين حثاً أكيداً على تأصيل هذا الارتباط بين الخالق والمخلوق وبين العبد وربّه، وليس من الضروري أن يعكس هذا الشعور رغبة خفيفة في الفرار من عالم الواقع إلى عالم الخيال، كما يخلو للبعض أن يفسر الأمر بهذه الطريقة، لأن عالم الغيب وما وراء الحس والطبيعة غيب بالنسبة لنا وخيار ووهم للذين في قلوبهم مرض وزيف.

وأما بالنسبة إلى الواقع والحقيقة المطلقة لا النسبية هو عالم واقعي وجودي بتمام معنى الواقعية والموجودية وحينها نريد البحث في

(١) سورة يونس: الآية ١٢

(٢) سورة الروم: الآية ٢٣

الدوافع والبواعث التي تأصل النزعة الروحية عند الشاب المسلم فإننا سنجد أمامنا دوافع وبواعث عامة تؤسس لها حضوراً فعالاً في كيان أكثر الشباب المتدين، وسنجد أيضاً دوافع وبواعث خاصة توجدتها وتنميتها الظروف والملابسات الخاصة التي تتكتنف الشاب المسلم في بعض مقاطع حياته ومسيرته. والخطوة تنشأ في واقع الأمر في النوع الثاني من الدوافع والبواعث التي يراد من خلالها تأكيد وترسيخ حالة النزوع الروحي عند الشاب المسلم، لأننا نرى غالبية الشباب المسلم المتدين والملتزم يزاولون العديد من مظاهر الارتباط الروحي في كل يوم وليلة وربما بمستوى يفوق المستوى المطلوب كحد واجب لا يجوز الاخلال به والتخلف عنه، ولكننا مع ذلك لا نرى أن هذا المستوى الواجب أو المستحب من الارتباط الروحي يفرز مظاهر مرضية أو سلبية في تفكير الفرد العقلي، أو في مشاعره وأحاسيسه النفسية، أو في سلوكه العملي الفردي والاجتماعي.

إذن الخطورة لا تكمن في النوع الأول من الدوافع والبواعث العامة التي تربط الإنسان بخالقه وربه، وإنما الخطر كل الخطر يكمن في النوع الآخر من الدوافع والبواعث الخاصة التي غالباً ما ينقص الشاب المسلم التعامل معها بوعي وثبات، وربما كانت هناك أسباب عديدة تقف وراء التعامل المشوه مع القضايا الروحية من قبل الشباب المسلم الذي يعاني مشاكل حياتية خاصة:

**أولها:** الطبيعة النفسية والذاتية للشباب فهو في أكثر الأحيان يتعامل مع القضايا والإثارات التي تواجهه في حياته الشخصية والاجتماعية بصورة انفعالية تضخم بعداً معيناً في القضية أو المشكلة وتتناسى أو تتغافل الأبعاد الأخرى على مستوى التفكير أو العمل، وربما كان الأمر في مواجهة القضية أو المشكلة يستدعي اهتماماً معكوساً أي ما يضخمه الشباب ينبغي أن لا يولى إهتماماً متزايداً، وما يتغافله ويتناساه يلزمه أو يوليه أهمية أكبر وأعتناءً أكثر.

**ثانيها:** أن الشباب غالباً ما يفتقد الواقعية في التعامل مع قضايا الحياة، ويجنح إلى الخيال فيسعى للبحث عن حلول غير واقعية وربما غير ممكنة أصلاً لحلحلة مشاكله الذاتية والموضوعية.

وهذا الجنوح الخيالي واللاواقعي يجعل الشاب ييأس من عالم الواقع لأنه لا يجد فيه الحل المستعجل والجاهز لكل أزمة يعانيتها، ويدفعه إلى أن يسافر إلى عالم الخيال يستنزل منه حلاً لا جاهزة ولكنها خيالية لمشاكل وإثارات واقعه الحياتي ومن المعلوم أن الإنسان أي إنسان كان كلما أسرف في التعامل مع الخيال فإن الخيال ينقلب عنده في نهاية المطاف إلى واقع، كما أنه كلما أسرف في تجاهل الواقع فإن الواقع يتبدل عنده في نهاية المطاف إلى خيال، وهنا تبرز مشكلة الإنسان في تأسيس الحد الفاصل بين الواقع والخيال، وهي مشكلة الناس فيها بين إفراط وتفريط، إلا القليل

ومن وفق لاكتشاف ووعي الحد الفاصل بين العالمين: عالم الواقع وعالم الخيال.

**ثالثها:** الأحكام والتصورات المسبقة التي يكونها الشباب لنفسه عن حقائق عالم الغيب، ومما لا يخفى أن هذه التصورات مملوءة بالكثير من الأخطاء والإشتباهات التي ربما ساعد في تأسيسها نفس معطيات الدين الغيبية ولكن لذاتها وإنما بسبب التصور المغلوط الذي يكونه الشاب لنفسه تجاه تفسير وتحليل هذه المعطيات والظواهر الغيبية والروحية.

وفي الحقيقة والواقع إننا نجد في نفس الدين الإشارة إلى عدد كبير من الظواهر التي ترتبط بشكل أو بآخر بعالم الغيب، وهو ما اصطلح على تسميته بـ«المعجزة» أو «الكرامة» أو غير ذلك من التسميات التي تشير إلى نوع من الفعل الخارق للعادة والذي يتجاوز فيه الإنسان المستوى العادي لقدرة البشر، ويؤكد من خلاله إتصاله وإرتباطه بعالم آخر غير هذا العالم المحسوس، وقد حكى لنا القرآن الكريم المصدر الأساس لمعارفنا الدينية العديد من قصص الأنبياء والصالحين التي تبين قدراتهم على القيام بعدد من الممارسات الخارقة للعادة، ويكفيها في هذا المقام التذكير بقصص موسى وعيسى وسليمان التي أوردها القرآن في أكثر من موقع.



أضف إلى هذا العديد من القصص والحكايات الغيبية التي نجد لها حضوراً مؤثراً في الجو الديني العام، ومما يؤسف له أن فكرنا الديني الإسلامي أعني نتاجات علماء الدين والمفكرين الإسلاميين والخطباء والوعاظ كان يتعامل في الكثير من الأحيان مع هذه القصص الدينية بأسلوب يستثير السامع أو القارئ من دون أن يلحظ التأثيرات المتوقعة من وراء هذه الاستثارة، وهذا ما سنشير إلى خطورته على تفكير الشباب ونفسيته في بعض الكلمات القادمة.

ومن الطبيعي أن يوجد مجموعة هذه العوامل الثلاثة وغيرها مما لم نستطيع إكتشافه حالة نفسية عند الشاب تقوى وتنمى توجهه ونزوعه الروحي ورغبته في الإتصال بالغيب والمغيبات ولو بأدنى مستويات الاتصال، ومن هنا تبدأ المشاكل الروحية تبرز وتظهر في حياة الشاب عبر تصعيده لمستوى التفكير في القضايا الروحية وزيادة وتيرة الارتباط العبادي بالله سبحانه وتعالى، وهذان الأمران يرهقان الشاب فكرياً وجسدياً، ويجمع الارهاق الفكري والارهاق الجسدي لينتجان حالة معقدة من الإرهاق النفسي، لا يستطيع الشاب في كثير من الأحيان تحمل ضغوطاتها واسقاطاتها، وهذا الأمر كفيل بأن يحول الإتصال الروحي الذي كان ينشده الشاب إلى انفصام عقلي ونفسي واجتماعي يقضي على استعداد الشاب وحيوته وحركته ويحيله إلى حطام جسدي يفتقد الروح



والحياة.

ولقد أدرك البعض من العلماء خطورة إرهاب الإنسان نفسه بالعبادات في مرحلة الشباب، فقال بعد أن أورد عدداً من الأحاديث المشيرة إلى هذا الأمر: «ويستفاد من هذه الأحاديث وأحاديث أخرى أدب آخر وهو أيضاً من المهمات في باب الرياضة وهو أدب الرعاية.

وكيفيته أن يراعي السالك في أي مرتبة هو فيها في الأعم من الرياضات والمجاهدات العلمية أو النفسانية أو العملية حاله ويتعامل مع نفسه بالرفق والمدارات ولا يحملها أزيد من طاقته وحاله، ورعاية هذا الأدب بالنسبة إلى الشباب وحديثي العهد من المهمات فإنه إذا لم يعامل الشباب أنفسهم بالرفق والمداراة ولم يؤدوا الحظوظ الطبيعية إلى أنفسهم بمقدار حاجتها من الطرق المحللة يوشك أن يوقعوا في خطر عظيم لا يتيسر لهم جبره، وهو أن النفس ربما تصير بسبب الضغط عليها وكفها عن مشتياتها بأكثر من العادة مطلقة للعنان في شهواتها ويخرج زمام الاختيار من يد صاحبها.

وإقتضاءات الطبيعة إذا تراكمت ونار الشهوة الحارة إذ وقعت تحت ضغط الرياضة خارجة عن الحد لاشتعلت لا محالة واحرقت المملكة، وإذا صار سالك مطلق العنان أو زاهد بلا اختيار فإنه

يقع في مهلكة لا يرى وجه النجاة أبداً ولا يعود إلى طريق السعادة والفلاح وقتاً ما، فعلى السالك أن يملك نفسه في أيام سلوكه كطيب حاذق ويعاملها على حسب إقتضاءات الاحوال وأيام السلوك ولا يمنع نفسه الطبيعية في أيام اشتعال نار الشهوة وغرور الشباب من حظوظها بالكلية.

«وعليه أن يخمد نار الشهوة بالطرق المشروعة فإن في اطفاء الشهوة بطريق الأمر الإلهي إعانة كاملة على سلوك طريق الحق فليتكح وليتزوج فإنه من السنن الكبيرة الإلهية ومضافاً إلى أنه مبدأ البقاء للنوع الإنساني فإن له دوراً واسعاً أيضاً في سلوك طريق الآخرة»<sup>(١)</sup>.

وقال نفس هذا العالم العارف أيضاً: وبالجملة يلزم لسالك طريق الآخرة رعاية أحوال إدبار النفس وإقبالها، فكما أنه لا يجوز له الكف عن الحظوظ مطلقاً فإنه منشأ لمفاسد عظيمة لا ينبغي له أن يزعج نفسه في العبادات والرياضات العملية وألا يجعلها تحت الضغط خصوصاً في أيام الشباب وإبتداء السلوك فإنه أيضاً يكون منشأ لانزعاج النفس ونفورها وربما ينصرف الإنسان به عن ذكر الحق.

(١) الإمام الخميني: الآداب المعنوية للصلاة ٥٨ - ٥٩

والإشارة إلى هذا المعنى في أحاديث كثيرة، ففي الكافي الشريف:  
عن أبي عبد الله قال: إجتهدت في العبادة وأنا شاب فقال لي أبي:  
«يا بني دون ما أراك تصنع فإن الله عز وجل إذا أحب عبداً رضى  
منه باليسير»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي جعفر قال: قال رسول الله: إن هذا الدين متين فأوغلوا  
فيه برفق ولا تكرهوا عبادة الله فتكونوا كالراكب المنبت الذي لا  
سفرأ قطع ولا ظهرأ أبقى<sup>(٢)</sup>. وفي حديث آخر: «ولا تبغض إلى  
نفسك عبادة الله»<sup>(٣)</sup>.

وفي الحديث الثاني الذي هو عن أبي جعفر الباقر نجد بياناً واعياً  
لحالة الإنسان الذي يكلف نفسه في العبادة فوق حدودها وقدرتها،  
فهو يشبه بالراكب الذي يسافر فينقطع به الطريق ويضل مقصوده  
فيظل يدور ويدور باحثاً عن الطريق إلى مقاصده من دون نتيجة،  
وفي النهاية يتعب نفسه بكثرة دورانه وبحثه من دون أن يصل إلى  
مطلوبه، وهذا ما اشار إليه الإمام بقوله: «لا سفرأ قطع ولا ظهرأ  
أبقى»<sup>(٤)</sup>.

(١) بحار الأنوار ج ٦٤ ص ٣٢٤ - المجلسي.

(٢) الإمام الخميني: الآداب المعنوية للصلاة ٥٨ - ٥٩.

(٣) الإمام الخميني: الآداب المعنوية للصلاة ٥٨ - ٥٩.

(٤) الحقائق النضرة ج ١ ص ٢٧٧.

ولقد شاهدت في حياتي بعضاً من شبابنا المسلم الذي انعكس هذا التردّي والسقوط على مساره الحيّاتي نتيجة تحميل نفسه من العبادات والطاعات فوق قدرته، ولم يصل إلى مطلوبه في القرب من الله، والنتيجة الوحيدة التي إستطاع الحصول عليها من وراء سعيه اللاواعي، هذا هي التآزم النفسي في علاقته مع ذاته، والتآزم الروحي في علاقته مع ربه، والتآزم الاجتماعي في علاقته مع الآخرين.

وعلى هذا الأساس تبقى مسألة الارتباط الروحي بالله سبحانه وتعالى في الوقت الذي تكون أمراً مطلوباً ومراداً، مسألة لها خطورتها على أكثر من مستوى حينما يراد لها أن تتحرك في مسارات خاطئة لا يلتفت إليها من يقع فيها إلا بعد فوات الأوان.

ونجد في روايات وأخبار أهل بيت العصمة والطهارة ما يدل على أن الإنسان المتدين كثيراً ما تعترضه حالات نفسية معينة يستشعر فيها الرغبة الجامحة في تكثيف حالة الارتباط الروحي بالله سبحانه وتعالى، فيكثر من العبادات والطاعات، ويقوم بالعديد من الممارسات التي يعتقد أنها تقربه إلى الله، ولكن الحال لا يمكن أن تدوم على هذا المنوال إذ سرعان ما يشعر الإنسان بالتعب والإرهاق نتيجة الضغط المتزايد على نفسه فيبدأ يسكن ويقلل من حدة توجهه الروحي عبر تقليلة ممارساته العبادية والروحية، وحينئذ تبين النتيجة الإيجابية أو السلبية التي خرج بها الإنسان

من سعيه وجده واجتهاده في العبادة، وليس من المحتم أن تكون نتيجة هذا السعي نتيجة إيجابية لأنه وكما ذكرنا سابقاً قد يولد التوجه الروحي المكثف والذي يرهق النفس والجسد بالعبادات والطاعات نتائج سلبية وخطيرة في الوقت نفسه، وهذا ما تفصح عنه روايات كثيرة عن أئمة أهل البيت نذكر منها ما يلي: قال رسول الله محمد ﷺ: «ألا أن لكل عبادة شرة، ثم تصير إلى فترة، فمن صارت شرة عبادته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن خالف سنتي فقد ضل وكان عمله في تباب أما أنى أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأضحك وأبكي، فمن رغب عن منهاجي وسنتي فليس مني»<sup>(١)</sup>. والشرة بمعنى الرغبة، وهي بكسر الشين وتشديد الراء، والفترة بمعنى السكون والتوقف.

قال الإمام جعفر الصادق: «لكل أحد شرة، ولكل شرة فترة، فطوبى لمن كانت فترته إلى خير»<sup>(٢)</sup>. قال العلامة المجلسي في شرح هذا الخبر: «الحاصل أن لكل أحد شوقاً ونشاطاً في العبادة، في أول الأمر، ثم يعرض له فترة وسكون فمن كانت فترته بالاكتفاء بالسنن، وترك البدع أو ترك التطوعات الزائدة فطوبى له، ومن كانت فترته بترك السنن أيضاً أو بترك الطاعات رأساً وارتكاب المعاصي أو بالاقتصار على البدع فويل له»<sup>(٣)</sup>.

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٧١: ٢٠٩، حديث ١

(٢) المجلسي: بحار الأنوار ٧١: ٢٠٩، حديث ٢

(٣) المجلسي: بحار الأنوار ٧١: ٢٠٩، حديث ٢

وتبرز بعض الأخبار الجانب السلبي في الضغط على النفس وكرهاها على العبادة بالقول: «إن للقلوب شهوة وإقبالاً، وإدباراً فأتوها من قبل شهواتها وإقبالها، فإن القلب إذا أكره عمى»<sup>(١)</sup>.

وفي قبال هذا المنحى السلبي الذي يكون هم صاحبه الإكثار من الأعمال والعبادات نرى الإسلام يؤكد على أن العمل القليل الذي يستمر عليه الإنسان خير من العمل الكثير الذي يكون مآله إلى الانقطاع والضجر والملل. وفي ذلك يقول الإمام أبو جعفر الباقر: «أحب الأعمال إلى الله عز وجل ما داوم عليه العبد وإن قل»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام علي أمير المؤمنين: «قليل من عمل مدوم عليه خير من عمل كثير مملول منه»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام الباقر: «ما من شيء أحب إلى الله عز وجل من عمل يداوم عليه وإن قل»<sup>(٤)</sup>.

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٧١: ٢١٩، حديث ٢٥

(٢) المجلسي: بحار الأنوار ٧١: ٢١٩، حديث ٢٥

(٣) المجلسي: بحار الأنوار ٧١: ٢١٩، حديث ٢٥

(٤) المجلسي: بحار الأنوار ٧١: ٢١٩، حديث ٢٥

والعلامة المجلسي بعد أن أورد بعضاً من هذه الأخبار قال: «وكان في أكثر هذه الأخبار إشارة إلى أن السعي في زيادة كيفية العمل أحسن من السعي في زيادة كميته، وأن السعي في تصحيح العقائد والأخلاق أهم من السعي في كثرة الأعمال» وستكلم بتفصيل أكثر عن دوافع النزوع الروحي عند الإنسان بصورة عامة، وموقف الإسلام منها وكيفية توجيهها في المسارات الصحيحة في الكلمة الثالثة من كتابنا هذا «الوصايا العرفانية والأخلاقية» إن شاء الله تعالى.



## حقائق لا بد أن يعيها الشباب في سيرهم التكاملي

أن السالك إلى الله تعترضه عقبات كثيرة في سيره التكاملي نحو الله، وأن عليه أن يكون واعياً وحذراً في كل مراحل تقربه إلى الذات المقدسة، وإلا ربما تحول تقربه إلى الله إبتعاداً عنه، وإتصاله به احتجاباً عنه.

وفي كلمتنا هذه نريد أن نذكر شبابنا المسلم ببعض الحقائق المهمة التي يلزمهم أن يضعوها نصب أعينهم في سيرهم التكاملي نحو الحق والحقيقية، وأهم ما يلزمنا التذكير به هو:

أولاً: خطورة الخوض في المسلك الروحي والقضايا الغيبية من دون مرشد بصير، يرشد الشاب السالك إلى الله في كل مرحلة من مراحل جهاده في ذات الله إلى ما يلزمه التحفظ عليه وما يلزمه التحذر منه.

ومن الملاحظ أن الكثير من الشباب المتدين ولاسيما من يتمتعون بحس ديني مرهف وإرتباط قوي بالله، يواجهون مشاكل عدة في المجال الروحي، وهذه المشاكل إذا لم يستطع الشاب حلها من خلال عرضها على من يمتلك الخبرة والبصيرة في القضايا الروحية فإنها مؤهلة لأن تكبر وتتفاقم وربما تؤدي في نهاية الأمر إلى عواقب وخيمة تفسد على الشاب حياته وتفكيره وسلوكه.

ومن الخطأ أن يتصور الشاب أن مجاهدة النفس وتهذيبها وقطع تصرفات الشيطان اللعين عنها بالكلية مهمة يسيرة يتهيء له إنجازها والقيام بها شخصياً ومن دون الاستعانة بخبرات وتجارب الآخرين ممن وفقهم الله تعالى في الخروج بنتائج إيجابية في المجال الروحي.

ثانياً: من الأمور المهمة للغاية في حركة الإنسان وسعيه من أجل توثيق ارتباطه بخالقه ومعبوده، الاتزان والاعتدال في علاقته بالدنيا من جهة، وبالآخرة من جهة أخرى، إذ من اللازم على الإنسان أن لا يتصور إن الارتباط بالله سبحانه وتعالى والتقرب إليه يعني قطع

علاقته بالكلية مع الدنيا وعدم اعطاء نفسه حظوظها المباحة من متع الدنيا، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْٓءَ اٰدَمَ حُدُوْدًا زَيْتٰكُمۡ عِنۡدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْاۗ اِنَّهٗ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِيْنَةَ اللّٰهِ الَّتِيۤ اَخْرَجَ لِعِبَادِهٖۙ وَالطَّيِّبٰتِ مِنَ الرِّزْقِۙ قُلْ هِيَ لِلَّذِيْنَ ءَامَنُوْا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا خٰلِصَةً يَّوْمَ الْقِيٰمَةِۗ كَذٰلِكَ نَفِصَلُ الْاٰيٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ ﴿٣٢﴾﴾<sup>(١)</sup>.

وقال أمير المؤمنين في وصيته لابنه الحسن : «يا بني للمؤمن ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها بين نفسه ولذتها فيما يحل ويحمد، وليس للمؤمن بد من أن يكون شاخصاً في ثلاث: مرمة لمعاش، أو خطوة لمعاد، أو لذة في غير محرم»<sup>(٢)</sup>.

ولا يتصور أن الآيات أو الأحاديث التي تحث على لزوم اعطاء الإنسان نفسه حظوظها من الدنيا تتنافى وتلك الأخبار الكثيرة التي تذم الدنيا وتدعوا الإنسان لقطع علاقته بها والزهد في متاعها ولذتها، بل مجموع هذين القسمين من الآيات والأخبار إنما يريد حفظ اعتدال الإنسان واتزانه بحيث لا يحصل عنده إفراط في جانب ولا تفريط في جانب آخر، وهكذا الأمر بالنسبة على الأحاديث التي تأمر بالإكثار من العبادة وفي مقابلها الأحاديث التي تمدح

(١) سورة الأعراف: الآية ٣١ - ٣٢

(٢) بحار الأنوار ٧٠: ٦٥، حديث ٦

## الاقتصاد في العبادة.

وفي الجمع بين هذه الأحاديث والأخبار يقول الإمام الخميني قَدَسَ سِرُّهُ: «وما ورد في الأحاديث الشريفة: من الأمر بالجد والسعي في العبادة وما ورد فيها من المدح للذين يجتهدون في العبادة والرياضة، وما ورد في عبادات أئمة الهدى من جهة، وما ورد في هذه الأحاديث الشريفة المادحة للاقتصاد في العبادة من جهة أخرى مبنى على إختلاف أهل السلوك ودرجات النفوس وأحوالها، والميزان الكلي هو نشاط النفس وقوتها أو نفور النفس وضعفها»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: من المطبات الخطيرة التي يقع فيها البعض من جهلة المتظاهرين بالنسك والعبادة هو القول: بأن غاية العبادات والأعمال هو طهارة باطن الإنسان فإذا طهر باطنه وصفى سره فلا حاجة به إلى العبادات.

ونجد هذا الفهم المعوج والخطأ لدور العبادة في حياة الإنسان قد بدء في الظهور منذ العصر الأول للإسلام حينما كان البعض يستدل بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) الإمام الخميني: الآداب المعنوية للصلاة ٥٨ - ٥٩.

(٢) سورة المائدة: الآية ٩٣.

على أن الإنسان المؤمن يصح له أكل وشرب الحرام وأنه ليس عليه جناح في ذلك كما تدل عليه الآية مادام يؤمن بالله ويعمل الصالحات.

ورأينا بعد ذلك هذا الفهم المنحرف يتبلور أكثر وأكثر عند جهلة المتصوفة الذين كانوا يدعون ان غاية العبادات والأعمال الصالحة وصول العبد إلى درجة اليقين فإذا وصل إلى درجة اليقين فلا حرج ولا إثم عليه في ما فعل، ومن أعظم البلايا على الإسلام وأهله أن يعد البعض تجاوزات الجهلة من المتصوفة على الشريعة ومقرراتها كرامة لهم ودلالة على عظم شأنهم وأرتفاع درجاتهم، بحيث يتجاهر بذكر هذه التجاوزات المشينة في كتبه، كما هو الشأن في كتاب «روض الرياحين في حكايات الصالحين» لعفيف الدين أبي السعادات والذي حفل بحكايات الطالحين من المتصوفة الذين ضل سعيهم في الحياة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ونكتفي بذكر هذه الحكاية من الكتاب المذكور مع الإشارة إلى التبريرات السخيفة والواهية التي يبرر بها صاحب الكتاب التجاوزات اللامشروعة التي كان يقوم بها علي الكردي بطل الحكاية.

فقد قال في الحكاية الثالثة والأربعين بعد الأربعمئة: «وقال الشيخ صفي الدين أيضاً رضي الله تعالى عنه في رسالته: لما جاء الشيخ الأجل شهاب الدين السهروردي رضي الله تعالى عنه إلى دمشق في رسالة الخليفة إلى الملك العادل بالخلعة والطوق وغير



ذلك، قال لأصحابه: أريد أن أزور علياً الكردي، فقال له الناس: يا مولانا، لا تفعل أنت إمام الوجود، وهذا رجل لا يصلي ويمشي مكشوف العورة أكثر أوقاته، فقال: لا بد لي من ذلك. قال: وكان الشيخ علي الكردي مقيماً أكثر أوقاته في الجامع، حتى دخل عليه مولانا له آخر يقال له ياقوت، فساعة دخوله من الباب خرج الشيخ علي من دمشق وسكن جبانته بالباب الصغير، وما دخلها بعد ذلك إلى أن مات، وياقوت فيها يتحكم، فقالوا للشيخ شهاب الدين هو في الجبابة، فركب بغلته ومشى في خدمته من يعرفه موضعه، فلما وصل إلى قريب مكانه ترجل وأقبل يمشي إليه، فلما رآه علي الكردي قد قرب منه كشف عورته، فقال الشيخ شهاب الدين: ما هذا شيء يصدنا وها نحن ضيفانك، ثم دنا منه وسلم عليه وجلس معه... الخ».

وهذه المخالفة الصريحة من ذا الولي لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

تبرر عند صاحب الكتاب بالقول: «وهذا الوله المذكور عن الشيخ علي الكردي موجود في كثير من الأولياء مشهور، وقد زاد علي كثير منهم حتى نسبوا إلى الجنون وهم المعروفون في الكتب بعقلاء المجانين، وكثير منهم قيدوا وحبسوا، وقد ذكرت جماعة منهم في هذا الكتاب يحسب الناس أنهم مجانين وهم العقلاء

(١) سورة النور الآية ٣٠

والأولياء، ولكن محبة الله ومعرفته وعظيم ما شاهدوا من عظمته وجلاله وكماله حيرهم وهيمهم وشجاهم وتيمهم».

ويبرر صاحب الكتاب هذا الانحراف والخروج عن حدود الشريعة في الفصل الأول من خاتمة كتابه حينما يتحدث عن زيارة السهروردي لعلي الكردي هذا، فيقول: «ولم يصدده عنه ما قابله به من كشف عورته وما نسب إليه من ترك الصلاة وغير ذلك لما عرف فيه من الولاية التي سبقت بها العناية»<sup>(١)</sup>.

وفي الحقيقة والواقع أن صدور مثل هذه الأفعال المخالفة للشرع من قبل المدعين للولاية والقرب من الله، وتبريرها من قبل البعض الآخرين من الجهلة هو الذي أوجب التشنيع على عرفاء الإسلاميين ونسبتهم إلى التصوف والخروج عن الدين من قبل الفقهاء وعامة الناس، وعلى هذا الأساس تم الخلط بلا وعي وإدراك بين العرفان الصحيح والتصوف الباطل.

وهي مسألة لا يسعنا بحثها بكل تفاصيلها في هذا المقام، وإنما أردنا فقط من خلال هذه الإشارة المختصرة إليها تنبيه شبابنا المسلم على ضرورة عدم الوقوع في هذه الاشتباهاة الخطيرة، وعدم الاقتناع بالتبريرات التي تقدم لها، ويكفي في إبطالها أننا لم نشاهد في سيرة رسول الله ﷺ والأئمة من أهل بيته هذه المخالفات، بل

(١) راجع الإنحراف والخروج ج ١ ص ١٦٦.

كانوا حريصين كل الحرص على التمسك بأحكام الشريعة والتأدب بآدابها مع ما لهم من قدم صدق في الولاية والقرب من الله عز شأنه.

رابعاً: إن على الشاب المسلم وكل من يريد السلوك إلى الله والتقرب منه أن يعي أن التقرب إلى الله وتوثيق الاستصال بعالم الغيب لا يعني الانفصال عن هذا العالم الدنيوي، وعدم إحساس الإنسان بمشاكل المجتمع ومعايشته لهوموم، وهناك فرق بين أن نقول: إن الإسلام وكل الشرائع السماوية تدعوا الإنسان إلى الترفع عن عالم المادة والتوجه إلى العالم الغيبي، وبين أن نقول: إن الإسلام والأديان الإلهية تريد قطع صلة الإنسان بعالمه الدنيوي وجعله مترفعاً عن الإحساس بهوموم الناس ومشاكلهم.

فالأمر الأول صحيح وأما الأمر الثاني فلا، لأننا حينما نتفكر في نفس الغاية التي من أجلها شرع الله جل وعلا الدين وبعث الأنبياء والرسل نلاحظ أنها ترتبط بالناس وبالمجتمع كل الارتباط ويكفيها التأمل في الآيات القرآنية التالية:

الأولى: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة الحديد الآية ٢٥.



الثانية: قوله تعالى: ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُمِينَاتٍ لِيُحَرِّجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ ﴾ (١).

الثالثة: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾ (٢).

فهذه الآيات الكريمة وغيرها كثير تدلنا على أن الغاية من بعث الأنبياء والرسل هي إقامة العدل في المجتمع وإخراج الناس من ظلمات الوهم والجهل والشرك إلى نور العلم والحقيقة والتوحيد الخالص لله تعالى فهل كان بإمكان الرسل والأنبياء أن ينجزوا هذه المهمة ويقوموا بتلك الوظيفة وهم بعيدون عن الناس لا يدرون ما هي همومهم ولا يعون ما هي مشاكلهم؟

ولقد سعى الإسلام لمحاربة هذه النظرة الإنزوائية والإنعزالية التي يريد البعض من خلالها حصر الإسلام في دائرة ضيقة تنصب كل اهتماماتها على تضخيم المعاناة الذاتية للشخص وتتغافل كل

(١) سورة الطلاق: الآيات ١٠ - ١١.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٥.



أنواع المعاناة التي يعيشها الآخرون، حينما أعتبر العديد من مظاهر السعي الاجتماعي التي تستهدف حل مشاكل الآخرين والتفاعل معهم أفضل بكثير من مظاهر السعي الفردي التي تتأطر بالتفكير الضيق في قضايا الذات وهمومها الشخصية، في الحديث عن الإمام الصادق: «لقضاء حاجة امرء مؤمن أحب إلى الله من عشرين حجة كل حجة ينفق فيها صاحبها مئة ألف»<sup>(١)</sup>.

وحدث إسحاق بن عمار عنه إنه قال: «من طاف بهذا البيت طوفاً واحداً كتب الله عز وجل له ستة آلاف حسنة ومحا عنه ستة آلاف سيئة، ورفع الله له ستة آلاف درجة حتى إذا كان عند الملتزم فتح الله له سبعة أبواب من أبواب الجنة، قلت له: جعلت فداك هذا الفضل كله في الطواف؟

قال: نعم وأخبرك بأفضل من ذلك، قضاء حاجة المسلم أفضل من طواف وطواف وطواف حتى تبلغ عشرين»<sup>(٢)</sup>.

وعن الإمام الصادق: «لأن أمشي في حاجة أخ لي مسلم أحب إلى من أن أعتق ألف نسمة وأحمل في سبيل الله على ألف فرس مسرجة ملجمة»<sup>(٣)</sup>.

(١) أصول الكافي ٢: ١٩٣، حديث ٤.

(٢) أصول الكافي ٢: ١٩٤، حديث ٨.

(٣) أصول الكافي ٢: ١٩٧، حديث ٤.

خامساً: من المهمات التي يلزم التوجه إليها أن لا تكون الغاية لسعي الإنسان الروحي شيئاً آخر غير الله سبحانه وتعالى، فهو الغاية التي ينبغي أن يجعلها الإنسان لكل أعماله الخيرة وقرباته الصالحة.

ولذا لا ينبغي للإنسان أن يندفع في العبادة ويكثر منها بغرض نيل الكرامات التي نسمع بصدورها كثيراً من أولياء الله تعالى، وليعلم الإنسان الذي يريد السعي إلى الله بقدمي الاخلاص والعبودية أن نيل الكرامة ليس هدفاً في حد ذاته، وربما كان اشتغال الإنسان واهتمامه بالكرامات من الحجب التي تحجب الإنسان عن الوصول إلى مقصده الأصلي من سعيه الروحي.

يقول الإمام الخميني قده: «وإذا كان السالك في سلوكه إلى الله طالباً لحظ من الحظوظ النفسانية ولو كان هو الوصول إلى المقامات بل ولو كان هو الوصول إلى قرب الحق بمعنى وصول نفسه إلى الحق فليس هذا السلوك سلوكاً إلى الحق..، فالسفر إذا كان في مراتب النفس وللوصول إلى الكمالات النفسانية فليس بسفر إلى الله بل هو سفر من النفس إلى النفس»<sup>(١)</sup>.

(١) الوصايا العرفانية - الإمام روح الله الخميني قده.

هذه خمسة أمور مهمة أردنا من شبابنا المسلم الذي يسعى إلى التكامل والقرب من الله أن يأخذها في حسبانها ولا يغفل عنها، لأن الغفلة عنها ربما أدت إلى أن يتحرك الشاب المسلم في اتجاه معاكس لما يريده الله منه في الوقت الذي يعتقد أن سعيه الروحي يقربه من الله، تصحيح الدوافع الخاطئة في التوجه الروحي عند الشباب حينما يتوجه الإنسان للقضايا الروحية والغيبية يبحث فيها ويتعامل مع ظواهرها المختلفة الواقعية والوهمية، فإنه يدفعه إلى ذلك أحد أمور أربعة:

أولاً: المشاكل الحياتية المستعصية والمعقدة والتي تولد أزمات نفسية لا يجد الإنسان لها حلاً إلا بالتجاء إلى الله والتضرع إليه، ولقد أشارت العديد من آيات الذكر الحكيم إلى هذه الحقيقة واعتبرتها دليلاً دامغاً يقف في مواجهة كل إنسان يغالط نفسه حينما يحاول التنكر لخالقه ومبدعه في حالات الفرع والنعمة والرخاء ثم يناقض نفسه ويخادع ربه بالالتجاء إليه في حالات الضر والشدة التي ما أن تنجلي حتى يعود من جديد يتناسى ربه وولي نعمته ويتغافل كل الحقائق التي اعترف بها من قبل.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ (١).

قال تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرَوْنَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ (٢).

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ (٣).

ثانياً: رغبة الإنسان في التعرف على الأمور الغيبية والاحتكاك بها من قرب وبصورة مباشرة، وهذه الرغبة أما ان تنطلق بدافع ديني باعتبار وجود الحقائق الغيبية في كل الأديان حتى التي كانت من اختراع البشر أنفسهم، والتعامل مع هذه الحقائق كمسلمات غيبية مفروضة لا يقنع البعض من المتدينين فيسعى لتحصيل اليقين بهذه الحقائق الغيبية عبر محاولة اثباتها بصورة شهوية وحضورية.

(١) سورة يونس: الآية ١٢.

(٢) سورة النحل: الآيات ٥٣ - ٥٤.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٦٧.



وأما ان تنطلق الرغبة في التعرف على حقائق عالم الغيب بدافع علمي محض باعتبار أن بعض الظواهر الروحية والغيبية تشغل بال وتفكير الكثير من الناس ممن يدفعهم حب الاستطلاع والمعرفة إلى محاولة تفسير هذه الظواهر والوصول إلى عللها الخفية وأسبابها الحقيقية، فيندفع البعض للتعرف عليها بصورة علمية كما هو الشأن في علم «الباراسيكولوجي» الذي يعني بدراسة الظواهر الغيبية الخفية.

وأما أن ينطق الإنسان بدافع فضولي عبثي تتحكم فيه رغبة البعض في ممارسة السحر والشعوذة واستحضار الجن والأرواح لمصالح ذاتية معينة.

ثالثاً: شفافية بعض النفوس وتعلقها الفطري بعالم الغيب وما وراء المادة منذ بداية نشوئها وبلا تعمد وتكلف منها، وقد عنى البعض من عرفاء الإسلام بالاشارة على هذه الشفافية والانجذاب إلى عالم الغيب التي تتمتع بها بعض النفوس البشرية، والعلل التي تكمن وراء هذه الحالات الاستثنائية، وفي عصرنا الحديث أهتم علم «الباراسيكولوجي» بدراسة واستقصاء وتفسير هذه الحالات ووصل إلى نتائج متفقة جداً مع نتائج واستخلاصات العرفاء الإسلاميين، وربما نوفق لاستعراض بعض هذه النتائج في بعض كلماتنا القادمة.

رابعاً: الرغبة في السمو الروحي وتطهير النفس من خبائث وتعلقات عالم المادة، وهي المهمة التي جاءت الأديان الإلهية لتدعو الإنسان لانجازها والقيام بها.

قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١)

وقد تبنى التوكيد على هذه المهمة والتنظير لها بصورة أساسية في تاريخنا الإسلامي المتصوفة والعرفاء الإسلاميون، ينطلقون في ذلك من اعتقادهم الراسخ بأن المهمة الأساسية للدين هي هذه.

ومع هذه الأمور أو الدوافع الأربعة لا ينبغي التغافل عن أن الإنسان خلق بأصل فطرته منشداً إلى العالم الغيبي والغيبيات ولاسيما مسألة الخلق والخالق التي يمكن اعتبارها أول مسألة غيبية تستجذب تفكير الإنسان واهتمامه.

وبعد بيان واستعراض هذه الدوافع الأربعة التي تدفع الإنسان للتفكير في المسائل الغيبية والتعامل بصورة أو بأخرى مع القضايا الروحية، فإننا نود التأكيد على أن الدافع الصحيح والسليم الذي جاءت الأديان الإلهية عموماً والإسلام خصوصاً لتجعله منطلقاً

(١) سورة القصص الآية ٧٧.

في التعامل مع العالم الغيبي هو الدافع الرابع، فالأديان السماوية إنما جاءت لتؤسس وتقوي وتهذب الرغبة التي فطر عليها الإنسان في الانشداد إلى ما وراء الحس والطبيعة، وهذا لا يعني أن الرسائل الإلهية جاءت لتقطع وتفصم العلاقة بين الإنسان وعالمه المادي الدنيوي بصورة كلية، بل هي إنما جاءت لترسم الحدود مضبوطة في علاقة الإنسان بعالم الغيب وعلاقته بعالم المادة، وهذا ما نعتقد أن القرآن عكسه بصورة جلية وعكسه أيضاً حينما علم الإنسان المؤمن بأن يدعو ربه قائلاً: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) (١).

وأما اندفاع الإنسان نحو التقرب من الله والتضرع إليه في حالات الضر والشدة وتناسيه في حالات الرخاء، فهي صورة من التعامل لا يستسيغها الإسلام ولا يرتضيها لأنها تستبطن مستوى غير يسير من النفاق القلبي الذي لا يقره الإسلام في أي مستوى من مستوياته.

وأما محاولة الاندفاع في التعامل مع القضايا الغيبية والروحية من أجل تحقيق منافع شخصية ومصالح ذاتية تتنافى والغايات التي يرسمها الإسلام للإنسان في علاقته بالله وبالعالم الغيب، كما هو الشأن عند السحرة والمشعوذين ومن يستحضرون الأرواح والجنان

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠١.



لإخبارهم بالمغيبات أو تسخيرهم في بعض الأعمال والمهام، فهي صورة من التعامل المشوه مع الغيبات حرماً الإسلام وأعطى رأيه الصريح في ضرورة الابتعاد عنها، وقد بحث الفقهاء، ما يرتبط بهذه المسألة من قريب أو بعيد في كتبهم الفقهية الاستدلالية فيلزم من أراد التعرف على الرأي الإسلامي المفصل فيها أن يراجع هذه الكتب الفقهية. وأما الذين يتميزون بفطرتهم وأصل خلقتهم ومزاجهم الطبيعي بارتباط قوي بعالم الغيب، فهم يمثلون حالة استثنائية كما ذكرنا يلزم توجيهها ووضعها في مسارها الصحيح، وتجنب الخروج بها عن الأطار الشرعي الذي يرسمه ويحدده الإسلام للإنسان في تعامله مع العالم الغيبي.

وتبقى عندنا محاولة التعامل مع الظواهر الغيبية بمنهج علمي مجرد لا يمهه إلا اكتشاف الظاهرة وإثباتها ومن ثم محاولة تفسيرها والوصول إلى أسبابها الحقيقية وعللها الطبيعية، كما هو الأمر عند علماء الباراسيكولوجي في عصرنا الحديث، فهي صورة من التعامل مع الغيبات لا نرى فيها بأساً مادامت لا تتجاوز حدود الشريعة ولا تسعى لتوظيف معطيات العلم ونتائجه في أغراض تتنافى والقيم والمصالح الإنسانية العامة.

وإلى حد الآن ربما كانت معطيات ونتائج العلم المذكور تؤكد واقعية وصواب التفسير الديني للظواهر الغيبية، وبوجه من الوجوه ربما امكنا اعتبار تأسيس هذا العلم واستحدثه في عالمنا

الحديث وما يلقاه من اهتمام يتزايد يوماً بعد يوم، عودة قهرية للتفسير الديني في وقت كان يعتقد الكثيرون أن التفسير الديني لكثير من القضايا الإنسانية هو تفسير خرافي يناقض العلم والمنطق وأن زمانه قد انتهى وولي إلى غير رجعة، وهذا الاعتقاد كان هو الدافع الأساس في محاولة استبدال الدين بعلوم النفس والاجتماع والتربية التي أريد من خلالها أن يلجأ الإنسان إليها في حل مشاكله الإنسانية النفسية والاجتماعية والتربوية بدلاً من أن يلجأ إلى دين يبحث فيه عن حل لمشاكله هذه.

ولكننا نشهد من خلال مسيرة هذه العلوم وبالأخص مسيرة علم النفس وما انتهت إليه من تأسيس علم «الباراسيكولوجي» في وقت متأخر، وهو العلم الذي يعتبر الحلقة الأكثر تطوراً في تخصصات علم النفس، إن العلوم الإنسانية ولاسيما هذه العلوم الثلاثة قد عادت وارتدت من جديد في أحضان الدين مقرة بعجزها في الوصول إلى تفسيرات واقعية لكثير من حقائق النفس الإنسانية.. وهكذا كان سعي الإنسان وراء علوم النفس والاجتماع والتربية سعياً وراء السراب الذي يحسبه الظمان ماء فلا يجده ويجد الله عنده وأمامه.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعِهِ يَتَجَسَّسُونَ  
الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ  
حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٣٩) (١).

وبعد أن بينا دوافع التعامل الإنساني مع القضايا الروحية والغيبية، والصحيح والسقيم من هذه الدوافع، نريد أن نقول لشبابنا المسلم: إن عليهم أن ينطلقوا في علاقتهم بالله سبحانه وتعالى وبالغيب من الأمور التالية التي يلزمهم تأسيسها في سعيهم التكاملي نحو المطلق جل شأنه، وهي، أولاً: طلب السمو الروحي والقرب من الله في الاتصال بالعوالم الغيبية والسعي بكل اصرار لتجريد النفس من كل رغبة أخرى، ومن المؤكد أن من يجعل هدفه وغايته في كل مراحل سيره وسلوكه الله جل شأنه فإن الله لن يضيع عمله وسيهديه صراطه المستقيم.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ  
الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦٩) (٢).

(١) سورة النور: الآية ٣٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٦٩.

ولا بأس أن نؤكد مرة أخرى على ضرورة وأهمية تحصيل الاخلاص في السعي إلى الله، فإنه لا ينجو من كيد الشيطان إلا عباد الله المخلصون - بفتح اللام - كما أظهر ذلك الشيطان اللعين نفسه حينما طلب من الله أن يمهله إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴿١﴾

والعبد المخلص بفتح اللام - هو الذي أخلص لله في كل شأن من شؤونه فاستخلصه الله لنفسه، ومنع عدوه الشيطان من الوصول إليه.

ثانياً: ضرورة الإيمان بالغيب ما علمنا به وما لم نعلم به إيماناً مطلقاً، والإيمان بالغيب هي الصفة التي يلزم المؤمن التحلي بها على الدوام.

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴿٢﴾

(١) سورة الحجر: الآيات ٣٦ - ٤٠.

(٢) سورة البقرة: الآيات ٢ - ٣.

ثالثاً: في الوقت الذي يلزم الإنسان المؤمن بالله سبحانه الإيمان والاعتقاد بالغيب فإنه يلزمه أيضاً تقوية إيمانه هذا باستحصال الأدلة العقلية البرهانية على مسائل العقيدة، لأن الإيمان درجات وكلما ازداد علم الإنسان وتفهمه لمسائل العقيدة كلما ازداد رسوخه في الإيمان وثباته في اليقين.

قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: إن على الإنسان أن يشعر نفسه بالجهل والقصور في معرفة الكثير من أسرار الكون وخفايا الوجود، وأنه مهما آتاه الله من العلم والمعرفة فإن علمه كلاً شيء بالنسبة إلى علم الله الذي هو بكل شيء محيط، ولقد ذكرنا القرآن بهذه الحقيقة التي ينبغي أن تظل ماثلة أمام أعيننا وفي أذهاننا حينما قال لنا انكم تعجزون عن معرفة حقيقة الروح التي هي من أقرب الأشياء إليكم.

قال تعالى: ﴿وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة المجادلة الآية ١١.

(٢) سورة فاطر: الآية ٢٨.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٨٥.

خامساً: إن على الإنسان أن يرتبط بالله تعالى في سيره إلى عالم الغيب وأن يستعين به في كل أموره ويستهديه، وأن لا يرى لنفسه حولاً وقوة إلا بالله.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (٤) ﴿١﴾.

وإن على الإنسان أن يلتمس الهدى والنور من الله جل شأنه لأن الله يقول: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (٤٠) ﴿٢﴾.

سادساً: إن على الإنسان ولاسيما الشاب في بداية طريقه وسلوكه إلى الله أن يتوجه إلى حيل الشيطان ومكائده، وأنه يقف له بالمرصاد يريد صده عن السبيل، وإن هذا العدو اللعين لا يخلص الإنسان من كيدته إلا بالاستعانة التامة والاستعاذة الكاملة بالله تعالى، وبدوام المراقبة لجميع حركاته وسكناته، بحيث لا يدع للشيطان فرصة ولو يسيرة لنفوذه إلى باطنه أو التصرف في ظاهره، وهذا ما يوصينا به أحد العرفاء الذين وفقهم الله في السير والسلوك إليه ببصيرة نافذة ووعي تام حينما يقول: «فعلى سالك طريق الآخرة لزوماً حتماً أن يخلص معارفه ومناسكه من تصرف الشيطان والنفس الأمارة مهما بلغ من الجهد وأن يغوص في حركاته الباطنية، وتغذياته الروحية، ولا يغفل عن حيل النفس والشيطان وحبائل النفس

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢٤.

(٢) سورة النور: الآية ٤٠.

الأمارة وإبليس وأن يسوء ظنه سوء الظن الكامل في جميع حركاته وأفعاله، ولا يخلي نفسها على رسلها أناما، فربما تتغلب على الإنسان وتصرفه إذا تسامح معها وتسوقه إلى الهلاك والفناء، لأن الأغذية الروحانية إذا لم تكن خالصة من تصرف الشيطان وتدخلت يده في أعدادها فمضافاً إلى أنه لا تتربى بها الأرواح والقلوب ولا تصل إلى الكمال اللائق بها، يحصل لها النقصان الفاحش أيضاً، ولعلها تجعل صاحبها منسلكاً في سلك الشياطين والبهائم والسباع، وما هو السبب للسعادة ورأس المال لكمال الإنسانية والوصول إلى المداير العالية ليعطي النتيجة المعكوسة ويسوق الإنسان إلى الهاوية المظلمة للشقاوة كما رأينا في بعض أهل العرفان الاصطلاحي أشخاصاً انتهت بهم هذه الاصطلاحات والغور فيها إلى الضلالة وجعلت قلوبهم منكوسة وبواطنهم مظلمة وصارت الممارسة في المعارف موجبة لقوة أنانيتهم وأنيتهم وصدرت منهم الدعاوى غير اللائقة والشطحات غير المناسبة.

وكذلك رأينا في أرباب الرياضات والسلوك أفراداً أوجبت رياضتهم واشتغالهم بتصفية النفس جعل قلوبهم أكدر وبواطنهم أظلم، وما جاءهم ذلك كله الأمن قبل أنهم لم يتحفظوا على سلوكهم المعنوي ومهاجرتهم إلى الله وكان سلوكهم العلمي وارتياضهم

بتصرف الشيطان والنفس وإلى الشيطان والنفس»<sup>(١)</sup>.

---

(١) الوصايا العرفانية - الإمام روح الله الخميني قدس سره.



## الشباب وعالم الأحلام والرؤى

إبتليت مجتمعاتنا الإسلامية وربما كل المجتمعات الدينية بمشكلة التعامل مع الغيب والغيبيات، ومن أهم تلك الإثارات التي ترتبط بالجانب الغيبي هي مشكلة الأحلام والرؤى، إذ ان هذه المشكلة قدر لها أن تضخم وأن يتم التعامل معها أما من موقع الرفض المطلق لكل أسسها المعقولة واللامعقولة، أو من موقع القبول المطلق لكل أسسها المعقولة واللامعقولة أيضاً، وهكذا صار الناس في موقفهم من الأحلام والرؤى بين إفراط وتفريط.

وقبل أن نحاول معالجة المشكلة واستكشاف الموقف الشرعي والعقلي تجاهها، لابد أن نشير إلى حالة مؤسفة جداً تنتشر في أوساط مجتمعاتنا الإسلامية، ويسمح لها أن تؤسس البناء الفكري والعقدي والسلوك الفردي والاجتماعي للإنسان المسلم، وهي حالة الاندفاع في التعامل مع الغيبات بصورة تفتقد كل مقومات الوعي والإدراك، إذ من الملاحظ أن هناك الكثير من الارتباكات والتخبطات الفكرية والنفسية والروحية والسلوكية يعيشها عدد غير يسير من المسلمين ولاسيما من الشباب المسلم المتدين نتيجة انعدام الرؤية الواضحة عندهم في ما يتعلق بالغيب والغيبات.

وبصورة عامة فإن المشكلة الروحية للإنسان المسلم المعاصر تكمن في سماحه للغيب المختلق والمتوهم بأن يتدخل في حياته بشكل يفسد عليه كل ارتباطاته الغيبية واللاغيبية. وهذا الأمر ينتج من قصور أو تقصير في وعي وإدراك واستيعاب حقائق الإسلام ما يرتبط منها بالغيب والعالم الآخر الذي ينتظره المسلم، وما يرتبط منها بحاضره وعالمه الدنيوي الذي يعيشه بالفعل.

وحيثما نقول بأن المشكلة الروحية للإنسان المسلم المعاصر في أساسها مشكلة تعامل مع غيب مختلق ومتوهم، فذلك لأننا ندرك بأن الكثير من التصورات والأفكار التي يحملها العديد من المسلمين عن عالم الغيب تصورات وأفكار لا تمت إلى الإسلام بصلة ولا ترتبط معه بأي رابط، وفوق ذلك فإن هذا التعامل

يفسح له المجال أن يفسد ويدمر حياة الإنسان المسلم حتى في بعدها الروحي، وهذا ما نجزم بأن الإسلام ما كان يبتغيه وما كان يرتضيه من المسلم.

ولقد دخل الإمام عليّ على العلاء بن زياد الحارثي يعود فشكا إليه العلاء أمر أخيه عاصم، فقال له العلاء:

يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد.

قال الإمام: وما له؟

قال العلاء: لبس العباءة وتخلي عن الدنيا.

قال الإمام: عليّ به فلما جاء قال: يا عدي نفسه لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك!

أترى الله أحل لك الطيبات، وهو يكره أن تأخذها!

أنت أهون على الله من ذلك<sup>(١)</sup>.

وما نريد إثارته من حديث عن الأحلام والرؤى في هذه الكلمة نطلق فيه من محاولة تصحيح مظاهر التعامل اللاواعي والسلبي التي يمارسها الكثير من الأفراد المتدينين في أوساط مجتمعاتنا الإسلامية في موقفهم من الرؤى والأحلام سواء التي يشاهدونها

(١) سفينة البحار ج ٣ ص ٢٦٦.

بأنفسهم أم التي يشاهدها غيرهم من الناس ويصل خبرها إليهم. إننا نشعر ان هناك الكثير من السذاجة والبساطة واللاواقعية يتمتع بها المسلمون في نظرتهم للمسائل الغيبية وموقفهم منها، وأفضل دليل على ذلك الاستجابة السريعة والتأثيرات العميقة التي تجدها وتتركها كل ظاهرة تتعلق بالأمور الغيبية في نفوس أكثر المسلمين ولو كانت الظاهرة عاجزة عن إثبات نفسها بأي دليل مقنع، ويكفي أن يخترع أي إنسان ولو كان فاسقاً وبعيداً كل البعد عن الدين معجزة وكرامة وأي قصة ذات طابع غيبي وينسبها إلى شخصية مقدسة في الوسط الديني ليجد أكثر الناس تتبأشر بنقلها وكأن الجميع قد شاهدها بأم عينيه، ومن يحاول التشكيك في حصولها وصدورها ولو لم يكن يحمل نية سيئة فإنه لن يواجه بأقل من النفور والاشمئزاز، وربما يتهم بمحاولة تشكيك الآخرين في حقائق الدين.

وعلى هذا الأساس يبرز لنا في الوسط الديني الإسلامي بين فترة وأخرى من يدعي أنه يطلع على قضايا غيبية بصورة أو أخرى، ومن الطبيعي أن لا يعجز مثل هؤلاء المدعون عن الحصول على العديد من الأنصار والأتباع الذين يدافعون عنهم ويتبنون كل النتائج المتحصلة من مشاهداتهم الغيبية.

وخطورة هذه الدعاوي أنها تستطيع أن توجد قناعات قلبية ونفسية عند من يؤمنون بها ويصدقون مدعيها بحيث لا يمكن لأي دليل عقلي أو شرعي مهما كان محكماً وثابتاً أن يزلزل أو يزحزح تلك القناعات الثابتة.

ومن المؤسف جداً أن تصير الرؤى والمنامات من الأمور التي يعتمد عليها بصورة كلية عند الكثير من المتدينين حتى في أمور لا مجال للرؤيا في إثباتها أو نفيها، وربما كان أحد أسباب هذا التعامل اللاواعي من قبل المتدينين مع قضايا الرؤى والمنامات هو تقصير أصحاب الفكر والعلماء في بيان وإيضاح حقيقة الرؤى والأحلام والاشتباكات التي يمكن أن تحيط بها وتلتبس على من يشاهدها مع كثرة ابتلاء المتدينين بمسائل الرؤى والمنامات، وانجرار الكثير منهم للتعامل معها بصورة لا واعية وسلبية.

ومع أن عدداً من العلماء والفلاسفة والعرفاء الإسلاميين تعرضوا في جملة من كتاباتهم لأبحاث مهمة وأساسية في الرؤى والأحلام إلا أن هذه الأبحاث كانت تتخذ في أكثر الأحيان منهجاً إختصاصياً وأسلوباً علمياً معقداً مما لا يوفر دواعي الاطلاع عليها ومحاوله هضم واستيعاب أفكارها من قبل عامة الناس.

ولقد أفصح الشيخ المفيد رضي الله عنه في كلمة مختصرة له عن المنامات عن أهم مظاهر التعامل السلبي مع أبعاد هذه القضية حينما قال:



«إن الكلام في باب رؤيا المنامات عزيز، وتهاون أهل النظر به شديد، والبلية بذلك عظيمة، وصدق القول فيه أصل الجليل»<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا الأساس فإننا سنحاول أن نعالج مشكلة الموقف من الرؤى والأحلام في هذه الكلمة، وسنسى لتقديم صورة واضحة وجليّة عن حقيقة الرؤى والمنامات نأمل من خلالها أن تتلاشى مظاهر التعامل السلبي مع الرؤى والمنامات عند شبابنا المسلم الذي نخصه ونعنيه بالحديث قبل غيره من الناس.

👉 وستتم معالجة المشكلة من خلال النقاط التالية:

### النقطة الأولى: حقيقة الرؤى والمنامات:

في هذه النقطة سنحاول التعرف على حقيقة الرؤى والمنامات وكيف تحصل للإنسان عند نومه، وأول بيان عن حقيقة الرؤى والمنامات.

نقدم للقارئ هو ما ينقله العلامة المجلسي في «بحار الأنوار» عن بعض الحكماء إذ يقول: «إن للنفوس الإنسانية اطلاعاً على الغيب في حال المنام وليس أحد من الناس إلا وقد جرب ذلك من نفسه تجارب أوجبته التصديق، وليس ذلك بسبب الفكر، فإن الفكر في حال اليقظة التي هو فيها أمكن يقصر عن تحصيل

(١) سفينة البحار ج ٦ ص ٥٥٦ نقلا عن الشيخ المفيد.

مثل ذلك، فكيف في حال النوم، بل بسبب أن النفوس الإنسانية لها مناسبة الجنسية إلى المبادئ العالية المنتقشة بجميع ما كان وما سيكون وما هو كائن في الحال، ولها أن تتصل بها اتصالاً روحانياً وأن تنتقش بها هو مرتسم فيها، لأن اشتغال النفس ببعض أفعالها يمنعها عن الاشتغال بغير تلك الأفعال، وليس لنا سبيل إلى إزالة عوائق النفس بالكلية عن الانتقاش بها في المبادئ العالية، لأن أحد العائقين هو اشتغال النفس بالبدن، ولا يمكن لنا إزالة هذا العائق بالكلية مادام البدن صالحاً لتديرها، إلا أنه قد يسكن أحد الشاغلين في حالة النوم. فإن الروح ينتشر إلى ظاهر البدن بواسطة الشرايين وينصب إلى الحواس الظاهرة حالة الانتشار ويحصل الإدراك بها، وهذه الحالة هي اليقظة فتشتغل النفس بتلك الإدراكات.

فإذا انخس الروح إلى الباطن تعطلت هذه الحواس وهذه الحالة هي النوم، وتتعطلها يخف إحدى شواغل النفس عن الاتصال بالمبادئ العالية والانتقاش ببعض ما فيها، فيتصل حينئذ بتلك المبادئ اتصالاً روحانياً، ويرتسم في النفس بعض ما انتقش في تلك المبادئ وما استعدت هي لأن تكون منتقشة به، كالمرايا إذ احوذى بعضها ببعض، والقوة المتخيلة جبلت محاكية لما يرد عليها، فتحاكي تلك المعاني المنتقشة في النفس بصور جزئية مناسبة لها، ثم تصير تلك الصور الجزئية في الحس المشترك فتصير مشاهدة، وهذه هي الرؤيا الصادقة.

ثم إن الصور التي تركيبها القوة المتخيلة إن كانت شديدة المناسبة لتلك المعاني المنطبعة في النفس حتى لا يكون بين المعاني التي أدركتها النفس وبين الصور التي ركبها القوة المتخيلة تفاوت إلى في الكلية والجزئية، كانت الرؤيا غنية عن التعبير، وإن لم تكن شديدة المناسبة إلا أنه مع ذلك تكون بينهما مناسبة بوجه ما، كانت الرؤيا محتاجة إلى التعبير، وهو أن يرجع من الصورة التي في الخيال إلى المعنى الذي صورته المتخيلة بتلك الصورة.

وأما إذا لم تكن بين المعنى الذي أدركته النفس وبين الصورة التي ركبها القوة المتخيلة مناسبة أصلاً لكثرة انتقالات المتخيلة من صورة إلى صورة لا تناسب المعنى الذي أدركته النفس أصلاً، فهذه الرؤيا من قبيل أضغاث الأحلام، ولهذا قالوا: لا اعتماد على رؤيا الشاعر والكاذب، لان قوتها المتخيلة قد تعودت الانتقالات الكاذبة الباطلة». وفي تعليقه على «بحار الأنوار» يعطى محمد تقي المصباح اليزدي بعض التصورات عن حقيقة الرؤيا فيقول: «لا ريب أن النائم عند ما يرى شيئاً من المنامات تحصل له إدراكات من غير طرق الحواس الظاهرة، وتسمية تلك الإدراكات بالخيالات لا تخرجها عن واقعها، فإن الخيال حتى الفاسد الباطل منه له حصول في الذهن ووجود علمي للنفس، وإنما فساده وبطلانه من ناحية عدم انطباقه على الخارج.





ولا ريب في حكاية كثير من المنامات عن وقوع أشياء في الخارج في ما مضى أو ما يأتي مع عدم سبيل للرائي حتى في حال يقظته إلى الاطلاع على شيء منها، وهي أكثر من أن يمكن حملها على الصدفة والاتفاق، وخاصة منامات الأنبياء والأولياء المشتملة على الوحي والإلهام، كما أنه لا ريب في أن كثيراً منها تمثيلات ذهنية لا ميال وآمال وتركيبات وتحليلات لما اختزن من الصور في خزانة الخيال.

وهذه النوع الأخير من الرؤيا وإن أنقسم إلى أقسام مختلفة يرجع إلى بروز ما كمن في النفس إلى ساحة الحواس الباطنة وإدراك النفس لها بتوسط تلك الحواس مرة أخرى. ومعرفة علل هذه الأفاعيل النفسية ومدى ارتباطها بالحالات البدنية والروحية رهينة لتجارب كثيرة لا يزال علماء النفس مشتغلين بها.

أما النوع الأول منه فلا يمكن تعليله بأمثال تلك العلل فحسب كما لا يخفى.

وبعبارة أخرى حصول هذا النوع من الإدراكات للنفس ليس معلولاً لحالات فسيولوجية أو ظاهرات ببيكولوجية معينة. فأى حالة بدنية أو نفسية توجب العلم بوجود كنز على مقدار معين في مكان خاص أو بحدوث حادثة مشخصة في زمان خاص في المستقبل؟!!

وما هو الذي يمكن أن يجعل وجه الربط بين الظاهرات الجسمية والروحية في الإنسان وبين العلم بقضايا عازبة عن ذهنه بموضوعاتها ومحمولاتها؟!!

فهذه المعلومات ليست مما يستقل به النفس من الإدراك بصرف النظر عما هو خارج عن ذاتها رأساً، والغير الذي يمكن أن يشارك النفس في حصول هذه الإدراكات لها بوجه إما أن يكون أمراً عقلياً محضاً، أو مثالياً برزخياً، ولا يكون أمراً مادياً البتة، للقطع بعدم حصول ارتباط مادي بين الإنسان وبين موجود مادي آخر مما يقع تحت الحواس في حال النوم بحيث يمكن إسناد تلك العلوم إليه بوجه، فعلى فرض جعل المشارك للنفس أمراً عقلياً يصير الرؤيا اتصالاً للنفس بموجود عقلي في المنام وتمثل ما تستفيد منه حسب استعدادها بصور جزئية في عالمها المثالي.

وإن شئت قلت: في ساحة الحواس الباطنة ولوح الذهن، وعلى فرض جعل المشارك أمراً مثالياً يصير الرؤيا إشرافاً للنفس على عالم المثال ومشاهدة أمور هناك مباشرة. وكلاهما مما يصح فرضه عقلاً، ولا ينفيه دليل شرعي، بل يوجد في الأخبار ما يؤيدهما بل يدل عليهما، فعليك بإجادة التدبر فيها»<sup>(١)</sup>.

(١) العلامة محمد تقي المصباح اليزدي - تعليقا على كلام المجلسي في بحار الأنوار.

ومن خلال هذين البيانين عن حقيقة الرؤى والمنامات وكيفية حصولها نعلم أن الأصل في ذلك هو تجرد النفس وعدم كونها جسمانية مادية وهذا الأمر مما تسالم عليه الفلاسفة الإلهيون والحكماء الربانيون وأقرته الشرائع السماوية وأكدت عليه، ومعنى كون النفس مجردة أنها تنتمي إلى عالم آخر غير عالم المادة والأجسام الصورية، ولتجردها تشتاق النفس والروح إلى عالمها الروحي والعقلي وتسعى للتواصل معه والاتصال به، ولكن لأن النفس مادامت في هذه الدنيا فهي منشغلة بتدبير أمور البدن ومهامه فلا تتوجه إلى عالمها العلوي الذي تنتسب إليه، إلا حينما تكون النفس قوية ومجدوبة بجذبة إلهية إلى عالمها الأصلي كما هو الشأن في نفوس الأنبياء والرسل والأولياء الذين لا يصرفهم الاشتغال بالأمور الدنيوية عن التوجه إلى عالم الأرواح والعقول والمجردات.

وأما سائر الناس فلانها كهم بتدبير أمورهم الدنيوية وتوجههم التام إلى هذا العالم الدنيوي الفاني فإنهم لا يكادون يفكرون في العوالم الأخرى التي تغيب عن سمعهم وبصرهم، وحينما يخلد الإنسان إلى النوم وتنصرف حواسه الظاهرة والباطنة عن تدبير أمور بدنه وتنقطع علاقته مع عالمه الدنيوي، فإن الروح ربما سرحت ومرحت في عالمها الأصلي الذي تشتاق إليه بطبعها وطبيعتها، وحينئذ تطلع الروح على بعض صور وحقائق العالم العقلي ولاسيما عالم المثال الذي توجد فيه صور الأشياء مجردة من

المادة، وحينها يستيقظ الإنسان فإنه ربما يبقى متذكراً لما شاهدته في ذلك العالم وربما ينسى الكثير منه.

وعلى هذا الأساس تحصل الرؤى والأحلام التي يشاهدها كل الناس، ولهذا فإن الإنسان في حال النوم يعيش حالة تشابه بعض الشيء حالة الموت التي ينقطع فيها الإنسان بالكلية عن هذا العالم الدنيوي وتصير روحه مع الأرواح وترجع إلى عالمها الأولى، ومن هنا جاءت المقارنة بين النوم والموت.

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١).

وقد روي عن الإمام أبي جعفر الباقر في تفسير هذه الآية أنه قال: «ما من عبد ينام إلا عرجت نفسه إلى السماء وبقيت روحه في بدنه وصار بينهما سبب كشعاع الشمس فإذا أذن الله في قبض الأرواح أجابت الروح النفس، وإن أذن الله في رد الروح أجابت النفس الروح.

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ (٢)، فمهما رأت في ملكوت السموات فهو مما له تأويل، وما رآته بين السماء والأرض

(١) سورة الزمر: الآية ٤٢.

(٢) سورة الزمر: الآية ٤٢.

فهو مما يخيله الشيطان ولا تأويل له»<sup>(١)</sup>.

وهناك العديد من الأخبار التي تذكر بأن سبب الرؤيا والمنامات هو عروج الروح أو النفس في حال النوم إلى السماء والعالم العلوي واطلاعها على ما فيه.

ففي «بحار الأنوار» إن الإمام علياً قال: «سألت رسول الله ﷺ عن الرجل ينام فيرى الرؤيا فربما كانت حقاً، وربما كانت باطلاً، فقال رسول الله ﷺ: يا علي ما من عبد ينام إلى عرجت بروحه إلى رب العالمين، فما رأى عند رب العالمين فهو حق، ثم إذا أمر الله العزيز الجبار برد روحه إلى جسده، فصارت الروح بين السماء والأرض، فما رآته فهو أضغاث أحلام».

ومن المرويات التي رواها أهل السنة في حقيقة الرؤيا عن علي: «إن عمر بن الخطاب قال: العجب من رؤيا الرجل انه يبيت فيرى الشيء لم يخطر له على بال، فيكون رؤياه كأخذ باليد، ويرى الرجل الرؤيا فلا يكون رؤياه شيئاً».

فقال علي بن أبي طالب: أفلا أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين؟ إن الله يقول: «الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى» فالله يتوفى الأنفس كلها، فما رأت وهي عنده في السماء فهي الرؤيا

(١) أصول الكافي ج ٤ ص ١٥٥ - الكليني.

الصادقة، وما رأت إذا أرسلت إلى أجسادها تلتقتها الشياطين في الهواء فكذبتها وأخبرتها بالأباطيل فكذبت فيها. فعجب عمر من قوله»<sup>(١)</sup>.

ومن خلال هذا البيان الذي قدمناه عن حقيقة الرؤيا يتضح أن الرؤيا الصادقة طبعاً في حقيقتها وواقعها نحو من أنحاء اطلاع الإنسان على الغيب ولكن بصورة ضعيفة ومخففة، ومن هذه الجهة فهي تشابه نوع مشابهة النبوة التي تكون للأنبياء والتي من خلالها يتصلون بالعالم الغيبي ولكن بصورة قوية وجلية لا يتطرق إليها الخطأ والزيغ ولا تؤثر أية مؤثرات خفية في حرفها عن وجهتها لأن الله يصون أنبيائه ورسله عن تأثيرات الشياطين والقاءاتهم.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى الْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا انطلقت الكثير من الروايات لتؤكد أن رؤيا المؤمن تقترب بنسبة يسيرة من النبوة لأنها تمثل صورة ضعيفة من صور اطلاع الإنسان على الغيب، عن الإمام الصادق إنه قال: «رأى المؤمن ورؤياه في آخر الزمان على سبعين جزء من أجزاء النبوة»<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري - حديث ٢١٥٧.

(٢) سورة الحج: الآية ٥٢.

(٣) بحار الأنوار ج ٦٦ ص ٢٣٣.

وروى عن النبي ﷺ في قوله تعالى: «لهم البشرى في الحياة الدنيا»، إنه قال: «الرؤيا الصالحة يبشر بها المؤمن جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة»<sup>(١)</sup>.

وعنه ﷺ أيضاً: «ألا أنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له»<sup>(٢)</sup>.

وعن رسول الله ﷺ: «لا نبوة بعدي إلا المبشرات. قيل: يا رسول الله! وما البشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة»<sup>(٣)</sup>.

وعن رسول الله ﷺ: «الرؤيا الصالحة بشرى من الله وهي جزء من أجزاء النبوة»<sup>(٤)</sup>.

إلى غير ذلك من الروايات التي تؤكد على أن الرؤيا الصالحة والصادقة هي من أجزاء النبوة، مما يعني أنها وسيلة يتعرف الإنسان من خلالها على بعض الأمور الغيبية، ولكن بمستوى دون مستوى النبوة الخاصة التي تنكشف فيها للنبي جميع حيثيات الغيب الذي أراد الله تعالى إطلاعه عليه، وعلى هذا الأساس تتفاوت صحة الرؤيا وصدقها من شخص إلى آخر بحسب القدرات الذاتية والمؤهلات

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) جامع الأخبار ج ١ ص ٢٣٣.

(٤) بحار الأنوار ج ٦٦ ص ٢٠٣.

الشخصية التي تتواجد في الأشخاص بصورة متفاوتة ومختلفة.

وهذا ما تصرح به بعض المرويات كالرواية التي يقول فيها الإمام جعفر الصادق: «رأى المؤمن ورؤياه جزء من سبعين جزء من النبوة، ومنهم من يعطى على الثلث»<sup>(١)</sup>.

ومعنى ذلك أن القدرات بين المؤمنين في الإطلاع على الغيب من خلال الرؤيا تكون متفاوتة وغير متساوية.

وهناك بعض الروايات التي تدخل الرؤيا الصالحة بكل صراحة تحت الوحي وتلحقها به، ومن تلك المرويات ما رواه في «بحار الأنوار» عن «جامع الأخبار» عن الأئمة: «إن رؤيا المؤمن صحيحة لأن نفسه طيبة، ويقينه صحيح، وتخرج فتلقى من الملائكة، فهي وحي من الله العزيز الجبار».

ولأن الرؤيا الصادقة هي كشف للغيب بنسبة معينة فقد اعتبرها العرفاء أول باب من أبواب المكاشفة، وقالوا: أن الناس تتفاوت في مكاشفاتها الغيبية بحسب قوة الشخص واستعداده واعتدال مزاجه، وفي ذلك يقول العارف جواد الآملي: «ولما كان كل من الكشف الصوري والمعنوي (مر بيان معنى الكشف الصوري والمعنوي في الكلمة الخامسة). على حسب إستعداد السالك ومناسبات روحه وتوجه سره إلى كل من أنواع الكشف، ولما

(١) جامع الأخبار ج ١ ص ٢٧٧.



كانت الإستعدادات متفاوتة المناسبات، متكررة، صارت مقامات الكشف متفاوتة بحيث لا تكاد تنضب، وأصح المكاشفات وأتمها أنها تحصل لمن يكون مزاجه الروحاني أقرب إلى الاعتدال التام، كأرواح الأنبياء والكملة من الأولياء صلوات الله عليهم أجمعين ثم لمن يكون أقرب إليهم نسبة»<sup>(١)</sup>.

ومن الأبحاث المهمة التي ترتبط بمسألة الرؤيا هو البحث في حقيقة عالم المثال بإعتباره العالم الذي تترأى للإنسان فيه الصور والمشاهدات حال نومه، كما أنه العالم الذي يطلع العارف عليه من خلال كشفه وشهوده في حال اليقظة. وكما يقول القيصري فإن «... جميع أرباب المكاشفة أكثر ما يكاشفون الأمور الغيبية يكون في هذا العالم وفيه يتجسد الأعمال والأفعال الإنسانية الحسنة والقبیحة كل بما يناسبها»<sup>(٢)</sup>.

ثم يقول: «ولكل إنسان فيه نصيب وهو القوة الخيالية التي فيها يرى المنامات»<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا الأساس فسيكون حديثنا في النقطة الثانية عن عالم المثال، ونود أن نعتذر مسبقاً من القارئ الشاب إذا كان الخوض في مثل هذه الأبحاث العلمية يرهق تفكيره لأننا لم نجد بداً من

(١) المراقبات ص ١٣٢- العارف الميرزا جواد الأملي قدس سره.

(٢) القيصري - رسالة التوحيد والنبوة والولاية ٢١.

(٣) القيصري - رسالة التوحيد والنبوة والولاية ٢١.

الاسهاب في الحديث عنها بعد أن أصبح الكثير من شبابنا المسلم ينجذب للخوض في مثل هذه القضايا والمسائل المعقدة والتي نعلم أن أكثر الشباب لا يعي ولا يدرك الأكثر من أبعادها وجوانها، ومن هنا كنا مضطرين لأن نبحثها بشيء من التفصيل والتوسع.

### 👉 النقطة الثانية: حقيقة عالم المثال:

بيننا في النقطة الثانية من الكلمة الخامسة أن العوالم الوجودية خمسة، وهي عالم الأعيان الثابتة، وعالم الجبروت، وعالم الملكوت، وعالم الملك، وعالم الإنسان الكامل، ولما كان الحديث عن حقيقة كل عالم من هذه العوامل وخصائصه لا يسعه المجال أولاً، وربما لا تستوعبه الكثير من الأذهان ثانياً، فإننا لن نتحدث عن هذه العوالم من قريب أو بعيد، وما كان ينبغي لنا - في الواقع - أن نتطرق لذكر هذه الأمور في مثل هذا الكتاب لولا أننا وجدنا مسألة الرؤيا والمنامات تثار بشدة وبقوة في أوساط مجتمعاتنا الإسلامية، وتأصل مسارات غير صحيحة في التعامل مع القضايا الشرعية والمسائل الاجتماعية عند الكثير من المتدينين، من دون أن يكون هناك أدنى وعي للإثارات والأبحاث العلمية العميقة التي تناوها الفلاسفة والعرفاء والعلماء في كتاباتهم وأبحاثهم عن الرؤيا والمنامات والأحلام.

وعلى كل حال فإننا سنتحدث - مضطرين - في هذه النقطة من الكلمة السابعة عن عالم من العوالم الغيبية الذي يرتبط الحديث عنه بقضايا الرؤيا أشد الإرتباط، وهو عالم المثال الذي يعد من عالم الملكوت، وقد ذكرنا أن الرؤيا الصادقة للإنسان إنما تحصل بسبب إطلاع الإنسان على هذا العالم وما فيه من حال النوم.

فما هي حقيقة هذا العالم وكيف تتصل النفس أو الروح به وتطلع على أسراره وخفائيه؟

يقول القيصري: «أعلم ان بين عالم الأجسام وعالم الأرواح المجردة عالماً آخر يسمى برزخاً. وإليه الإشارة في قوله تعالى: «مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان» أي بين بحري عالم الأرواح والأجسام برزخ يمنع عن بغي أحدهما على الآخر.

وللبرزخ «البرزخ في اللغة: ما يكون حاجزاً بين شيئين ومتوسطاً بينهما».

«ان يكون نصيباً منهما، فهو من حيث أنه غير مادي شبيه بعالم الأرواح ومن حيث أنه ذو صورة وشكل ومقدار شبيه بعالم الأجسام»<sup>(١)</sup>.

(١) القيصري - رسالة التوحيد والنبوة والولاية ٢٩.

وقال عبد الرحمن جامي أحد العرفاء المشهورين: «ثم اعلم ان العالم المثالي هو عالم روحاني من جوهر نوراني شبيه بالجوهر الجسماني في كونه محسوساً مقدارياً، وبالجوهر المجرد العقلي في كونه نورانياً وليس بجسم مركب مادي، ولا جوهر مجرد عقلي، لأنه برزخ وحد فاصل بينهما، وكل ما هو برزخ بين الشئيين، لا بد وأن يكون غيرهما»<sup>(١)</sup>.

وقال: «إنما سمي «العالم المثالي» لكونه مشتملاً على صور ما في العالم الجسماني، ولكونه أول مثال صوري لما في الحضرة العلمية الإلهية من صور الأعيان والحقائق»<sup>(٢)</sup>.

ويبين كيفية التأثير المتبادل بين هذا العالم والعالم الجسماني المادي فيقول: «أعلم أنه لما كان عالم الأرواح متقدماً بالوجود والمرتبة على عالم الأجسام، وكان الإمداد الرباني الواصل إلى الأجسام موقوفاً على توسط الأرواح بينهما وبين الحق سبحانه، وتدبيرها - أعني تدبير الأجسام - مفوض إلى الأرواح، وتعذر الارتباط بين الأرواح والأجسام للمباينة الذاتية الثابتة بين المركب والبسيط - فإن الأجسام كلها مركبة، والأرواح بسيطة، فلا مناسبة بينهما، فلا ارتباط، وما لم يكن ارتباط، لا يحصل تأثير ولا تأثر ولا إمداد ولا استمداد - فلذلك خلق الله سبحانه عالم المثال برزخاً جامعاً بين

(١) ومضات عرفانية - عبد الرحمن جامي أحد العرفاء المشهورين.

(٢) نفس المصدر

عالم الأرواح وعالم الأجسام ليصح إرتباط أحد العالمين بالآخر،  
فيتأتى حصول التأثير والتأثير ووصول الإمداد والتدبير»<sup>(١)</sup>.

وبعد أن وعينا حقيقة هذا العالم فإن علينا أن ندرك بأن للإنسان القدرة على الاتصال بهذا العالم والاطلاع على ما فيه، وقد بينا هذا الأمر في النقطة المتقدمة من الكلمة، ونضيف هنا مزيداً من التوضيح فنقول: ان الارتباط بين عالم الغيب وعالم الشهادة وإن كان أمراً لا يستشعره أكثر الناس نتيجة إحتجابهم عن العالم الغيبي وانصرافهم بشكل كلي إلى العالم المادي واشتغالهم به، إلا أنه من المعلوم ان هناك جملة من الناس تستطيع أو استطاعت التوصل إلى نوع ارتباط بينهما وبين العالم الغيبي، ولا أقل من الأنبياء والرسل الذين اختارهم الله تعالى لتبليغ رسالاته، وهذا هو المستوى الأعلى والأتم من مستويات الارتباط بين الإنسان وعالم الغيب، ولكن اختصاص الوحي الخاص بالأنبياء والرسل لا يعني انسداد باب الارتباط بين بقية الناس وبين العالم الغيبي، بل هناك العديد من النصوص الشرعية التي تؤكد على أنه لولا إشتغال الإنسان بعالمه المادي وانغماسه فيه وتقلبه في الشهوات واللذات التي تحجبه عن الحق تعالى لكان يطلع على الغيب ويراه كما يرى ويحس هذا العالم المادي.

(١) ومضات عرفانية - عبد الرحمن جامي أحد العرفاء المشهورين.

قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ﴾<sup>(١)</sup> فقد دلت هذه الآيات على أن الإنسان لو كان عنده علم اليقين لكان ينظر إلى الجحيم ويراها كما يرى ما سواها من أمور مادية محسوسة.

وروي عن رسول الله ﷺ انه قال: «لولا ان الشياطين يحومون حول قلوب بني آدم لرأوا ملكوت السماوات والأرض»<sup>(٢)</sup>.

وروى عنه ﷺ أيضاً: «لولا تكثير في كلامكم، وتمريج في قلوبكم لرأيتم ما أرى، ولسمعتم ما أسمع»<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا الأساس نعي ان الارتباط بين الإنسان والعالم الغيبي لا ينحصر في ما يصطلح عليه بـ: «الوحي الخاص» الذي لا يكون إلا للأنبياء والرسل وإن الإنسان لو توجه تمام التوجه إلى الله تعالى واستفرغ همه لعبادته وقطع عن نفسه العلائق الدنيوية التي تصرفه عن الحق تعالى لكان من الممكن ان يطلع ويتعرف على أمور غيبية لا يطلع عليها ولا يعرفها سائر الناس، ومن هنا أكد العرفاء على أن الوحي الخاص بالأنبياء والرسل يعتبر الرتبة الأعلى والأتم والأكمل من مراتب الاطلاع على الغيب التي يعبر عنها العرفاء

(١) سورة العاديات: الآية ٥ - ٧.

(٢) أصول الكافي ج ٢ ص ١٧٧.

(٣) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٦٣ - المجلسي.

بمراتب الكشف، وإن هناك مراتب آخر للكشف كالمكاشفات والمشاهدات التي تحصل للعرفاء في حال اليقظة، وكالرؤى والمنامات الصادقة التي تحصل لكثير من الناس حال نومهم وسباتهم، وقد بينا الوجه والسبب في ذلك في النقطة السابقة من الكلمة.

وهناك من الأخبار ما يعبر بالصراحة عن الرؤيا الصادقة بأنها إطلاع على ملكوت السماء، إذ يقول أحد أصحاب الإمام جعفر الصادق: «قلت لأبي عبد الله الصادق: المؤمن يرى الرؤيا فتكون كما رآها، وربما رأى الرؤيا فلا تكون شيئاً».

فقال: إن المؤمن إذا نام خرجت من روحه حركة ممدودة صاعدة إلى السماء، فكلما رآه روح المؤمن في ملكوت السماء في موضع التقدير والتدبير فهو الحق، وكلما رآه في الأرض فهو أضغاث أحلام.

فقلت له: وتصعد روح المؤمن إلى السماء؟ قال: نعم.

قلت: حتى لا يبقى شيء في بدنه؟ فقال: لا، لو خرجت كلها حتى لا يبقى منها شيء إذا مات.

قلت. فكيف تخرج؟

فقال: أما ترى الشمس في السماء في موضعها وضوؤها وشعاعها

في الأرض؟ فكذلك الروح أصلها في البدن وحركتها ممدودة»<sup>(١)</sup>.

ولأن مكاشفات الإنسان التي تحصل له في حال اليقظة أو حال النوم لا ترقى إلى مستوى المكاشفات التي تحصل للأنبياء والرسل بسبب الوحي الخاص من الله عز وجل، ولأنها أي مكاشفات غير الأنبياء والرسل والمعصومين ربما داخلتها بعض الملابس التي تحول بين من يراها وبين معرفة المراد الحقيقي والواقعي منها، فإن العرفاء أكدوا أيما تأكيد على ضرورة اتباع المعصوم في كشفه وإن كشفه مقدم على كشف العارف، وإننا لا نستغني بمكاشفاتنا عن رأى المعصوم نبياً كان أم إماماً، حتى ان العرفاء كانوا يرون ضرورة الرجوع إلى المعصوم في التعرف على أول رتبة من مراتب الكشف، وهي التمييز بين الإلهام الإلهي والإلهام الشيطاني.

وفي ذلك يقول السيد حيدر الآملي: «والتمييز بين هذين الإلهامين محتاج إلى ميزان إلهي ومحك رباني، وهو نظر الكامل المحقق والإمام المعصوم والنبي المرسل، والمطلع على بواطن الأشياء على ما هي عليه، واستعدادات الموجودات وحقايقها ولهذا أحتجنا بعد الأنبياء والرسل إلى الإمام والمرشد، لقوله تعالى: «فستلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» لأن كل واحد ليس له قوة التمييز بين الإلهامين الحقيقي وغير الحقيقي، وبين الخاطر الإلهي والشيطاني،

(١) سفينة البحار ج ٤ ص ١٦٥.



وغير ذلك»<sup>(١)</sup>.

وستحدث في النقاط القادمة عن أسباب وعوامل صواب الرؤيا وخطئها وعن حاجة الرؤيا إلى التعبير الذي لا يتوفر لكل أحد القدرة عليه، وقد من الله تعالى به على بعض عباده الصالحين كنبية يوسف الذي قال تعالى فيه: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْجِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آئِلٍ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وشكر يوسف ربه على هذه النعمة وغيرها من النعم التي آتاها الله إياه فقال كما يحكى لنا القرآن ذلك: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) رسالة العرفان - السيد جواد الأملي.

(٢) سورة يوسف الآية ٦.

(٣) سورة يوسف الآية ٢١.

(٤) سورة يوسف: الآية ١٠١.

وتأويل الأحاديث إشارة إلى العلم بتعبير الرؤيا الذي أتاه الله سبحانه وتعالى نبيه يوسف كما أشارت إلى ذلك الروايات وأقوال مفسري القرآن.

### النقطة الثالثة: عوامل صواب الرؤيا وخطئها:

لا بد أن نقرر ابتداءً أن ما يراه الإنسان في حال نومه وحتى في حال يقظته كما هو شأن في مكاشفات العرفاء ووحى الأنبياء من حقائق عالم المثال وصوره لا بد وان تكون كلها حقاً لا باطل، لأن صور الموجودات وحقائق الأشياء تتجلى في ذلك العالم على ما هي عليه فحينما يطلع الإنسان على ذلك العالم بالوحي أو المكاشفة أو الرؤيا الصادقة فلاإنما يتعرف على حقائق الأمور وصور الأشياء كما هي، وقد أشار إلى هذا الأمر عدد كبير من الروايات، كما في قول رسول الله ﷺ لعلي: «يا علي ما من عبد ينام إلا عرج بروحه إلى رب العالمين، فما رأى عند رب العالمين فهو حق»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية عن الإمام علي إنه قال حينما سأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن حقيقة الرؤيا وسبب صدقها وكذبها: «فما رأأت وهي عنده في السماء فهي الرؤيا الصادقة»<sup>(٢)</sup>.

(١) الوافي ج ١ ص ١٩٩.

(٢) تاريخ دمشق ج ٢ ص ١٦٥ - ابن عساكر.

إذا أدركنا هذا الأمر فلتسائل عن سبب خطأ وعدم واقعية بعض الرؤى والمنامات لماذا يكون؟ يجيب الرازي عن هذا السؤال قائلاً: «أعلم أن الصور التي تركيبها المتخيلة قد تكون كاذبة، وقد تكون صادقة.

### أما الكاذبة فوقعها على ثلاثة أوجه:

**الأول:** إن الإنسان إذا أحس بشيء، وبقيت صورة ذلك المحسوس في خزانة الخيال، فعند النوم، ترسم تلك الصورة في الحس المشترك فتصير مشاهدة محسوسة.

**والثاني:** إن القوة الفكرية إذا ألفت صورة، ارتسمت تلك الصورة في الخيال، ثم في وقت النوم تنتقل تلك الصورة إلى الحس المشترك، فتصير محسوسة، كما أن الإنسان إذا تفكر في الانتقال من بلد إلى بلد، أو حصل في خاطره رجاء شيء، أو خوف من شيء، فإنه يرى تلك الأحوال في المنام.

**والثالث:** إن مزاج الروح الحامل للقوة المفكرة إذا تغير، فإنه تتغير أفعال القوة المفكرة.

ولهذا السبب، فإن الذي يميل مزاجه إلى الحرارة يرى في النوم: النيران والحريق والدخان، ومن مال مزاجه إلى الرطوبة يرى الثلوج، ومن مال مزاجه إلى الرطوبة يرى الأمطار، ومن مال مزاجه إلى اليبوسة يرى التراب والالوان المظلمة، فهذه الأنواع

الثلاثة لا عبرة بها البتة، بل هي من قبيل أضغاث الأحلام»<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا الأساس نعي أن الرؤيا هي نتاج القوة المتخيلة عند الإنسان، واتصال الإنسان بعالم المثال إنما يتم بتوسط هذه القوة التي تخطأ أحياناً في تصوير الصور الموجودة في العالم المثالي فتخطأ الرؤيا وتبتعد عن الصواب، وهذا لا ينافي أن يكون أصل ما شاهده الإنسان في عالم المثال حال الرؤيا حقيقياً وواقعياً، لأن الخطأ إنما يقع حينما تريد الحواس أن تصور ما رآته القوة المتخيلة في عالم المثال بصورة محسوسة وهنا المبدء في خطأ الكثير من المنامات التي نراها لأن كل إنسان يجسد حسه المشترك ما يراه في عالم الخيال بحسب قوته واستعداده ومقامه ومن هنا يمكن للمكاشفة التي يراها الإنسان في حال اليقظة إن يخطأ في تفسيرها فضلاً عن ما يراه من مكاشفات في حال نومه.

يقول عبد الرحمن جامي: «وهي أي حضرة الخيال والصور المرتسمة فيه، كلها صدق، مطابقة للواقع، بشرط أن يكون انطباعها في الخيال من الجهة العلوية أو القلب النوراني، لا من الجهة السفلية، فإن المعنى الكلي العلمي ينزل من أم الكتاب إلى عالم اللوح المحفوظ - وهو بمثابة القلب للعالم ومنه إلى عالم المثال، فيتجسد فيه، ثم إلى عالم الحس، فيتحقق في الشاهد: وهو المرتبة الرابعة من الوجود النازل من العالم العلوي إلى العالم السفلي ومن

(١) المطالب العالية من العلم الإلهي - الفخر الرازي.

الباطن إلى الظاهر ومن العلم إلى الكون والخيال من الإنسان هو عالم المثال المقيد، كما أن عالم المثال هو الخيال المطلق أي خيال العالم. فللخيال الإنساني وجه إلى عالم المثال - لأنه منه، فهو متصل به ووجه إلى النفس والبدن. وكلما انطبع فيه نقش من هذه الجهة السفلية، وتمثلت فيه صورة، كان ذلك محاكاة لهيأة نفسانية أو هيأة مزاجية، أو لبخار يرتفع إلى مصعد الدماغ، كما للمحرورين وأصحاب المالمخوليا، ولا حقيقة له، ويسمى أضغاث أحلام. وكلما انطبعت فيه صورة من الجهة العلوية، أي من عالم المثال أو من القلب النوراني الإنساني، فيتجسد فيه، كان حقاً، سواء كان في النوم أو في اليقظة»<sup>(١)</sup>.

ومن هنا نعي أن القوة المتخيلة عند الإنسان لها جهتان جهة تتصل بالعالم العلوي وما رآته في النوم أو اليقظة من هذه الجهة فهو حق، وجهة تتصل ببدن الإنسان والعالم السفلي وما رآته... من هذه الجهة فهو باطل، وهذا ما نحتمل قوياً ان رسول الله ﷺ أشار إليه بقوله: «يا علي ما من عبد ينام إلا عرج روحه إلى رب العالمين، فما رأى عند رب العالمين فهو حق، ثم إذا أمر الله العزيز الجبار برد روحه إلى جسده، فصارت الروح بين السماء والأرض، فما رآته فهو أضغاث أحلام»<sup>(٢)</sup>.

(١) محاضرات عرفانية - عبد الرحمن جامي.

(٢) بحار الأنوار ج ٦١ : ١٥٨ - المجلسي.

كما ان الإمام علياً ربها أشار إلى ذلك بقوله: «فما رأأت وهي عنده في السماء فهي الرؤيا الصادقة، وما رأأت إذا أرسلت إلى أجسادها تلقتها الشياطين في الهواء فكذبتها وأخبرتها بالأباطيل فكذبت فيها»<sup>(١)</sup>.

ونجد في روايات أهل بيت العصمة والطهارة تمييزاً واضحاً بين عوامل الصحة والخطأ في الرؤيا، فعن رسول الله ﷺ إنه قال: «الرؤيا ثلاثة: بشرى من الله، وتخزين من الشيطان، والذي يحدث به الإنسان نفسه فيراه في منامه»<sup>(٢)</sup>.

وعن رسول الله ﷺ: «الرؤيا على ثلاثة: منها تخويف من الشيطان ليحزن به ابن آدم، ومنها الأمر يحدث به نفسه في اليقظة فيراه في المنام، ومنها جزء من ستة وأربعين جزء... من النبوة»<sup>(٣)</sup>.

وهذه المرويات وإن كانت في مقام تبين عوامل ومبادئ الرؤيا إلا أنها في الوقت نفسه تطرح أسباب الصحة والخطأ في الرؤيا والمنامات، وما نستفيدة من هذه الأخبار وأمثالها إن مرجع صحة الرؤيا وصوابها هو عامل واحد وهو كونها من الله، أي أن حدوثها يكون بعامل وتأثير إلهيين، لمصلحة تتعلق بالإنسان، وهذا ما نعيه من التعبير عن الرؤيا الصالحة بأنها بشارة أو بشرى من الله كما جاء

(١) بحار الأنوار ج ٦١ : ١٩٣ - المجلسي.

(٢) بحار الأنوار ج ٦١ : ١٥٨ - المجلسي.

(٣) بحار الأنوار ج ٦١ : ١٩٣ - المجلسي.

ذلك في روايات كثيرة.

منها ما روى من أن رسول الله ﷺ أتاه رجل فقال: تَدْعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (١).

فقال: أما قوله «لهم البشرى في الحياة الدنيا» فهي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن فيبشر بها في دنياه» (٢).

وتبين بعض المرويات المصالح التي تكون من وراء الرؤيا التي يريها الله لعباده في نومهم، فتقول كما عن الإمام الصادق: «إذا كان العبد على معصية الله ﷻ وأراد الله به خيراً أراه في منامه رؤيا تروعه فينزجر بها عن تلك المعصية، وإن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزء من النبوة» (٣).

كما أن تلك المرويات تدلنا على ان عوامل الخطأ وأسباب الرؤيا الكاذبة عاملان: عامل داخلي يتعلق بالإنسان نفسه وهو إما ان يكون عاملاً نفسياً يرجع إلى تحديث الإنسان نفسه بشيء واشتغال فكره به، وأما ان يكون عاملاً بدنياً يرجع إلى كثرة الأكل أو غيره، وعامل خارجي يتعلق بإلقاءات الشياطين التي تمتلك تأثيراً بمستوى

(١) سورة يونس الآية ٦٤.

(٢) بحار الأنوار ٦١: ١٧٦ - ١٧٧..

(٣) بحار الأنوار ٦١: ١٦٧..

معين على رؤى الإنسان وأحلامه وقد دل على ذلك ما روى عن الإمام جعفر الصادق في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠﴾ (١).

فقد قال: «كان سبب نزول هذه الآية ان فاطمة رأت في منامها إن رسول الله هم أن يخرج هو وفاطمة وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم من المدينة، فخرجوا حتى جازوا من حيطان المدينة، فعرض لهم طريقان فأخذ رسول الله ذات اليمين حتى انتهى إلى موضع فيه نخل وماء، فاشتري رسول الله ﷺ شاة ذرعاء وهي التي في إحدى أذنيها نقط بيض، فأمر بذبحها، فلما أكلوا ماتوا في أماكنهم فأنبتهت فاطمة باكية ذعرة فلم تخبر رسول الله ﷺ بذلك فلما أصبحت جاء رسول الله ﷺ بحمار فاركب عليه فاطمة وأمر أن يخرج أمير المؤمنين والحسن والحسين من المدينة كما رأت فاطمة في نومها، فلما خرجوا من حيطان المدينة عرض لهم طريقان فأخذ رسول الله ذات اليمين كما رأت فاطمة حتى أنتهوا إلى موضع فيه نخل وماء فاشتري رسول الله ﷺ شاة كما رأت فاطمة فأمر بذبحها فذبحت وشويت فلما أرادوا أكلها قامت فاطمة وتنحت ناحية منهم تبكي مخافة أن يموتوا، فطلبها رسول الله حتى وقف عليها وهي تبكي.

(١) سورة المجادلة الآية ١٠.



فقال: ما شأنك يا بنية؟

قالت يا رسول الله رأيت البارحة كذا وكذا في نومي وقد فعلت أنت كما رأيت فتنحيت عنكم لئلا أراكم تموتون، فقام رسول الله صلى ركعتين ثم ناجى ربه فنزل عليه جبرئيل.

فقال: يا محمد هذا شيطان يقال له الرها، وهو الذي أرى فاطمة هذه الرؤيا، ويؤذي المؤمنين في نومهم ما يغمون به، فأمر جبرئيل فجاءه إلى رسول الله فقال له:

أنت الذي أريت فاطمة هذه الرؤيا؟

فقال: نعم يا محمد، فبزق عليه ثلاث بزقات البزاق هو البزاق.

فشجّه في ثلاث مواضع، ثم قال جبرئيل لمحمد: يا محمد إذا رأيت في منامك شيئاً تكرهه، أو رأى أحد من المؤمنين فليقل: أعوذ بما عازت به ملائكة الله المقربون وأنبياء الله المرسلون وعباده الصالحون من شر ما رأيت من رؤيا، ويقراء الحمد والمعوذتين وقل هو الله أحد، ويتفل عن يساره ثلاث تفلات، فإنه ما يضره ما رأى فأنزل الله عز وجل على رسوله: «إنما النجوى من الشيطان»<sup>(١)</sup>.

(١) الحويزي: تفسير نور الثقلين ٥: ٢٦١ - ٢٦٢.

وهذا الإلقاء الذي يكون من الشياطين في رؤيا الإنسان ومناماته لا ينافي مقام العصمة والطهارة الثابت لأهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، والذين منهم الزهراء، لأن الله تعالى يقول في آخر هذه الآية: «وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله»، وهو على غرار ما يثبته تعالى من اللقاءات للشياطين في نفوس الأنبياء ينسخها الله تعالى ويثبت آياته، كما يرشدنا إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١).

ويبين بعض علماء العرفان أسباب الإصابة والخطأ في الرؤيا فيقول: «وللصدق والاصابة أسباب بعضها راجع إلى النفس، وبعضها إلى البدن، وبعضها إليهما جميعاً: أما الأسباب الراجعة إلى النفس كالتوجه التام إلى الحق سبحانه والاعتقاد بالصدق وميل النفس إلى العالم الروحاني العقلي وطهارتها عن النقائص وإعراضها عن الشواغل البدنية واتصافها بالمحامد، لأن هذه المعاني توجب تنورها وتقويها.

وبقدر ما قويت النفس وتنورت، تقدر على خرق العالم الحسي ورفع الظلمة الموجبة لعدم الشهود، وأيضاً تقوى المناسبة بينها وبين الأرواح المجردة لاتصافها بصفاتها.

(١) سورة الحج الآية ٥٢.

فيفيض عليها المعاني الموجبة للانجذاب إليها من تلك الأرواح، فيحصل الشهود التام، ثم إذا انقطع حكم ذلك الفيض ترجع إلى الشهادة متصفة بالعلم، منتقشة بتلك الصور بسبب انطباعها في الخيال والأسباب الراجعة إلى البدن صحته واعتدال مزاجه الشخصي ومزاجه الدماغي.

والأسباب الراجعة إليهما الاتيان بالطاعات والعبادات البدنية والخيرات وإستعمال القوى وآلاتها بموجب الأوامر الإلهية وحفظ الاعتدال بين طرفي الافراط والتفريط فيه ودوام والوضوء وترك الإشتغال بغير الحق دائماً بالإشتغال بالذكر وغيره خصوصاً من أول الليل إلى وقت النوم وأسباب الخطأ ما يخالف ذلك من سوء مزاج الدماغ واشتغال النفس باللذات الدنيوية وإستعمال القوى المتخيلة في التخيلات الفاسدة والانهاك في الشهوات والحرص على المخالفات، فإن كل ذلك مما يوجب الظلمة وازدياد الحجب. فإذا عرضت النفس من الظاهر إلى الباطن بالنوم، يتجسد لها هذه المعاني، فتشغلها عن عالمها الحقيقي، فيقع مناماته أضغاث أحلام لا يوبه بها، أو يرى ما تخيلته المتخيلة بعينه»<sup>(١)</sup>. وأما الفخر الرازي الذي نقلنا عنه في ما سبق أسباب خطأ الرؤيا وفساد المنامات، فإنه يبين أسباب صحة الرؤيا بقوله: «وأما الرؤيا الصادقة. فالكلام في ذكر سببها، يتفرع على مقدمتين:

(١) نقد النصوص في شرح نقش الفصوص ١٦٠ - ١٦١.

أولاً: إن جميع الأمور الكائنة في هذا العالم الأسفل مما كان، ومما سيكون، ومما هو كائن موجود في علم الباري تعالى، وعلم الملائكة العقلية، والنفوس السماوية.

ثانياً: إن النفس الناطقة من شأنها أن تتصل بتلك المبادئ، وتنتقش فيها لاصور المنتقشة في تلك المبادئ. وعدم حصول هذا المعنى ليس لأجل البخل من تلك المبادئ، أو لأجل ان النفس الناطقة غير قابلة لتلك الصور، بل لأجل أن استغراق النفس في تدبير البدن، صار مانعاً لها من ذلك الاتصال العام.

إذا عرفت هذا فنقول: النفس إذا حصل لها أدنى فراغ من تدبير البدن، اتصلت بطباعها بتلك المبادئ، فتنطبع فيها بعض تلك الصور الحاضرة عند تلك المبادئ، وهي الصورة التي هي أليق بتلك النفس.

ومعلوم أن أليق الأحوال بها، ما يتعلق بأحوال ذلك الإنسان وبأصحابه وأهل بلده وإقليمه.

وأما إن كان ذلك الإنسان منجذب الهمة إلى تحصيل علوم المعقولات، لاحت له منها أشياء.

ومن كانت همته مصالح الناس رآها، ثم إذا انطبعت تلك الصور في جوهر النفس الناطقة أخذت المتخيلة التي من طباعها

محاكاة الأمور، في حكاية تلك الصور المنطبعة في النفس، بصور جزئية تناسبها، ثم إن تلك الصور تنطبع في الحس المشترك فتصير مشاهدة. فهذا هو سبب الرؤيا في المنام»<sup>(١)</sup>.

والعلامة الطباطبائي في «الميزان في تفسير القرآن» قال في بحث له عن الرؤيا بعد أن قسم العوالم إلى ثلاثة عوالم هي: عالم الطبيعة، وعالم المثال، وعالم العقل: «والنفس الإنسانية لتجردها لها مسانخة مع العالمين عالم المثال وعالم العقل فإذا نام الإنسان وتعطلت الحواس انقطعت النفس طبعاً عن الأمور الطبيعية الخارجية ورجعت إلى عالمها المسانخ لها وشاهدت بعض ما فيها من الحقائق بحسب ما لها من الاستعداد والإمكان فإن كانت النفس كاملة متمكنة من إدراك المجردات العقلية أدركتها واستحضرت أسباب الكائنات على ما هي عليها من الكلية والنورية، وإلا حكمتها حكاية خيالية بما تأنس بها من الصور والأشكال الجزئية الكونية كما نحكي نحن مفهوم السرعة الكلية بتصور جسم سريع الحركة، ونحكي مفهوم العظمة بالجبل، ومفهوم الرفعة والعلو بالسما والسماء وما فيها من الأجرام السماوية ونحكي الكائد المكار بالثعلب والحسود بالذئب والشجاع بالأسد إلى غير ذلك.

(١) المطالب العالية من العلم الإلهي ٨: ١٣٠ - ١٣١.

وإن لم تكن متمكنة من إدراك المجردات على ما هي عليها والارتقاء إلى عالمها توقفت في عالم المثال مرتقية من عالم الطبيعة فربما شاهدت الحوادث بمشاهدة عللها وأسبابها من غير أن تتصرف فيها بشيء من التغيير، ويتفق ذلك غالباً في النفوس السليمة المتخلفة بالصدق والصفاء، وهذه هي المنامات الصريحة.

وربما حكت ما شاهدته منها بما عندها من الأمثلة المأنوس بها كتمثيل الأزواج بالاكساء والتلبس، والفخار بالتاج والعلم بالنور والجهل بالظلمة وخمود الذكر بالموت. وربما انتقلنا من الضد إلى الضد كانتقال أذهاننا إلى معنى الفقر عند استماع الغني وانتقالنا عن تصور النار إلى تصور الجمد ومن تصور الحياة إلى تصور الموت وهكذا، ومن أمثلة هذا النوع من المنامات ما نقل إن رجلاً رأى في المنام أن بيده خاتماً يختم به أفواه الناس وفروجهم فسأل ابن سيرين عن تأويل فقال: «إنك ستصير مؤذناً في شهر رمضان فيصوم الناس بأذانك»<sup>(١)</sup>.

(١) الميزان في تفسير القرآن ١١ : ٢٧١ - ٢٧٢ - الطباطبائي.

## 👉 النقطة الرابعة: حاجة الرؤيا إلى التعبير:

من الأمور المهمة في فهم حقيقة الرؤيا وتمييز صحيحها من باطلها هو العلم بتعبير وتفسير الرؤى والأحلام، وهو من العلوم التي لا يحظى بتمام مراتبها ولا يحيط بجميع جزئياتها إلا المعصوم من الأنبياء والأئمة، وذلك لأننا قلنا فيما سبق أن الرؤيا الصادقة هي رتبة من مراتب الكشف والاطلاع على الغيب، ومن المقرر بين العرفاء إن الكشف التام لا يكون إلا للمعصوم وأما بقية الناس فإن مكاشفاتهم سواء كانت في اليقظة أم في المنام لا تخلو في كثير من الأحيان من نقص، ولذا فإن العرفاء يقولون لما سوى كشف المعصوم بأنه كشف ناقص، ومن هنا اشترط العرفاء في صحة كشف العارف أن لا يكون مخالفاً لكشف المعصوم كما أشرنا إلى ذلك أكثر من مرة.

ويبين بعض العرفاء حقيقة علم التعبير فيقول: «وهذا العلم لا يحصل إلا بانكشاف رقائق الأسماء الإلهية والمناسبات التي بين الأسماء المتعلقة بالباطن وبين الأسماء التي تحت حيطه الظاهر، لأن الحق سبحانه إنما يهب المعاني صوراً بحكم المناسبة الواقعة بينها، لا جزافاً. كما يظن المحجوبون أن الخيال يخلق تلك الصور جزافاً، فلا يعتبرون ويسمونها أضغاث أحلام - بل المصور هو الحق من وراء حجابية الخيال، ولا يصدر منه ما يخالف الحكمة. فمن عرف المناسبات التي بين الصور ومعانيها وعرف مراتب النفوس التي

يظهر الصور في حضرة خيالاتهم بحسبها يعلم علم التعبير كما ينبغي .

ولذلك يختلف أحكام الصورة الواحدة بالنسبة إلى أشخاص مختلفة المراتب، وهذا الانكشاف لا يحصل إلا بالتجلي الالهي من حضرة الأسم الجامع بين الظاهر والباطن»<sup>(١)</sup>.

وقال نفسه في مقام آخر: «وَأتم الأنوار التي تكشف ويكشف بها في الكاشفية وأعظمها نفوذاً في الأشياء بالكشف عن حقائقها هو النور التام العلمي الذي يكشف به ويدرك ما أراد الله بالصور المتخيلة المرئية في النوم. المتغيرة عما كانت عليه في عالم المثال، ويصير مشاهداً في عالم الحس بتصرف القوة المتصرفة.

وهو أي الكشف عما أراد الله بها هو علم التعبير.

وإنما كان ذلك النور التام العلمي أتم الأنوار وأعظمها نفوذاً لأن الصورة الواحدة المتخيلة المرئية في النوم قد تظهر في خيال أشخاص متعددة بمعان كثيرة مختلفة لتفاوت إستعدادات تلك الأشخاص وإختلافات أمزجتهم وتباين أمكنتهم وأزمتهم وغير ذلك.

(١) نقد النصوص في شرح نقش الفصوص ١٦١ - ١٦٢.



لكن يراد منها، أي من هذه الصورة، في حق صاحب الصورة، أي صاحب كان، معنى واحد من تلك المعاني الكثيرة. فمن كشفه، أي المعنى المراد، وميزه عن غيره وعبر الصورة المرئية به بذلك النور التام العلمي، فهو صاحب النور الأتم، ونوره أتم الأنوار لأنه يتميز به ما هو في غاية الالتباس ونهاية الاشتباه»<sup>(١)</sup>.

ويوضح هذا العارف بعد ذلك كيفية ظهور الصورة الواحدة بمعان كثيرة لا يقدر على التمييز بينها جميعها إلا صاحب الكشف التام، فيقول: «وإنما قلنا أن الصورة الواحدة تظهر بمعان كثيرة، فإن الشخص الواحد من جماعة قديري في النوم أنه يؤذن، فيحج في عالم الحس. وشخص آخر منهم يرى فيه أنه يؤذن، فيسرق في الحس.

أما الحج، فمن قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأما السرقة، فمن قوله تعالى: ﴿أَذِّنْ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) نقد النصوص في شرح نقش الفصوص ١٧٩ - ١٨٠.

(٢) سورة الحج الآية ٢٧.

(٣) سورة يوسف الآية ٧٠.

وصورة الأذان واحدة، لكن التعبير مختلف لاختلاف الرئين وكذلك شخص آخر يرى فيه أنه يؤذن، فيدعو إلى الله على بصيرة. وشخص آخر يرى أنه يؤذن، فيدعو إلى الضلالة، وذلك لاشتراك الأذان مع هاتين الدعوتين في مطلق الدعوة إلى أمر ما، وإنما اختلف المدعو إليه لاختلاف الرأي»<sup>(١)</sup>.

إلى أن يقول في ختام كلامه: «ولا يعرف هذا المقام إلا من يكشف جميع المقامات العلوية والسفلية، فيرى الأمر النازل من الحضرة إلى العرش والكرسي والسماوات والأرض ويشاهد في كل مقام صورته»<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا يتضح لنا أن حاجة الرؤيا إلى التعبير تنطلق من أن ما يراه الإنسان من صور في عالم المثال وما يطلع عليه من حقائق في عالم العقل تكون مجردة من المادة دون الصورة كما هو الشأن في عالم المثال، أو منهما معاً كما هو الأمر في عالم العقل.

وحيثما ترى النفس تلك الصورة وتطلع على تلك الحقائق في عالم النوم بفضل قوتها التخيلية فإنها لا بد وأن ترجعها إلى الحس المشترك الذي يقوم بتصويرها بصور مألوفة ومأنوسة عند الإنسان، فيصور معنى العظمة مثلاً بالجبل، وإذا لم يكن الإنسان مطلعاً تمام الاطلاع على تصرفات القوة التخيلية وأفاعيلها وكيفية تأثيرها في

(١) نقد النصوص في شرح نقش الفصوص ١٨٠.

(٢) نقد النصوص في شرح نقش الفصوص ١٧٩ - ١٨٠.

الحس المشترك الذي يقوم بتجسيد المعاني المتخيلة وتصويرها في صورة حسية فإنه لا يستطيع أن يعبر من الخيال إلى الحس وأن يدرك المعنى المراد من الصور الحسية التي يشاهدها الإنسان في رؤياه، وإذا لم يكن الإنسان صاحب كشف تام فإنه ربما أخطأ في التعبير وتصور ما ليس مراداً بأنه مراد وهذه الرواية التي يرويها بعضهم عن الإمام الصادق تدل على أهمية التعبير وأن الانتقال فيه من الصورة الحسية إلى المعنى المراد ربما كان في غاية الغموض والابهام بحيث لا يتيسر لكل أحد.

فقد قال: «كنت عند أبي عبد الله فجاءه رجل فقال:

رأيتك في النوم كأنى أقول لك: كم بقى من أجلى؟

فقلت لي بيدك: هكذا وأوماً (أي أشار بيده). إلى خمس وقد شغل ذلك قلبي.

فقال: «إنك سألتني عن شيء لا يعلمه إلا الله عز وجل، وهي خمسة تفرد الله بها»<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) بحار الأنوار ٦١: ١٦٠ - ١٦١.

(٢) سورة لقمان: الآية ٣٤.

وفي قصة النبي يوسف التي يحكيها القرآن، المجيد في سورة كاملة نجد أن يوسف يعبر رؤيا الملك بتعبير لا تجد الأذهان بينه وبين الرؤيا مناسبة، وحينما يعجز المفسرون والمعبرون للرؤيا عن إدراك معناها فإنهم يقولون للملك أنها أضغاث أحلام في الوقت الذي يعترفون بانهم لا يعلمون بتأويل الأحلام وتفسير الرؤى.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُّوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (١).

ويبين العلامة الطباطبائي إنقسام المنامات الصادقة إلى منامات صريحة لا تحتاج إلى التعبير ومنامات غير صريحة تحتاج إليه ويتوقف فهمها عليه فيقول: «وقد تبين مما قدمناه أن المنامات الحقة تنقسم إنقساماً أولياً إلى منامات صريحة لم تتصرف فيها نفس النائم

(١) يوسف: الآيات ٤٣ - ٤٩.



فتنطبق على ما لها من التأويل من غير مؤنة، ومنامات غير صريحة تصرف فيها النفس من جهة الحكاية بالأمثال والانتقال من معنى إلى ما يناسبه أو يضاده، وهذه هي التي تحتاج إلى التعبير بردها إلى الأصل الذي هو المشهود الأولى للنفس كرد التاج إلى الفخار، ورد الموت إلى الحياة والحياة إلى الفرج بعد الشدة ورد الظلمة إلى الجهل والحيرة أو الشقاء. ثم هذا القسم الثاني ينقسم إلى قسمين:

**القسم الأول:** ما تتصرف فيه النفس بالحكاية فتنقل من الشيء إلى ما يناسبه أو يضاده ووقفت في المرة والمرتين مثلاً بحيث لا يعسر رده إلى أصله كما مر من الأمثلة.

**القسم الثاني:** ما تتصرف فيه النفس من غير أن تقف على حد كأن تنتقل من الشيء إلى ضده ومن الضد إلى مثله ومن مثل الضد إلى ضد المثل وهكذا بحيث يتعذر أو يتعسر للمعبر أن يرده إلى الأصل المشهود، وهذا النوع من المنامات هي المسماة بأضغاث الأحلام ولا تعبير لها لتعسره أو تعذره وقد بان بذلك أن هذه المنامات ثلاثة أقسام كلية:

وهي المنامات الصريحة ولا تعبير لها لعدم الحاجة إليها، وأضغاث الأحلام ولا تعبير فيها لتعذره أو تعسره والمنامات التي تصرف فيها النفس بالحكاية والتمثيل وهي التي تقبل التعبير<sup>(١)</sup>.

(١) الميزان في تفسير القرآن ١١: ٢٧٢ - ٢٧٣ - الطباطبائي.

## 👉 النقطة الخامسة: الموقف العملي من الرؤيا:

يسرف البعض من المتدينين في الاعتماد على الرؤى والمنامات، وقد تجاوز هذا الاسراف الحد المعقول عند البعض فباتت كل مواقفهم العملية وأفكاره النظرية تؤسس على ضوء الرؤى والأحلام وكأنها وحي أنزل عليه من السماء، ووصل الأمر عند بعض الجهلة من الناس أن يسمح لنفسه بإلغاء وتجاوز المقررات الشرعية الثابتة بالدليل والنص اعتماداً على ما يراه من رؤى وأحلام يراها مبررة لتجاوزه هذا على أحكام الشريعة.

وفي الحقيقة والواقع أن مثل هذا التعامل المنحرف واللامشروع مع مسألة الرؤيا لم يعد وجوده على الدوام في الأوساط الدينية الجاهلة واللاواعية التي كانت تحدث نفسها على الدوام بضرورة وجود رابط مباشر بينها وبين العالم الغيبي تستطيع من خلاله التوصل إلى حل مشاكلها واشكالياتها التي تعجز عن حلها بالطرق الطبيعية المتعارفة بين الناس، ولما كانت تعجز عن العثور على هذا الرابط المباشر في عالم اليقظة فإنها كانت تختلقه في عالم النوم بتأثير الأيحاء المستمر والتحديث الدائم للنفس بهذا الأمر، وقد أشارت العديد من الأخبار والمرويات عن أهل بيت النبوة ان من أسباب الرؤيا الكاذبة هو حديث النفس الذي يضغط على الإنسان باتجاه خلق الصور الخيالية التي ترتبط بما يحدث الإنسان به نفسه، ومن الملاحظ والمجرب أن الإنسان إذا حدث نفسه بشيء تشتهي نفسه

وتعجز عن تحقيقه في الخارج بالوسائل والإمكانات المتوفرة لديها فإنها ترى تحقيقه وإنجازه في عالم الرؤيا الذي لا يعجز الإنسان عن تحقيق كل آماله وطموحاته من خلاله.

ونجد في مقولة الإمام جعفر الصادق للمفضل توضيحاً جامعاً للموقع الذي ينبغي ان لا تتجاوزه الناس في تعاملها مع الرؤيا وموقفهم منها، إذ يقول: «فكرياً مفضل في الأحلام كيف دبر الأمر فيها فمزج صادقها بكاذبها، فإنها لو كانت كلها تصدق لكان الناس كلهم أنبياء، ولو كانت كلها تكذب، لم يكن فيها منفعة، بل كانت فضلاً لا معنى له، فصارت تصدق أحيانا فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدي لها، أو مضرة يتحذر منها، وتكذب كثيراً لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد»<sup>(١)</sup>.

ومن الروايات الكثيرة التي ذكرنا بعضها في ما سبق والتي تعبر عن الرؤيا الصادقة لا مطلق الرؤيا بأنها «بشارة» أو «بشرى» من الله نعى ان الرؤيا لا يمكن لها أن تتجاوز هذا الحد لتصير مصدراً ومقياساً لا ثبات أو نفس حقيقة من الحقائق الدينية أو حكم من أحكام الله الشرعية، وهذا مانعية في موقف الإمام الصادق ممن يرى الله في المنام، إذ يقول إبراهيم الكرخي: «قلت للصادق جعفر بن محمد: إن رجلاً رأى ربه عز وجل في منامه فما يكون ذلك؟

(١) توحيد المفضل ٨٤ - ٨٥.

فقال: ذلك رجل لا دين له، إن الله تعالى لا يرى في اليقظة ولا في المنام ولا في الدنيا ولا في الآخرة»<sup>(١)</sup>.

إذن نجد في هذا الموقف تثبيتاً لمعتقد ديني يحكم به العقل والنقل ويرقى عن أن يكون مجالاً للاثبات أو النفي من خلال الرؤيا والحلم، ونلاحظ هذا النحو من التفكير المتزن والموقف المعقول من الرؤيا في كلام ينقله الكراجكي في «كتر الفوائد» عن شيخه المفيد رضي الله عنه إذ يقول: «وقد كان شياخي رحمته الله يقول: إذ جاز من بشر أن يدعى في اليقظة أنه إله كفرعون ومن جرى مجراه، مع قلة حيلة البشر وزوال اللبس في اليقظة، فما لمانع من أن يدعى إبليس عند النائم بوسوسته له أنه نبي، مع تمكن إبليس بما لا يتمكن منه البشر وكثرة اللبس المعترض في المنام.

ومما يوضح لك أن من المنامات التي يتخيل للإنسان أنه قد رأى فيها رسول الله والأئمة منها ما هو حق ومنها ما هو باطل إنك ترى الشيعي يقول: رأيت في المنام رسول الله صلوات الله عليه ومعه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يأمرني بالإقتداء به دون غيره، ويعلمني أنه خليفته من بعده.

(١) بحار الأنوار ٦١: ١٦٧ - ١٦٨.



ثم ترى السني يقول: رأيت رسول الله ﷺ في النوم، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، وهو يأمرني بمحبتهم، وينهاني عن بغضهم، ويلعمني أنهم أصحابه في الدنيا والآخرة، وأنهم معه في الجنة، ونحو ذلك.

فتعلم لا محالة أن أحد المنامين حق والآخر باطل، فأولى الأشياء أن يكون الحق منهما ما ثبت بالدليل في اليقظة على صحة ما تضمنه والباطل ما أوضحت الحجة عن فساده وبطلانه وليس يمكن للشيعي أن يقول للسني: «إنك كذبت في قولك: رأيت رسول الله ﷺ، لأنه يقدر أن يقول له مثل هذا بعينه»<sup>(١)</sup>.

ومن هنا يتضح لنا أنه لا يمكن للرؤية أن تكون وسيلة يعول عليها في إثبات الحقائق الدينية والأحكام الشرعية، وفي ذلك يقول العلامة المجلسي تدبر: «قد ورد بأسانيد صحيحة عن الإمام الصادق في حديث الأذان أن دين الله تبارك وتعالى أعز من أن يرى في النوم»<sup>(٢)</sup>.

وكلامه هذا إشارة إلى ما يزعمه أهل السنة من أن أصل الأذان رؤيا رآها عبد الله بن زيد وأخبر بها النبي ﷺ فأخذ بها وشرع الأذان على أساس منها.

(١) كنز الفوائد ٢: ٦٤.

(٢) بحار الأنوار ٦١: ٢٣٧- المجلسي.

وقال في «كتاب الصلاة من بحار الأنوار»: «ثم أعلم أن الأصحاب أتفقوا على أن الأذان والإقامة إنما شرعاً بوحي من الله، وأجمعت العامة على نسبة الأذان إلى رؤيا عبد الله بن زيد في منامه ونقلوا موافقه عمر له في المنام، وفي رواية الكليني ما يدل على أنهم كانوا يقولون أن أبي بن كعب رآه في النوم وهو باطل عند الشيعة، قال ابن أبي عقيل: أجمعت الشيعة على أن الإمام الصادق لعن قوماً زعموا أن النبي ﷺ أخذ الأذان من عبد الله بن زيد، فقال: ينزل الوحي على نبيكم، فيزعمون أنه أخذ الأذان من عبد الله بن زيد، انتهى، والأخبار في ذلك كثيرة في كتبنا»<sup>(١)</sup>.

ورواية الكليني التي يشير إليها المجلسي رضي الله عنه في كلامه هذا هي ما رواه في الكافي عن ابن أذينة، عن أبي عبد الله قال: «قال: ما تروى هذه الناصبة؟

فقلت: جعلت فداك في ماذا؟ فقال: في أذانهم وركوعهم وسجودهم، فقلت: إنهم يقولون: إن أبي بن كعب رآه في النوم، فقال: كذبوا فإن دين الله عز وجل أعز من أن يرى في النوم...»<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا الأساس لا يبقى مجال لأحد لأن يتمسك بحديث:

(١) بحار الأنوار ٨٤: ١٢١ - ١٢٣ - المجلسي.

(٢) أصول الكافي ٣: ٤٨٢ - الكليني.

«من رأني في نومه فقد رأني، لأن الشيطان لا يتمثل في صورتي»<sup>(١)</sup>.

لإثبات أو نفي قضايا ومسائل ترتبط بدين الله وأحكامه، مع ما يرد على هذا الحديث من إشكالات علمية كثيرة أهمها عدم ثبوته بسند معتبر وكونه ضعيفاً حتى قال فيه السيد المرتضى رحمته الله: «هذا خبر واحد ضعيف من أضعف أخبار الآحاد، ولا معول على مثل ذلك»<sup>(٢)</sup>.

أضف إلى ذلك إننا قد أمرنا من قبل أئمتنا بأخذ الأحكام الشرعية من قبل رواة أحاديثهم حينما يتعذر علينا الوصول إليهم، ولم يشر الأئمة إلى الاعتماد على الرؤيا في التوصل إلى أحكام دين الله، ولو كانت الرؤيا حجة في مثل هذا لما كان من المعقول أن يسكت الأئمة عن بيان ذلك، بل كان بيانهم على خلاف ذلك كما تصرح بذلك الرواية المتقدمة التي تقول: «إن دين الله عز وجل أعز من أن يرى في النوم».

ومن الأحاديث التي دلت على لزوم الرجوع في معرفة الأحكام الشرعية إلى رواة أحاديثهم، ما رواه الحر العاملي في «وسائل الشيعة» عن أبي خديجة قال: «بعثني أبو عبد الله إلى أصحابنا فقال: قل لهم: إياكم إذا وقعت بينكم خصومة أو تدارى في شيء من الأخذ والعطاء أن تحاكموا إلى أحد من هؤلاء الفساق، اجعلوا

(١) بحار الأنوار ٦١: ٢٣٤ - المجلسي.

(٢) الشريف المرتضى: أمالي المرتضى ٢: ٣٩٤.

بينكم رجلاً قد عرف حلالنا وحرامنا، فإني قد جعلته عليكم قاضياً، وإياكم أن يخاصم بعضكم بعضاً إلى السلطان الجائر»<sup>(١)</sup>.

وروي عن الإمام صاحب العصر والزمان انه قال: «وأما الحوادث الراقعة فارجعوا فيها إلى رواية أحاديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله»<sup>(٢)</sup>.

وحتى في مقام التنازع والمخاصمة قد أمرنا بالرجوع إلى رواية أحاديثهم ومن نظر في حلالهم وحرامهم، فقد روى عن عمر بن حنظلة انه قال: «سألت أبا عبد الله عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة»<sup>(٣)</sup> أيجل ذلك؟

قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنها تحاكم إلى الطغوت، وما يحكم له فإنها يأخذ سحتاً وإن كان حقاً ثابتاً له، لأنه أخذه بحكم الطاغوت وما أمر الله أن يكفر به.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ١٨ : ١٠٠.

(٢) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ١٨ : ١٠١.

(٣) المراد من القضاة قضاة العامة.

(٤) النساء: الآية ٦٠.

قلت: فكيف يصنعان؟

قال: ينظر أن من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرماننا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما استخف بحكم الله وعلينا رد، والراد علينا كالراد على الله، وهو على حد الشرك بالله»<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا الأساس لم يعول علماءنا وفقهاؤنا على الرؤيا في استنباط الأحكام الشرعية، وقد كان هذه سيرتهم منذ زمن الأئمة إلى يومنا هذا، وقد سأل بعضهم العلامة الحلي رحمته الله فقال: «ما يقول سيدنا في من رأى في منامه رسول الله ﷺ أو بعض الأئمة وهو يأمره بشيء أو ينهاه عن شيء، هل يجب عليه امتثال ما أمر به أو اجتناب ما ينهاه عنه أم لا يجب ذلك مع ما صح عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال: «من رآني في منامه فقد رآني فإن الشيطان لم يتمثل بي» وغير ذلك من الأحاديث المروية عنه ﷺ وما قولكم لو كان ما أمر به أو نهى عنه على خلاف ما في أيدي الناس من ظاهر الشريعة، هل بين الحالين فرق أم لا.

(١) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ١٨ : ٩٩.

فأجاب عليه السلام قائلاً: «ما يخالف الظاهر فلا ينبغي المصير إليه، وأما ما يوافق الظاهر فالأولى متابعتها من غير وجوب، ورؤيته عليه السلام لا يعطي وجوب إتباع المنام»<sup>(١)</sup>.

ولا ينافي كل هذا ما توحىه بعض أخبار الأئمة من اعتماد بعض الناس في زمان وجودهم على الرؤيا التي كانوا يرون فيها أحد الأئمة يأمرهم بشيء أو ينهاهم عنه أو يجيبهم على حكم مسألة شرعية، كما في هذه الرواية التي يرويها بشير الدهان عن الإمام الصادق إذ يقول: «قلت له: إني رأيت في المنام أنى قلت لك: إن القتال مع غير الإمام المفروض طاعته حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير، فقلت لي: هو كذلك؟ فقال أبو عبد الله: هو كذلك هو كذلك»<sup>(٢)</sup>.

لأننا نقول وكما أشرنا إليه سابقاً ان الرؤية الصادقة هي رتبة من رتب معرفة الغيب والاطلاع على الحقائق، ولكن تمييز الرؤيا الصادقة ومعرفتها وفهم تعبيرها لا يكون في بعض الأحيان إلا للمعصوم، وفي هذه الرواية قد أقر المعصوم الجواب الذي أجابه عن حكم المسألة في الرؤيا، ومع وجود المعصوم الذي تعرض عليه الرؤى والمكاشفات فيميز صحيحها من سقيمها لا يبقى مجال للتردد والإبهام في ما يراه الإنسان من مكاشفات يعرضها على

(١) أجوبة المسائل المهنية ٩٧ - ٩٨ العلامة الحلي.

(٢) أصول الكافي ٥: ٢٣ - الكليني.

الإمام المعصوم فيميز بينها ويكشف حقاها من باطلها سواء كانت المكاشفات حصلت... في اليقظة أم في المنام، وبالتالي يكون المرجع الأصلي في إثبات أو نفي الحقيقة الدينية والحكم الشرعي ليست هي المكاشفة أو الرؤيا وإنما هو إقرار الإمام المعصوم وتصديقه وإلى هنا تنتهي من البحث عن الرؤيا وما يرتبط بها من أبحاث علمية، ونختم هذه الكلمة بالحديث عن قضية ترتبط بالرؤيا وملاساتها، وهي النقطة الأخيرة من هذه الكلمة.

### 👉 النقطة السادسة: شبابنا والرؤيا في قضية المهدي:

نود في ختام هذا البحث أن نتعرض لقضية ترتبط في واقعها الفعلي عند البعض من الناس ولاسيما الشباب المسلم بمسألة الرؤى والمنامات، وهي قضية الإمام المهدي، إذ ان هذه القضية واجهت على مر التاريخ الإسلامي عدة محاولات لاستغلالها لمصالح شخصية وطموحات ذاتية، وقد عرف تاريخنا الإسلامي منذ عهد الغيبة الصغرى للإمام المهدي التي أعقبت وفاة أبيه الإمام الحسن العسكري العديد من الأشخاص الذين أدعوا البابية والوكالة والسفارة عن صاحب العصر والزمان، وتنوعت أشكال هذه الدعاوى وإختلفت أساليبها، ولكنها كانت على الدوام تسقط وتلاشى في نهاية المطاف، وتبقى اللعنات هي التي تصاحب مدعيها ومن ينخدع لهم إلى يوم القيامة.

وفي زماننا هذا تتخذ هذه الدعاوي المنحرفة شكل الارتباط بالمهدي من خلال الرؤيا والأحلام، وإدعاء السفار أو الوكالة أو البايبة من خلال التنصيب في عالم الرؤيا، ونحن وإن كنا نعتقد بأن مثل هذه الدعاوي لا تعدوا أن تكون مجرد ترهات وسخافات سرعان ما يرفضها الواقع ويكذبها من ينخدعون بها في أول أمرها، إلا إننا أحببنا في ختام حديثنا أن نقدم لشبابنا المسلم كلمة مختصرة عن الإمام المهدي وقضيته الكبرى.

فنقول: إن من الخصائص والميزات التي يتمتع بها الفكر الإسلامي الشيعي ما يمتلكه من رؤية مستقبلية واضحة ومفصلة في ما يرتبط بقضية الإمام المهدي، إذ إننا نلاحظ إن هناك تصوراً واضحاً عن كثير من الجزئيات والتفاصيل التي تتحدث عن صاحب العصر والزمان وما يتعلق بحركته الاصلاحية والتغيرية التي يحقق الله سبحانه وتعالى من خلالها انجاز وعدة في نصر المستضعفين وجعلهم أئمة يرثون الأرض ويقيمون حكم الله فيها.

قال تعالى: ﴿ وَرُبُّدُ أَنْ نَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (١).

(١) سورة القصص: الآية ٥.



وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ  
الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١).

ولقد جاءت الروايات الكثيرة جداً جداً عن أهل البيت في التأكيد على ضرورة ظهوره وأنه من المحتوم الذي لا تبديل فيه ولا تغيير، فعن الإمام الرضا عن آبائه إن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقوم القائم الحق منا وذلك حين يأذن الله ﷻ لك له ومن تبعه نجا ومن تخلف عنه هلك: الله الله عباد الله فأتوه ولو على الثلج فإنه خليفة الله ﷻ وخليفتي» (٢).

وعن رسول الله ﷺ: «لا تذهب الدنيا حتى يقوم بأمر أمتي رجل من ولد الحسين يملأها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً» (٣).

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ لفاطمة في مرضه: والذي نفسي بيده لا بد لهذه الأمة من مهدي وهو والله من ولدك» (٤).

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٥.

(٢) بحار الأنوار ٥١: ٦٥ - المجلسي.

(٣) بحار الأنوار ٥١: ٦٦ - المجلسي.

(٤) بحار الأنوار ٥١: ٦٧ - المجلسي.

وعن ابن عباس انه قال: «قال رسول الله ﷺ: إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي اثنا عشر أولهم أخي وآخرهم ولدي، وقيل: يا رسول الله ﷺ ومن أخوك؟»

قال: علي بن أبي طالب، قيل: فمن ولدك؟

قال: المهدي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً والذي بعثني بالحق نبياً لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لأطال الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه وتشرق الأرض بنور ربها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب»<sup>(١)</sup>.

ومع أن قضية الإمام المهدي التي كانت تمثل في واقعها قضية الاستضعاف والمظلومية والاصرار على حمل معاناة الإنسان والدفاع عن حقه في عيشة كريمة حرة - اعتبرت أكبر وأوضح وأعظم رؤية دينية في استشراف المستقبل وتحديد ورسم معالم المسار النهائي للإنسان في عالمه الدنيوي، إلا أنها قدر لها أن تواجه على مر التاريخ الإسلامي العديد من التشويهات المقصودة وغير المقصودة، وما يؤسف له أن أكثر هذه التشويهات لقضية الإمام المهدي جاءت وصدرت من أناس يؤمنون كل الإيمان بالقضية ويتحمسون لها أشد التحمس.

(١) بحار الأنوار ٥١ : ٧١ - المجلسي.

وأهم تلك التشويهاً التي واجهتها قضيته وكان لها الأثر الشيء على تصورات ومواقف الرأي العام الإسلامي في ما يرتبط بقضيته محاولة التسطيح لأبعاد القضية وحرفها عن مسارها الصحيح الذي يراد من خلاله تحسيس الإنسان المسلم بمسؤوليته الخطيرة في ما يتخذه من مواقف ترتبط بماضيه وحاضره ومستقبله نعم... لقد عمل البعض من العلماء والمفكرين الإسلاميين من دون وعي وإدراك على حرف القضية عن مساراتها الصحيحة التي تبتغي تأصيلها وتحذيرها في حركة الإنسان المسلم، فبدلاً من أن تصور القضية كما يريد لها الإسلام قضية إنسان يعيش كل معاناة الإنسانية وهمومها ويتحمل طوال سنين عديدة صرخات المظلومين وأنات المضطهدين والمعذبين من بني البشر، وإذا بها تختلق لها التصورات الخيالية من هنا وهناك لتبتعد شيئاً فشيئاً عن واقع الإنسان المعذب، وتتحول على خلاف إرادتها إلى قضية رؤى وأحلام وقصص خيالية يلهث وراءها الإنسان الذي يريد الابتعاد عن واقعة والعيش في عالم الخيال.

ولسنا بحاجة إلى أن نضرب الأمثال ونذكر بالمصاديق التي أنتجها وأسسها هذا المنحى في التعامل مع قضية الإمام المهدي، إذ يكفينا أننا نعلم أن قضية خيالية مثل قصة «الجزيرة الخضراء» صارت ترتبط أشد الارتباط في أذهان المسلمين بقضيته، وهي توحى لكل من يسمعها أو يقرأها بكثير من الإطمئنان والاستقرار

واللامبالاة وتناسي هموم الإنسانية ومعاناتها التي يعيشها الإمام في أجواء جزيرته المختلقة، والتي تشابه في إحياءاتها أجواء قصور الملوك والطواغيت الذين لا يحملون أية قضية ولا يستشعرون أية معاناة إنسانية. وللأسف استطاع هذا الفهم المغلوط أن يتعمق في أذهان الكثير من المتدينين ولاسيما الشباب المسلم حتى صار الكثير من شبابنا المسلم يبحث في قضية المهدي أبعاداً وجوانب تضيي على القضية الكثير من لمسات السطحية واللاوعي وتبتعد بها عن آفاقها الأصيلة التي تحفز المسلم على التفكير والحركة والسعي والتغيير في كل لحظة وفي كل آن.

ولا نستطيع إذا ما أردنا أن نكون منصفين ان نحمل الشباب المسلم المسؤولية كاملة في ما يتخذه ويؤسسه من أساليب ومواقف خاطئة تجاه قضية المهدي، لأننا ندرك ان النتاج الفكري الإسلامي في ما يختص بالقضية مورد البحث، كان يتعد في كثير من معطياته عن مقتضيات الواقعية ومستلزمات الموضوعية في طرح ودراسة وتحليل قضية المهدي، وكان يجنح في كثير من الأحيان إلى الخيال واللاواقعية ويستنجد بهما إذا أعيته الحيلة عن إثبات أو نفي فكرة معينة ترتبط من قريب أو بعيد بقضيته.

ومن الطبيعي أن يولد مثل هذا النتاج الذي يقبل عليه شبابنا المسلم بشغف وشوق شخصيات تهرب من الواقع وترفض التعامل معه بمنطقه، وتلجأ إلى الأحلام والرؤى والتنبؤات

وشواد الأخبار وضعاف الروايات ومختلقات القصص لتكون من خلال ضم بعضها إلى بعض نسيجاً متكاملًا عن واقع القضية وأبعادها، ولكنه نسيج خيالي ووهمي إلا أنه له من القوة ما يحطم به كل ثوابت الواقع شرعية كانت أم عقلية أم إجتماعية، وكلامنا هذا ليس مجرد فرض وتوهم يعجز الواقع عن إثباتها وتقديم المصاديق والدلائل عليهما، بل أن الأمر بات واضحاً وضوح الشمس ولم يعد مجتمع من مجتمعاتنا الإسلامية يخلو من قضية مثيرة ينتجها ويؤسسها الفهم اللاواعي والموقف اللامتزن من قضية الإمام المهدي فلقد صار الكثير من الجهلة والنفيعين يستغلون قضيته ليحولوها إلى قضية أحلام ورؤى تثبت من خلالها وعن طريقها إعتقادات ومقولات تستهدف في نهاية المطاف ضرب الوجودات الإسلامية بعضها ببعض وتحطيم بنائها الداخلي بنفس يدها.

ولسنا نريد هنا أن ندخل مع الشباب في بحوث دينية وعلمية حول من يرى صاحب الزمان في الرؤيا، وصحة مثل هذه الرؤى أو عدم صحتها، وجواز الاعتماد عليها أو عدم جوازه، ومحاوله تنفيذ دعاوي من يدعون النيابة الخاصة والسفارة عنه في زمن الغيبة أما عن طريق الرؤيا أو عن طريق المشاهدة، لأننا نعتقد أن مثل هذه البحوث قد وجدت كل الإجابات المقنعة عنها، ومنذ زمن بعيد والعلماء يؤلفون الكتب والمقالات في إبطال وتزييف قول من يدعي النيابة الخاصة عنه بعد انتهاء فترة الغيبة الصغرى.

بل ما نريده من شبابنا المسلم أن يعي كل الوعي أن قضية المهدي أسمى من أن تتحول إلى قضية أحلام ورؤى يراها أناس يتحلون الإسلام كذباً وزوراً ونفاقاً، ويبتغون من وراء أحلامهم الكاذبة أن يثبتوا لأنفسهم مقامات عند السذج من الناس، يعجزون عن اكتسابها بطريق الجد والسعي والعمل والاخلاص لله تعالى، ونحن نرجوا في ختام هذه الكلمة - والتي ستكون الكلمة الأخيرة من الكتاب أن يكون شبابنا المسلم قد وعى من خلال ما قدمناه له من بحث مطول ومفصل عن الرؤيا الموقع المناسب الذي تستحقه مثل هذا الدعاوي الباطلة والمنحرفة وأن يتعامل معها بوعي ودراية، ونحن على ثقة تامة بأن شبابنا المسلم سيفعل ذلك، وأنه يمتلك من البصيرة والفهم ما يجعله قادراً على التمييز بين الحق والباطل قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ ﴿٤﴾ (١).

### ﴿الخاتمة: كلمة أخوية إلى جيل الشباب﴾

أخي الحبيب: إن الإنسان في الدنيا كمسافر يقصد الوصول إلى مقصد معين، والإنسان الصالح والعاقل هو من يبحث عن أسمى الأهداف والمقاصد والتي هي في نظر الإسلام سعادة الآخرة والفوز برضوان الله وجناته الواسعة.

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤.

فما علينا إلا السعي وراء هذا الهدف المقدّس والإبتعاد عن كل ما يسبب لنا الانحطاط إلى أسفل درك من الحضيض والذي ينتج عن الميوعة والانحراف والتفسخ الخلقي الذي يصيب مجتمعاتنا في هذا العصر، وبالخصوص جيل الشباب.

فالعاقل هو الذي لا يلوث أذياه بأي ذنب، ويظل متحفظاً من أي إنحراف في سلوكه، فالرجال العظماء والذين كانوا ولا يزالون مفاخر الإنسانية جمعاء في كل عصر لم يحصلوا على تلك المنزلة إلا لأنهم عاشوا عيشة طاهرة منزهة من الدنس، فالفضائل والكمالات لا يمكن أن تتفق مع الذنوب.

ومن يريد الوصول إلى أوج الكمال والعظمة الروحية، عليه أن يتخلى عن كل الشهوات الغير المشروعة التي تقف في طريق تكامله، يقول الإمام الصادق: إنك لا تدرك ما تحب إلا بالصبر عما تشتهي<sup>(١)</sup>.

والخطوة الأولى في هذا الطريق للتعرف على المناهج الأخلاقية السليمة والصحيحة أن نتبع منهج الأنبياء والرسل الذين ميزوا لنا محاسن الأمور من مفسادها، ووضعوا لنا السنن والآداب وأخبروا بالمصالح والمفاسد، وساروا بأنفسهم في هذا الطريق فاستحقوا المقام الرفيع عند الله، فواجبنا حينئذ هو أتباع خطواتهم.

(١) أصول الكافي ص ٢٥٦.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾<sup>(١)</sup>.

بعد هذه الرحلة الطويلة مع «شبابنا ومشاكلهم الروحية» نصل إلى خاتمة الكتاب، ونأمل أن يكون شبابنا المسلم قد استفاد مما قرأه من كلمات الكتاب التي ربما كانت بعضها مرهقة لتفكيره لإشتغالها على مطالب علمة ومباحث فلسفية وعرفانية قد لا يستطيع الشاب ان يهضمها ويستوعبها بسهولة.. ولكن ليعلم شبابنا المسلم إننا كنا نرفض أن نعالج قضايا شبابنا المسلم ولا سيما قضاياها الروحية بالسطحية التي يرغب فيها الكثير من الناس، والتي لا يهتمها أن تعالج المشكلة علاجاً حاسماً بقدر ما يهتمها أن تقدم للآخرين أفكاراً تدغدغ عواطفهم وتثير مشاعرهم وربما كانت سبباً في تجذير المشكلة وتعميق أبعادها.

نعم... لقد ابتعدنا باختيارنا عن مثل هذا النوع من المعالجات التبسيطية للقضايا والمشاكل، وحاولنا أن نخلص لشبابنا النصيحة بدراستنا لمشاكلهم الروحية دراسة موضوعية تستقطب جميع أبعاد المشكلة وجوانبها المختلفة، وإن كان ذلك يستدعي من الشاب الذي يقرأ الكتاب مزيداً من التوجه والانتباه، وكان عذرنا الوحيد في ذلك اننا نريد أن نكون مخلصين في ما نقدمه للشباب من كلمات ومعالجات وتوجيهات.

(١) سورة الأحزاب الآية ٢١.



ولقد نصح أمير المؤمنين ابنه الإمام الحسن فقال: «أي بني، إنني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي، فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم، حتى عدت كأحدكم، بل كأني بما أنتهي إلى من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضره، فاستخلصت لك من كل أمر نخيله<sup>(١)</sup>، وتوخيت<sup>(٢)</sup>، لك جميله، وصرفت عنك مجهوله<sup>(٣)</sup>».

وهكذا أردنا من كتابنا هذا «الوصايا العرفانيا والأخلاقية» أن يتمثل في ما طرحه وصية أمير المؤمنين الإمام علي فيقدم للشباب المسلم الرأي النافع والكلمة الواعية فيحببها إليه ويحثه عليهما، ويحذره من الوقوع في المطبات التي تستهلك شبابه وقدراته فيما لا ينفعه ولا يعود على أمته بالمصلحة.

وهذه المحاولة في معالجة مشاكل الشباب الروحية التي جسدها كلمات هذا الكتاب لا نزعم أنها متكاملة وتامة، وما كنا نرجوه من ورائها هو فتح الباب لعلمائنا ومفكرينا وكتابنا من أجل أن يتوجهوا إلى شبابهم المسلم ويعتنوا بقضاياهم ومشاكلهم المختلفة، ويفكروا بصورة جدية في واقع الشباب وما يكتنف هذا الواقع من

(١) النخيل: المختار المصفي.

(٢) توخيت: أي تحريت.

(٣) نهج البلاغة، باب الرسائل، رقم ٣١.

إثارات يواجهها الشباب المسلم على مختلف المستويات.

ونأمل أن تكون هذه الكلمات حافزاً ومشجعاً للآخرين على دراسة ومعالجة بقية مشاكل الشباب التي لم نوفق ل طرحها وإثارتها في هذا الكتاب من أجل أن تبقى قضايا شبابنا المسلم تحتل الصدارة والأولوية في تفكيرنا وتوجيهاتنا.

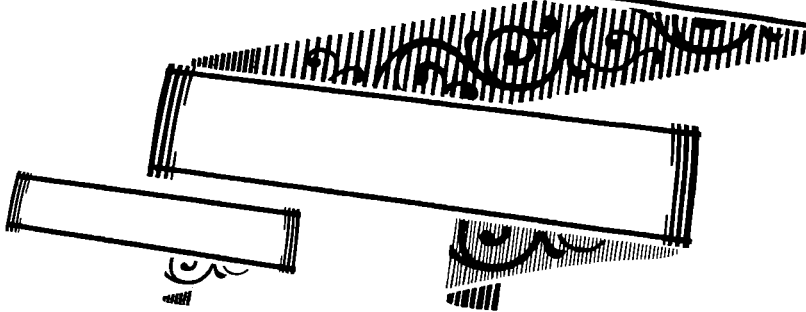
ونحن نأمل أن يكون هذا الكتاب قد بصر الشباب المسلم بموقعه الحقيقي الذي ينبغي أن يتخذه في النهضة الجديدة للإسلام التي يشهدها عصرنا الراهن، وأن يدرك أن أمته الإسلامية الكبيرة تعقد آمالها وطموحاتها في مستقبل مزهر ومشرق عليه وعلى غيره من شباب عالمنا الإسلامي، وما زالت أمتنا الإسلامية تنظر إلى شبابها المسلم الملتزم وترى فيه الأيدي الأمانة التي لا يستطيع غيرها أن يحقق للأمة نهضتها المرجوة. ولن يستطيع شبابنا المسلم أن يحققوا هذا الأمل إلا إذا تمكنوا من تجسيد الإسلام الأصيل في كل حياتهم وقدموا للبشرية النماذج الإنسانية الصالحة والمتكاملة في سعيها العملي، والبعيدة كل البعد عن كل مظاهر الاختلال في الفكر والسلوك.

وآخر كلمة نقولها لشبابنا المسلم: إنكم أيها الشباب ملك لله وللإسلام وللأمة فلا يحق لكم أن تفرطوا في عمركم الشريف ولا أن تضيعوا ولا لحظة واحدة في غير ما يخدم دينكم ويرضى ربكم ويعلى شأن أمتكم الإسلامية.

## الفصل الثاني

### برامج للسالكين على درب العرفان

- ١ \_ رسالة العارف الشيخ محمد حسين الاصفهاني المعروف باكمباني.
- ٢ \_ رسالة فخر المجتهدين وسند العارفين الميرزا جواد الملكي.
- ٣ \_ البرنامج الأول: منهاج السالكين.
- ٤ \_ البرنامج الثاني: ذكر اليونسية.
- ٥ \_ البرنامج الثالث: شرائط التدبير في القرآن.
- ٦ \_ البرنامج الرابع: كيفية التذلل لله عز وجل.
- ٧ \_ البرنامج الخامس: المشاركة والمراقبة والمحاسبة.
- ٨ \_ البرنامج السادس: رؤية المعصوم في عالم المنام.
- ٩ \_ البرنامج السابع: كيفية التوبة.





## برامج للسالكين

### البرنامج الأول: منهاج السالكين:

كتب الشيخ محمد حسين الاصفهاني المعروف باكمباني وهو من أعلام واساتذة الحوزة العلمية في النجف - الى العارف الملكي رسالة يطلب منه برنامجا للسلوك مما تعلمه من استاذة الملا حسين قلي الهمداني، قال العلامة الطباطبائي في تعريف الشيخ الأصفهاني: «كان الشيخ اصفهاني الأصل ولكنه قضى أيام حياته في العتبات المقدسة، وبعد إكمال دراسة المقدمات التحق بدرس الفيلسوف الإلهي الشيخ محمد باقر الاصطهبأتاني لدراسة الحكمة، وحضر ثلاثة عشر عاما دروس الآخوند الخراساني في الفقه والأصول، وكانت له في تهذيب نفسه وتزكية باطنه علاقة ومكاتبة مع العالم

التحرير فخر المجتهدين وسند العارفين الميرزا جواد الملكي الذي كان من أكابر تلامذة الآخوند الملا حسين قلي الهمداني».

ومما يجدر ذكره أن الشيخ الكمباني ترك الدرس والبحث إثنا عشر عاماً وتفرغ للعبادة والسلوك في طريق العرفان. وخلف آثاراً علمية وعرفانية وفلسفية مهمة، منها: كتاب الأنوار القدسية وتحفة الحكيم وديوان شعر ونهاية الدراية. توفي في سنة ١٣٦١هـ. ودفن في النجف.

فكتب له العارف الملكي جواباً وشرح له طريقة وبرنامج استاذة الهمداني في السلوك العرفاني، وكانت نسخة هذه الرسالة عند العلامة الطباطبائي فأعارها الى تلميذه العلامة حسين زاده الأملي الذي استنسخها ثم نشرها للملأ العام في الآونة الأخيرة. ويقول العلامة الطباطبائي أيضاً: (وكان الشيخ الكمباني ضنينا جدا في إعطاء هذه الرسالة، ولا توجد منها سوى نسختين، أحدهما عندي والآخرى عند الشيخ علي محمد البروجردي والذي يقيم حالياً في بروجرد، وهو من الأخيار. وفي هذه الرسالة جميع ما تعلمه الميرزا جواد الملكي من الآخوند الهمداني في التهذيب والتزكية الروحية).

## ✍ الرسالة الجوابية للعارف الميرزا جواد الملكي:

بسم الله الرحمن الرحيم

روحي فداك: بعد الإعراض عن مشقة المجاملات وعدم الوصول الى الواقعيات على ما تفضلتم به في رسالتكم، وطلبكم من هذا المفلس برنامجا يوصلكم الى ما تريدون، فأقول بلا تكلف حقيقة ما تعلمته للسير في هذه العوالم وتحدثت لك منذ البدء عن بعض نتائجه بالتفصيل، لرغبتني الجامعة في أن أكون مع باقي رفاقي على صبغة واحدة في جميع العوالم وابين لكم هنا أصل وأساس ما أعلم لزومه في هذا الطريق بلا ضيق علي في ذلك، وأشرح لكم الآن إجمال ما تعلمته مرة اخرى، قالوا في الطريق المطلوب لمعرفة النفس: إن النفس الإنسانية ما لم تعبر من عالمها المثالي فسوف لن تصل الى العالم العقلي. وما لم تصل النفس الى العالم العقلي فلا تحصل لها حقيقة المعرفة، ولن تصل الى المطلوب، ولهذا من أجل الوصول الى هذا الهدف قال المرحوم المغفور له (جزاه الله عنا خير جزاء المعلمين): يجب على السالك أن يقلل من طعامه مقداراً أكثر من المتعارف، ويوفر وقتاً أكبر للاستراحة لتضعف الصفة الحيوانية عنده وتقوى الجنبه الروحية، وقال في تعيين ميزان ذلك:

أولاً: على السالك أن لا يتناول أكثر من وجبتين في اليوم والليله، وأن لا يأكل بين الوجبات.



ثانياً: يجب عليه عندما يريد أن يأكل أن يكون ذلك بعد ساعة من الجوع، وأن يأكل بمقدار لا يشبع معه. هذا في قلة الطعام، وأما في كفيته فيجب عليه إضافة إلى مراعاة الآداب المعروفة أن لا يتناول لحماً كثيراً، بمعنى أن يترك أكله في وجبتي الليل والنهار، وأن يترك أكله أيضاً في كل أسبوع يومين أو ثلاثة.

وإن استطاع تركه نهائياً فليعمل. ويجب على السالك أيضاً أن يمتنع عن أكل الكرزات «الفتق والجوز واللوز والحمص والبندق وبرز القرع»، فإن نازعته نفسه جداً الى أكله فليستخير الله في ذلك. وإن استطاع صيام ثلاثة أيام من كل شهر فليفعل، وأما بالنسبة الى تقليل النوم فكان يقول: ينبغي للسالك أن ينام ست ساعات فقط في اليوم، وأن يهتم كثيراً بحفظ لسانه، وعليه باجتناّب معاشرّة أهل الغفلة، وهذا كاف في تقليل الجنبة الحيوانية عنده.

وأما ما يجب على السالك الإتيان به في سبيل تقوية الجانب الروحاني فهو:

أولاً: أن يكون مغموماً مهموماً محزوناً قلبه دائماً بسبب عدم الوصول الى المطلوب.

وثانياً: أن لا يترك الفكر والذكر ما استطاع الى ذلك سبيلاً.



وهذان هما جناحا السير في سماء المعرفة.

وعمدة الوصايا في الذكر هي أذكار الصباح والليل، وأهمها ما ورد في الأخبار، وأهم التعقيبات هي الصلاة على محمد وآل محمد. وعمدة الذكر هو ما كان عند النوم على ما هو المأثور في الأخبار، لا سيما إذا كان متطهرا بحيث يغشاه النعاس وهو في حال الذكر.

وأما قيام الليل فكان يوصي أن يكون قبل ساعة ونصف من طلوع الفجر في الصيف وثلاث ساعات قبل طلوع الفجر في الشتاء، وكان يقول: لقد رأيت آثارا عظمية من سجدة الذكر اليونسية أي ينبغي الاستمرار عليها ليلا ونهارا، وكلما اتى بها أكثر كان أثرها أعظم، وأقل القليل فيها هو تكرارها اربعمائة مرة، وقد جربت ذلك بنفسى أيضا، وادعى تجربة ذلك أيضا أشخاص آخرون، ومما يزيد في تقوية الجانب الروحي عند السالك أيضا هو قراءة القرآن الكريم وإهداء ثوابها الى النبي ﷺ.

وكان يقول فيما ينبغي للمبتدىء التفكير فيه: ليفكر في الموت الى الوقت الذي يشعر فيه من حاله أن الاستمرار في ذلك سينتهي به الى الحيرة، وإجمالا يجد في نفسه استعدادا، وحينئذ يلتفت الى عالم خياله ويفكر عدة أيام ليلا ونهارا ليفهم بأن كل ما يتخيله ويراه هو نفسه ولا يخرج عن حدود نفسه. فإذا تحول ذلك الى ملكه في نفسه فانه سيرى نفسه في عالم المثال، أي يفهم حقيقة عالم مثاله ويكون

له هذا المعنى ملكة، وكان يقول: وعندئذ يجب على السالك تغيير تفكيره ويمحو جميع الصور والأوهام والتفكير في العدم.

وإذا صار ذلك ملكة عند الإنسان فلا بد أن يتجلى له سلطان المعرفة، أي سيفوز يتجلى حقيقة نفسه بالنورانية وبلا صورة وحد بكامل البهاء.

فإذا رآه وهو في حال الجذبة كان أفضل، وعندما يجد الرقي في العالم العالية فسيرى أثر كل سير حاضرا.

ومن أجل ترتيب هذه العوالم يجب على الإنسان أولا أن يترقى من عوالم الطبيعة هذه الى عالم المثال، ثم الى عالم الأرواح والأنوار الحقيقية، ومن العجيب أن نرى التصريح بهذه المراتب في سجدة دعاء ليلة النصف من شعبان، والذي سيكون موافقا لوصول الرسالة، حيث يقول: (سجد لك سوادي وخيالي وبياضي) وعندما تفنى هذه الثلاثة بأجمعها سيحصل أصل المعرفة، حيث أن حقيقة السجدة هو عبارة عن الفناء، وعند الفناء عن النفس بمراتبها يحصل البقاء بالله «رزقنا الله وجميع اخواننا بمحمد وآله الطاهرين». ولم نحرم والحمد لله ببركة دعاء الاخوان من هذه العوالم إجمالا. وقد جعلت الدعاء لكم ولبعض الاخوة الآخرين وردي الليلي.

وحد إكمال التفكير في عالم المثال، والذي يكون بعده محور الصورة، هو: إما أن يلتفت بنفسه تلقائياً ويرى حقيقة الموضوع عياناً، أو يفكر الى الحد الذي يعبر من العلمية الى العيان، وحينئذ تمحى الأوهام بالتفكير في العدم الى أن يتجلى من جهة حقيقة نفسه»<sup>(١)</sup>.

### الطباطبائي وتفسير الرسالة:

وقال العلامة الطباطبائي في توضيح بعض عبارات الرسالة جواباً على سؤال الشيخ حسن زادة الأملي: ما معنى قول الميرزا الملكي: «وهو حينئذ يلتفت الى عالم خياله»؟..

قال: ما لم يجد الإنسان العلم فجميعه في صقع نفسه، والجميع عالم مثال لعلمه هو. وكل ما تراه (أي ما تدركه) هو نفسك وليس هو أمراً خارجاً عنك.

والمقصود من قول الملكي: «يجب تغيير الفكر ومحو جميع الصور والأوهام والتفكير في العدم».

هو أن جميع هذه هي مظاهر تجليات الحق تعالى، وعليك أن ترى الحق في هذه المظاهر، ولا تنظر لها على أنها وجودات مستقلة، وهو المراد من العدم. وبها أن وجود الظهور بلا مظهر والجلوة بلا

(١) المراقبات - الميرزا جواد الملكي.

مجلي لا معني لها، ولا يمكن لها أن تتحقق، فإذاً الجميع يرى بها الحق.

والعارف هو ما اكتشف أخيراً ما كان قد حصل عليه أولاً. وجميع الناس يكتشفون في حالة إلا أن طريقة الاكتشاف مختلفة ويكون حينئذ قد وصل إلى عالم النور والبياض والعيان<sup>(١)</sup>.

### 👉 البرنامج الثاني: ذكر اليونسية:

ومن الأعمال المتعارفة عند السالكين هو ذكر اليونسية في حال السجود لمدة ساعة أو (٤٠٠) مرة على الأقل في كل يوم، وقد نقل العارف الملكي عن استاذة حسين قلي الهمداني الأهمية العظمى لهذا العمل إضافة إلى قراءة سورة القدر مائة مرة في ليلة الجمعة وعصرها، قال: «ثم إنني سألت بعض مشايخي الأجلة الذي لم أر مثله حكيماً عارفاً، ومعلماً للخير حاذقاً، وطيباً كاملاً: أي عمل من أعمال الجوارح جربتم أثره في تأثر القلب؟.. قال: سجدة طويلة في كل يوم يديمها ويطيّلها جداً، ساعة أو ثلاثة أرباعها.

(١) كتاب ردود وتفسير ج ٢ ص ٢٣١- السيد محمد حسين الطباطبائي.

قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، شاهدنا نفسه مسجوناً في سجن الطبيعة، ومقيدة بقيود الأخلاق الرذيلة، ومنزهاً لله تعالى بأنك لم تفعله بي ظلماً، وأنا ظلمت نفسي وأوقعتها في هذه المهلكة العظيمة.

وقراءة القدر في ليالي الجمعة وعصرها مائة مرة.

قال تثير: ما وجدت شيئاً من الأعمال المستحبة يؤثر تأثير هذه الثلاثة. وقد ورد في الأخبار ما حاصله أنه ينزل يوم الجمعة مائة نفحة أو رحمة، تسع وتسعين منها لمن قرئها مائة مرة في عصرها، وله نصيب في الواحدة أيضاً<sup>(٢)</sup>.

وقال العارف جواد الملكي أيضاً: «كان لي شيخ جليل أيام تحصيلي في النجف الأشرف. وكان مرجعاً للاتقياء من طلبة زمانه في التربية، وسألته عما جربه من الأعمال البدنية في تأثير حال السالك إلى الله، فذكر أمرين:

أحدهما: أن يسجد في كل يوم وليلة سجدة واحدة طويلة ويقول فيها:

(١) سورة الأنبياء الآية ٨٧.

(٢) الوصايا العرفانية، العارف الميرزا جواد الملكي.

قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ

﴾ (١) ﴿٨٧﴾

يقصد بذلك أن روعي مسجونة في سجن الطبيعة، ومقيدة بقيود الاخلاق الرذيلة، وإني بأعمالي جعلت نفسي مسجونة في هذا السجن، ومقيدة بهذه القيود، وانزه ربي من أن يكون هو الذي فعل بي ذلك ظلماً، وأنا الذي ظلمت نفسي وأوقعتها في هذه المهالك. وكان يوصي أصحابه بهذه السجدة، وكان كل من يعمل بها يعرف تأثيرها في حياته لا سيما من كان طول سجوده اكثر، وكان بعض أصحابه يكرر ذلك ألف مرة، وبعضهم أقل، وبعضهم أكثر، وسمعت أن بعضهم يكررها ثلاثة آلاف مرة.

والثاني: أن يتختم بخاتم فيروزج أوعقيق، وقد ورد أن الله تعالى قال: إني لأستحي من عبد يرفع يده وفيها خاتم فيروزج فأرجها خائبة» (٢).

(١) سورة الأنبياء الآية ٨٧.

(٢) المراقبات - الميرزا جواد الملكي.

### البرنامج الثالث: شرائط التدبر في القرآن:

قال العارف الميرزا جواد الملكي رحمته: «قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (١)».

فمن تدبر في القرآن لابد أن يعرف بقدر تدبره معنى الكلام وعظمته، وعظمة المتكلم به، وأحضر قلبه عند قرائته وتدبر فيها، وتفهم مراداتها، وتخلي عن موانع الفهم، وفرض نفسه مخصوصا بأحكامها ومواعظها فيتأثر عند ذلك منها ويرقى بعد تأثره في مراتب فراسته الى عوالم بهية ومقامات سنية. هذه امور متعلقة بقراءة القرآن، بعضها واجب جدا، وبعضها فضل وأي فضل.

أما فهم معنى كلام الله فيجمله أن يعلم أن القرآن له حقيقة غير عوالم الألفاظ والمفاهيم والنقوش، وهو من أنوار الله، وله في العوالم مظاهر، ولمظاهره تأثيرات. وله في عوالم الآخرة صورة كصورة الأنبياء والملائكة وعباد الله الصالحين، يتكلم في هذه الصور، ويشفع عند الرب تعالى ويشفع وهو شافع مشفع وصادق (ما حل) مصدق، وهو في الحقيقة تجل من تجليات الله جل جلاله، كل ذلك في أخبار أهل البيت عليهم السلام الذين هم قيم القرآن ومع القرآن لا يفترقان.

(١) سورة محمد الآية ٢٤.



وفيه تبيان كل شيء، وعلم ما كان ويكون، وهو نور يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم، بل بحقيقته في بعض العوالم اتحاد مع حقيقة رسول الله ﷺ وخلفائه الطاهرين. كما يكشف عنه قول أمير المؤمنين: أنا القرآن الناطق. وبالجملة للقرآن حقيقة، وحقيقته بحيث لا يصل إلى كنه معرفته هذه العلوم.

قال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٧٩) <sup>(١)</sup> فالمعرفة بحقيقته ملازمة لمعرفة عظيمة، وهي ملازم لمعرفة عظمة المتكلم به، فمن عرفه بهذه المثابة لا بد أن يحضر قلبه عند تلاوته، وتدبر في قراءته، واستفهم مراداتها وإشاراتنا ولطائفها، وإن في ذلك خيرا كثيرا، لأن في القرآن علم المبدأ والمعاد وهو العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأنواع العلوم بحقائق الأشياء كما هي.

وبالجملة روي عن أمير المؤمنين أنه قال: «ما أسر إلي رسول الله ﷺ شيئا كتمته عن الناس إلا أن يؤتي الله عبدا فهما في كتابه»، ولا بأس أن نشير الى مسألة واحدة من وجوه التدبر والاستفهام ليكون تذكرة لمن أراد أن يتذكر.

(١) سورة الواقعة الآية ٧٩.





قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ (١) ﴿٦٨﴾ ﴿١﴾ فله أن لا يقتصر نظره الى طعم الماء فليتدبر من ذلك في وجوه، ومن ذلك: أن يتدبر في تكون الأشياء منه، مثلا يتفكر أن الماء الواحد كيف يكون نباتا وحباً وحيواناً وإنساناً.

ثم يتفكر في أجزاء الإنسان، أجزائه الظاهرة من العظم واللحم وغيرها، والبصر والسمع وغيرها، وقواه وأخلاقه الكريمة وأخلاقه الرذيلة وآثارها في الدنيا والآخرة، حتى يصل الى مراتب عقوله حتى يقف الى العقل المستفاد ويتفكر فيه حتى يراه كأنه عالم مستقل بإزاه هذا العالم فكأنه عالم صغير، بل يراه عالماً كبيراً. ثم يرجع الى مبدأ الماء فيرى كما في القرآن أنه من آثار رحمة الله، ثم ينظر الى أن الرحمة من الصفات، ورأى في الصفات المتصف، ومن هذا النوع من التدبر من مبادئ علم المكاشفة.

ولعله إذا استغرق التدبر فكره في ذلك يرى ما يصدق به قول الإمام جعفر الصادق: «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله ومعه وبعده» (٢).

(١) سورة الواقعة الآية ٦٨..

(٢) الكافي ج ١ ص ١٦٦.

ثم قال: وكيف كان يجب على المستفهم أن يتخلى عن موانع الفهم وإلا فلا ينتفع بالقرآن حق الانتفاع، بل قد يتضرر إذا لم يتخل من موانع الفهم، وقد عدوا له وجودها ذكروا في:

أولها: التقييد في استقصاء إخراج الحروف من المخارج، وحفظ حدود محاسن التجويد، فانه يمنع عن التدبر في معاني الآية فلا يمكنه الاستفهام.

والثاني: أن تكون صفة وخلق من الأخلاق الرذيلة والصفات الخبيثة توجب طبع القلب عن فهم معاني القرآن.

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (١)

وقوله: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ (٢)

فان هذه الصفات في القلب يورث كدورة تمنع عن فهم حقائق الأشياء نظير صداء المرآة التي تمنع عن ترائي الصور فيها.

والثالث: أن يعتقد أمرا باطلا ويتخذة لنفسه مذهباً، ويبني أن ما وراء كفر أو ضلال، فإن ذلك أيضاً من موانع الفهم لأن في أول

(١) سورة غافر الآية ٣٥.

(٢) سورة غافر الآية ١٣.



استنارة القلب لرؤية الحق بالقرآن قبل تمكنه يراه كفرا ويدفعه ويؤوله، وهذا لا يهتدي الى الحق أبداً مادام فيه هذا التعصب لمذهبه الباطل.

**والرابع:** أن يجد في تفسير آية تفسيراً ظاهراً ويعتقد أن المراد مقصور به، وأن غير هذا المعنى تفسير بالرأي وهو محرم.

فإذا عرف القارئ حقيقة القرآن وعظمته، فلا بد أن يتدبر في آياته، وإذا تدبر وتخلّى من موانع الفهم واستفهم لا بد أن يتجلى له مرادات الله على حسب مقامه من الدين، فإذا شرب من هذا المنهل كأساً أسكره، وإذا سكر من تجليات المعارف الربانية يتأثر قلبه بآثار مختلفة باختلاف الآيات، فيحصل له بحسب كل معنى حال ووجد، لأنه يرى كل آية كأنه هو المخاطب بها، أو نزلت في حقه وهو المخصوص بها، فيتصف قلبه بحزن أو سرور، أو خوف أو رجاء، أو توكل أو تسليم، أو رضا أو توحيد، فيجيب الآيات بحسب حاله بعودة واستغفار، واعتراف وتوبة، ودعاء وشكر، وتسبيح وتحميد، وتهليل وتكبير، بحسب أحواله الحاصلة له في تأثراته.

فإذا غلبه الخوف حصل له التبري من كل خير وسعادة مذكورة فيها لعباده الصالحين، فيتعوذ من شقاوته الى ربه، وإذا غلبه الرجاء يتشوق الى البلوغ لكل مقام سني من مقامات الكاملين والعارفين

والمقربين، فيدعو الله أن يلحقه بهم وإذا اكتمل له هذه التأثيرات فلا بد أن ينتج له من بركات الوحي ونفحات الرب ما يترقى به حتى كأنه يرى الله متكلماً معه ومخاطباً إياه، فكأنه يشهد بقلبه أن الله يخاطبه بالطفاه، ويناجيه بأنعامه وإحسانه، فيكون حاله التعظيم والإصغاء والفهم والحياء.

ثم إن ساعة التوفيق لشكر هذه النعمة بما يليق بها، واستقبال هذه النفحة كما هو حقها، زاد الله في إنعامه وأعطاه مقاما آخر أعلى وأسنى، فيكون حاله كأنه يرى المتكلم في الكلام، والصفات في الكلمات<sup>(١)</sup>.

كما أشار إليه الإمام جعفر الصادق قائلاً: «إن الله تجلى لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون، فيكون مقصور الهم على المتكلم، ولا يبقى له نظر إلى نفسه ولا قراءته، ولا إلى سائر الأحوال، رزقنا الله وجميع المؤمنين بهذا المقام مقامهم، وأنعم علينا بمثل حالهم بحق أوليائه المقربين وأحبائه الفائزين صلوات الله عليهم أجمعين»<sup>(٢)</sup>.

(١) الوصايا العرفانية، العارف الميرزا جواد الملكي.

(٢) روي عن الإمام الصادق؛ في توحيد الصدوق.

## البرنامج الرابع: كيفية التذلل لله ﷻ:

يقول العارف الميرزا جواد الملكي تذت: «من العوامل المؤثرة في تهيج الرقة وإثارة والخشية والبكاء: أن يغل يده الى عنقه، وأن يلبس المسوح، وأن يثير التراب على رأسه، وأن يخر على التراب وأن يمسح وجهه على التراب، وأن يضع رأسه على الجدران، وأن يمشي ويقف، ويصيح ويسكت، ويتمرغ في التراب، ويفرض نفسه في المحشر، ثم يعاتب نفسه بما ورد من عتاب أهل الجرائم، ثم ينظر نظرة عن يمينه، ويتفكر في أصحاب اليمين وصورهم ولباسهم وزيمهم، ثم ينظر عن شماله ويقدر نفسه مع أصحاب الشمال ويتصور أحوالهم المنكرة من سواد الوجه وزرق العين وغل الأيدي والاقتران مع الشياطين ولبس القطران ومقطعات النيران، والزبانية كلهم حاضرون، والى أمر ربهم ناظرون، ثم حذر من صدور الخطاب بقوله: ﴿ خذوه فغلوه ﴿٣٠﴾ ثم الجحيم صلوه ﴿٣١﴾ ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فأسلكوه ﴿٣٢﴾ <sup>(١)</sup>.

ثم يناجي: يا أرحم الراحمين، يا غياث المستغيثين، أين رحمتك الواسعة، أين عطايك الفاضلة، أين فضلك العظيم، أين منك الجسيم، أين كرمك يا كريم. ثم يبكي ويذكر عظم حلمه وكرمه، وقديم فضله وإحسانه، وعميم عفوه وغفرانه.

(١) سورة الحاقة الآية ٣٠ - ٣٢..

فإن أتاه الخبيث وأراد أن يقنطه من رحمة ربه وقال: أنت مع هذه الذنوب والعيوب لست أهلا لرحمة الله والنظر الى لطفه، فإنه قال: **تَدْرُسُ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ** <sup>(١)</sup> وانت لست من المتقين، فلا يقبل قوله، ويعرض عن جوابه، ويناجي ربه في جوابه، ويزيد في إظهار الرجاء ويقول: حاشا لوجهك الكريم أن يعرض عن مثلي من المحتاجين الى عفوه وكرمه، والمتوسلين إليه بأوليائه، وأن لا يرحم عيني الباكية وقلبي الخاشع وبدني الذليل الخاضع، ثم يقوي رجاءه و يبسط آماله، ويستدعي كلما يتصور ويتعقل من المقامات العاليه من المعرفة والمحبة والقرب والزلفى، والعمل والتقوى، ويكثر من قول: يا من يفعل ما يشاء ولا يفعل ما يشاء غيره، يا من لا يعظم عليه شيء من العطايا العظيمة والكرامات الجليلة الجميلة، يا من لا ينقصه الإحسان ولا يزيده الحرمان.

ثم يؤكد هذا المعنى ويقول: إلهي إن كنت غير متأهل لمسألتك فكرمك أهل لذلك ولما فوقه، إلهي أن معرفتى التي وهبتني يحكم لي أن أتمنى عليك العظام، لأنك لم تهب ما وهبته على من وهبته من أوليائك باستحقاق منهم إلا بأن وهبتهم الاستحقاق بفضلك، فإنه لا يوجد الخير إلا منك، ففضل علي بما تفضلت به عليهم من الاستحقاق حتى استحق إجابة ما سألتك.

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٦.

إلهي أنت الذي لا تسئل عن فعلك، ولا تنازع في ملكك، ولا يعترض عليك أحد في فعلك، وأنت القادر الجواد، وليس لقدرتك حد، ولا لجودك منتهى، فأهلني بقدرتك، وجد لي بجودك، يا أجود الأجودين، إلهي إنك تجد من تعذب غيري من اعداء اوليائك ومعاندي حضرة جلالك وأنا لا أجد من يعطيني غيرك يا كريم، أيضيقني بعد كرمك؟.. فانك لا تحتاج إلى عذابي ومنعي، وأنا أحتاج إلى عفوك وكرمك.

إلهي إن عدوك وعدوي جاءني ليحرمني من دعائك ويؤيسني من رحمتك الواسعة، فبفضلك أعرضت عن قوله، وخالفته فيما أمر به، فانصرني عليه بتصديق رجائي وآمالي فيك، إلهي أنا مع قلة معرفتي بمبلغ جودك وكرمك، وغنائك وقدرتك، لا اقطع بمنع عفوك وفضلك عن أحد من عبيدك حتى الكفار إلا اعداء اوليائك الذين ظلموهم وأذوهم، وليس عقيدتي في عذاب غيرهم من الكفار إلا عن وجه التعبد لكتابك وقول نبيك في وعيدك للكفار، ولا يرى عقلي هذا الذي مننت به علي أن يوجب عليك شيئاً من العذاب، ولا الوفاء بالوعد، ولا أرى عدم الوفاء بالوعد نقصاً في قدس صفاتك بحكم عقلي، ولا أقطع شيئاً في ذلك إلا أن يكون ذلك أيضاً من باب التعبد، إلهي هذا حكم عقلي في الكفار والجاحدين، فكيف بمن آمن بك، وأحب أن يطيعك، وأمل فضلك وتمنى قربك، ورجا من كرمك العظام، وإن كان من

## العاصين والمذنبين.

إلهي من العبد الذنب، ومن السيد العفو والكرم، لا سيما إذا كان كريم العفو، إلهي هذا الذي تصورت من حكم عقلي في مطلق الأوقات، وأما بالنسبة إلى هذه الأوقات التي خلقتها لكرمك، ومننت بها على عبيدك وندبت فيها عبادك المذنبين إلى مغفرتك وعفوك والسائلين إلى الإجابة والعطاء، وفتحت فيها أبواب كرمك وجودك، فلا حكم لعقولنا من ذلك إلا العفو والكرم، وتبديل السيئات بالحسنات وإجابة الدعوات، وعطاء المسئولات، والجود بالعظيئات من الكرامات، وهذا ظننا بك وبكرمك، وأنت أعلم بما بلغنا عن نبيك وآله صلواتك عليهم من معاملتك مع من يحسن ظنه بك<sup>(١)</sup>.

### البرنامج الخامس: المشاركة والمراقبة والمحاسبة:

قال العارف الميرزا جواد الملكي رحمته: «يجب على سالك طريق الله بعد التوبة الإلتزام بالمشارطة والمراقبة والمحاسبة. المشاركة مع نفسه من أول الصباح «أي يشترط على نفسه اجتناب الذنوب من استيقاظه إلى حين نومه»، ثم المراقبة الكاملة لأعماله من أول نهاره إلى آخر ليلة، ثم المحاسبة الكاملة حين النوم لكل ما أتى به خلال هذه المدة وما صرفه من قواه الظاهرية والباطنية والنعم الإلهية أو

(١) الوصايا العرفانية، العارف الميرزا جواد الملكي.



تركه مهملاً، وقد فصل علماء الأخلاق البحث عن ذلك في كتبهم الأخلاقية، ونشير هنا الى أهم الفقرات المؤثرة جداً، وهي: «على الإنسان عند النوم أن يحاسب نفسه ويعالج خياناتها بقدر طاقته، والتوبة والتدارك لما هو ممكن فعلاً، والعزم الجدي على إتيان ما أخره.

واعلم انك الان تنام، والنوم أخ الموت.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ﴾ (١).

فمن اللازم إذن أن يحضر عدة الموت ويتهيأ للموت، فيجدد عهد الإيمان ويتمدد نحو القبلة ومتوجها بقلبه الى القبلة الحقيقية ويدخل في فراشه بذكر البسملة «بسم الله الرحمن الرحيم» والإتيان بالأعمال الخاصة عند النوم ما استطاع، ويسلم نفسه وروحه الى الله جلَّ جلاله، ومن أهم الأعمال حين النوم والتي لا ينبغي تركها هي: قول «بسم الله الرحمن الرحيم» بلسانه وقلبه حين دخوله في فراشه، ثم يتلو الآيات التالية بتدبر: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) ﴿٢﴾.

(١) سورة الزمر الآية ٤٢.

(٢) سورة الكهف الآية ١١٠..

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفِرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴿١﴾.

ثم قراءة تسبيح الزهراء وآية الكرسي وثلاث مرات أو أحد عشر مرة سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ ﴿٢﴾ وثلاث مرات «يفعل الله ما يشاء بقدرته ويحكم ما يريد بعزته» وتلاوة الآية المباركة: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَإِيسَلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ ﴿٣﴾.

ومن الأفضل أن يأتي بالاستغفارات المروية ومطلق الاستغفار: «استغفر الله وأتوب إليه».

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٥ - ٢٨٦.

(٢) سورة الاخلاص الآية ١.

(٣) سورة البقرة الآية ١٨ - ١٩.

وينبغي الالتفات الى أن الرب الجواد كما منح في هذا النوم مواهباً عظيمة لأنبياء وأولياء فمن الممكن أن تشمله هذه العناية الإلهية أيضاً. وهذا العبد الذليل كانت له آمال عريضة ببعض المنامات التي زار فيها المعصومين عليهم السلام ونال منهم مواهباً كبيرة. وعلى كل حال فإن فتح له قراءة هذه الآية باب التفكير فيها، وإلا فليشتغل بذكر من الأذكار الى أن ينام.

ومن الأفضل أن تكون حركة لسانه في أواخر أنفاسه وهو بين النوم واليقظة بكلمة (يا الله) أو بلفظ الجلالة (الله) فقط من غير (يا) فإن أخذه النوم وهو في هذه الحالة فيكون لسانه مستغرقاً بالذكر وهو نائم ويستيقظ أحياناً فيجد نفسه على حال الذكر هذه. والخلاصة أنه يستسلم بشرائره وجوده الى حضرة الحق جل جلاله (١).

### 👉 البرنامج السادس: رؤية المعصوم ؛ في عالم المنام:

يقول العارف الميرزا جواد الملكي تذت: «نقل السيد الموسى الشبيري الزنجاني عن الشيخ علي الهمداني عن الميرزا جواد الملكي في إحدى مجالسه قوله: من أراد أن يرى أحد الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين في المنام فعليه أن يصوم يوماً ويقرأ بعد الافطار مائة مرة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (١) أو ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (١) أو أي سورة أخرى «والترديد في قراءة سورة

(١) الوصايا العرفانية، العارف الميرزا جواد الملكي.



التوحيد أو القدر منا»<sup>(١)</sup>.

### البرنامج السابع: كيفية التوبة:

يقول العارف الميرزا جواد الملكي **تَدَبَّرْ**: «من أراد التوبة فليُنظر بالتأمل في جميع ذنوبه، واحدا بعد واحد، في ثلاثة أمور:

الأول: في أنقسام هذه الأعضاء.

فيكتب لكل عضو صحيفة لما يجب عليه ولما يحرم، وفي كل صحيفة جدولين طويلين، وفي ذيل كل جدول أيضا جدولين. ثم يتفكر أوقاته من بلوغه الى حين التوبة تفصيلا، هل يجد فيها إخلالا بالواجبات أو ابتلاء بالمحرمات، ثم ينظر هل من المرحمات ما ارتكب به أو من الواجبات ما أحل به، يثبت كل منها في صحيفة ثم ينظر هل هو من حقوق الله أو من حقوق الناس، ويكتب كلا منها في جدول. ثم ينظر في حقوق الله هل له قضاء أو كفارة أو لا؟..

يثبته تفصيلا في محله. ثم إذا بالغ في تجسس حالاته وأوقاته أياما بهذا المنوال، فيثبت كل ذلك في محله. ثم ينظر في حقوق الناس هل له أداء وتبرئة أم ليس له إلا الاستغفار وهدية الأعمال.

(١) الوصايا العرفانية، العارف الميرزا جواد الملكي.

ثم يتجسس ما جنى في صغره من أموال الناس، وثبت في ذمته ضمان مالي لمسلم أو ذمي فيثبتها في صحيفة اخرى.

ثم يشتغل باستخلاص ذمته ويغتسل غسل التوبة، ويذهب الى موضع خال، ويعمل أولاً بما رواه السيد ابن طاوس في كتاب الإقبال عن رسول الله للتائب، ثم يسجد على الأرض، ولو كان جلوسه على الرماد كان أولى، يدعو الله بأسمائه الحسنى، ويكثر من ذكر أسمائه الجمالية، ويختتمه بيا أرحم الراحمين سبعا، ثم يعترف بذنوبه، ويعدّها كلها أمكنه، ثم يحمد الله على إمهاله وفتح باب التوبة، ثم يصلي على محمد وآل محمد ويبالغ فيها، ثم يصلي على جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة أجمعين وجميع عباد الله الصالحين وجميع المؤمنين، ثم يدعو لإمام زمانه حجة الله صاحب الزمان - أرواح العالمين فداه - بالفرج والعافية والنصر، ثم يكشف عن رأسه، ثم يحث التراب عليه، ويتمرغ في التراب، ويكي بكاء الثكلى، ويلح في الاستغفار ويقول: يا من أجاب لأبغض خلقه إبليس أجبني في قبول توبتي، ووقفني لإتمامها فان الخير كله بيدك، وأنت الفاعل لما تشاء وكيف تشاء. ثم يقول: يا كريم العفو، يا مبدل السيئات بالحسنات، ويا قابل السحرة صل على محمد وآله واقبلني.

ثم يقول: اللهم إن كنت قبلت مثلي فاقبلني، يا قابل السحرة اقبلني. اللهم وإن لم تكن قبلت الى الآن مثلي فمن الآن فاقبلني وأمثالي، وليكن هذه أول ما ظهرت من وسعة رحمتك التي لم تظهر

الى الآن في الوجود، فإن رحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء فامتعني  
رحمتك يا أرحم الراحمين.

ثم يكرر هذا التفصيل ثلاثاً، ويختتم كل واحدة منها بالصلاة  
وقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله، ثم يعزم على ترك الذنوب فيما  
يأتي مستعينا من الله ومتوكلا عليه، ويشرع في استمالها على ما ذكرنا  
مبتدء بالأهم والأهم، ليحسن ظنه بقبول الله تعالى، وان يرى توبته  
ناقصة، يراقب في الوفاء بتوبته، وان اتفق أحيانا نقصها في بعض  
الامور فليعد الى التوبة ويقرأ على نفسه أخبار الرجاء، ولا ييأس  
من روح الله وقبوله، فما لم يسأم العبد من التوبة لا يمنع الله من  
المغفرة فإنه هو التواب الرحيم.

ويبالغ في الإلحاح والمسألة بالمغفرة على قدر عظمة الجنايات.  
وليتذكر توبة أبيه آدم وما روي أنه بكى مأتي عام. وليتذكر ما  
روي من توبة نبي الله داود حيث روي أنه سجد أربعين يوماً<sup>(١)</sup>.

(١) الوصايا العرفانية، العارف الميرزا جواد الملكي.

## الفصل الثالث

مقتطفات من مواعظ العارف الميرزا جواد الملكي قدس سره

١\_ أثر القلب على أعمال الانسان

٢ \_ موعظة بليغة.

٣ \_ معنى العبادة عند الخواص.

٤ \_ عبادة العارفين.

٥ \_ إصلاح الباطن.

٦ \_ خصوصية كل معصوم في قضاء الحوائج.

٧ \_ من شروط استجابة الدعاء الاتصاف بصفات الدعاء.

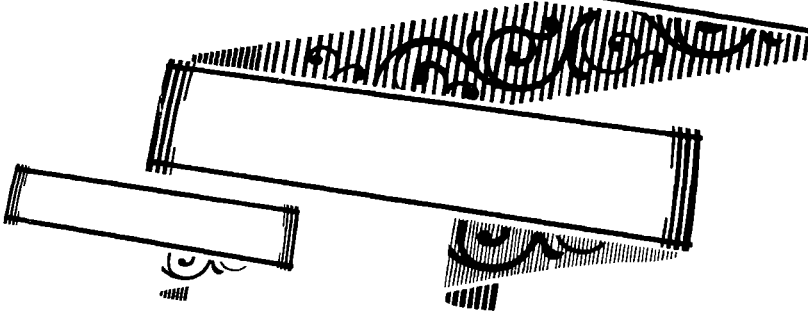
٨ \_ إستكمال شرائط الدعاء.

٩ \_ مناجاة صاحب الزمان.

١٠ \_ الخوف والرجاء.

١١ \_ علاج الخوف.

١٢ \_ نصائح وتنبهات.







## مختارات من كلام العارف الملكي رحمته

### أثر القلب على أعمال الانسان:

«إن جميع حركات الإنسان وسكناته الاختيارية منشأها عزمه وإرادته وحبه وبغضه واستشعار السعادة والشقاوة، وبالجملة جميع حركات الأعضاء وسكناته ناشئة من أثر أحوال القلب. وصفاته واحوال القلب أيضا منشأها إما ما يؤثر فيه من الظاهر من أعمال الجوارح لا سيما الحواس أو من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق المركبة من مزاج الانسان، فإنه إذا أدرك بحواسه شيئا حصل منه أثر في القلب إن خيرا فنور وصفاء، وإن شرا فظلمة وكدر، وكذا إذا هاجت الشهوة مثلا بكثرة الأكل وبقوة المزاج فان لها أثرا في القلب، وهذه الآثار تبقى وتؤثر في انتقال الخيال من شيء

الى شيء، وبحسب انتقالها ينتقل القلب من حال الى حال، والقلب دائما في التغير والتأثر مما يرد عليه من آثار الأسباب المذكورة، وأخص الآثار الحاصلة فيه هي الخواطر، وأعني بالخواطر ما يعرض فيه من الأخطار والأذكار، إما على سبيل التجدد أو التذكر، ومنها يحصل الشوق والنفور، ومنها ينبعث إرادة الجلب والدفع، فان النية والارادة والعزم انما تحصل بتأثير الخواطر، فمبدأ الأفعال الخواطر، وهي تحرك الرغبة، والرغبة تحرك النية والعزم، والعزم يحرك العضلات، وهي تحرك الأعضاء، فيحصل منها الأفعال.

### ثم الخواطر على قسمين:

قسم يدعو إلى الشر، وهو ما يضر بضرر لا ينتج خيرا أقوى منه .

وقسم يدعو إلى خير لا ينتج ضررا لا خير فيه أزيد من ضرره .

فالخاطر المحمود الداعي الى الخير يفيضه الباري تعالى بواسطة الملك ويسمي إلهاما، والذي يدعو الى الشر بواسطة الشيطان ويسمي وسوسة. والल्प الذي يتهياً به القلب لإلهام الملك وقبول إلهامه يسمى توفيقا، والذي يتهياً به لوسوسة الشيطان وقبول وسوسته يسمى خذلانا. فالملك خلق خلقه الله تعالى لإفاضة الخيرات من العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف. والشيطان خلق خلقه الله، شأنه الوعد بالشر والأمر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير

وبالفقر والفحشاء.

والقلب دائماً متجاذب بينهما، فإذا عرفت ذلك بوجدانك تعرف قطعاً أن للأعمال، بدنياً كان أو قلبياً، تأثيراً في التوفيق والخذلان، ولهما تأثيراً في الإلهام وقبوله والوسوسة وقبولها، وهما منشأ الأفعال والحركات المتعقبة، فإذا واطب عبد موفق قلبه وراقب ربه يعلم من حاله الحاضر وتهيؤ أسباب الخير وأسباب الشر نور أعماله السابقة وظلمتها، ويستشهد منه لما يأتي عليه ويبتلى به من التوفيق والخذلان في أحواله الآتية، فتؤثر هذه المراقبة والمواظبة مع هذه المعرفة على تدارك ما سبق بالاستغفار والتوبة، ويغير ما يأتي بالاستعاذة والدعاء. وهذا هو الوجه فيما وصيت به من المبالغة في تفهم آثار الأعمال، ومن وفق لذلك الخير يجد خير المحاسبة التي فيها ورد عن الأئمة عليهم السلام أن ليس منا من لم يحاسب نفسه»<sup>(١)</sup>.

### 👉 موعظة بليغة:

«فكر في نفسك وحضورك في يوم عظيم ومحضر عظيم لأمر عظيم، وظهور سلطان الله الذي لا يقدر قدرة القادرون، ويعجز عن درك شدته العالمون، وحزنك في مثل هذا المقام الهائل، وافرض أهواله وأنكاله وعتابه وخطابه وحيائه وحسرتة وحرارته وفزعه وجوعه وعطشه وعرقه وخصائمه وزبائنه، ثم تفكر فيما أنت عليه

(١) الوصايا العرفانية، العارف الميرزا جواد الملكي.

في هذه الدنيا في عالم التكليف من لطفه وعزته وشرفه ونعمه، وتأمل في معاملة سلطان المعاد معك في هذا المقام، وتشريفك بخلع التكليف الجميلة وإكرامه بدعوته لك الى مناجاته ومجلس انسه وقربه وجواره بهذه الكيفيات الجميلة، وتأمل في قوله: «أنا أفرح بتوبة عبدي من رجل ضل مركبه وزاده في سفره ويأس منه ونام مسلماً نفسه للهلاك، ثم استيقظ ورأى مركوبه وزاده حاضراً عنده». وفي قوله الكريم في الحديث القدسي: «لو علم المدبرون عني كيف انتظاري بهم وشوقي الى توبتهم لماتوا شوقاً إلي ولتفرقت اوصالهم من أجل محبتي». وقوله: «يا عيسى كم أطيل النظر وأحسن الطلب والقوم لا يرجعون». وقوله: «عبدني بحقك علي اني احبك، فبحقي عليك احبني». وقوله بلسان الملك الداعي: «أنا جليس من جالسني، أنا ذاكر من ذكرني، أنا غافر من استغفرني، أنا مطيع من أطاعني) وأمثال ذلك. ثم تأمل بماذا وبأي لذة ولأي كرامة ترضى بتبديل هذه التشريفات الفاخرة بمخازي يوم القيامة، وانظر الى ما روي من ذلك في قول مالك بعد إلحاح ألف سنة: قَدْ بُرِّئَكُمْ مَا كُنْتُمْ ﴿١٠٨﴾ وَقَوْلُ الْجَبَّارِ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ ﴿١٠٨﴾ ﴿١﴾.

(١) سورة النور الآية ١٠٨.

وانظر في قيامك لصلاتك في الدنيا تحفك الملائكة من قدمك الى عنان السماء، وينظر إليك الجبار بنظر اللطف، ويحببك فيما تقوله من قليل وكثير، ويباهي بك ملائكة المقربين، ويقول في كل ما تعمله في صلاتك من استقبالك الى سلامك: أما ترون عبدي، أما ترون عبدي!.. ويعد لكل واحد من ذلك كرامة لك وقبوله وجزاءه ورضاه، ومقامك يوم العرض على الله مكبلا مغلولا، أزرق العين، أسود الوجه، مصفدا مقترنا مع شيطان، يقال لك: يا غادر، يا فاجر، يا مرائي، أما استحييت مني؟.. ثم يصدر من سلطان جلال الله خطاب: ﴿ خذُوهُ فَعَلُوهُ ۗ ﴾ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ ﴿ ٣١ ﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿ ٣٢ ﴾ (١).

كيف يتصدع قلبك من استماع هذا الخطاب. ولعمري أن هذا ما لا تقوم له السماوات والأرض، فكيف بك يا مسكين؟!.. فإخذك الزبانية، ويجررك على وجهك الى نار حرها شديد، قعرها بعيد، ومقامها حديد، وشرابها الحميم والصديد. واستمع قول الإمام البصير، ولعمري لا ينبئك مثل خبير، حيث يقول: «كيف استطيع نارا لو قذفت بشرارة على الأرض لأحرقت نبتها، ولو تمسك إنسان بقلة لأنضجته وهيج النار في قلبه». وانظر يا عاقل في أحوال قوم مستقرهم الجحيم، وطعامهم من ضريع، وشرابهم الحميم، الزبانية تقمعهم، والهاوية تجمعهم، أمانهم فيها الهلاك،

(١) سورة المعارج الآية ٣٠-٣٢.

وما لهم منها فكاك، قد شدت أقدامهم بالنواصي، واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي، ينادونهم من أكنافها، ويصيحون من نواحيها وأطرافها: يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك أخرجنا منها فإننا لا نعود.

فيقول الزبانية: هيهات هيهات، لات مناصر، لا خروج لكم منها ولا خلاص، فاحسبوا فيها ولا تكلمون، ولو أخرجتم منها لكنتم الى ما نهيتم عنه تعبدون، فعند ذلك يقنطون، وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون، ولا ينجيهم الندم، ولا يغنيهم الأئين، يكون على وجوههم مغلوبين، وفي أنفسهم معلولين، النار من فوقهم، والنار من تحتهم، والنار عن أيانهم، والنار عن شمائلهم، هم غرقى في النار، طعامهم النار، شرايهم النار، لباسهم النار، مهادهم النار، وهم بين مقطعات النيران وسرايل القطران، ولثقل السلاسل يتجلجلون في مضائقها، ويتحطمون بمقامعها، ويصطرخون في غواشيها، ويضطربون في حواشيها، تغلي بهم النار كغلي القدور، ويهتفون بالويل والثبور، ومهما دعوا بالعويل يصب من فوق رؤوسهم الحميم، يصهر به ما في بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد، تهشم بها جباههم، وينفجر الصديد من أفواههم، وتقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخدود أحداقهم، وتسقط من الوجنات لحومها، ويذاب من الظهور

دسومها، ويتعمط من الأطراف شعورها وجلودها، فكلما نضجت جلودهم بدلوها جلودا غيرها، قد عريت من اللحوم عظامهم، قد أسودت وجوههم، وأعمأ أبصارهم، وأبكت ألسنتهم، وقصمت ظهورهم، وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم، ومزقت جلودهم، وغلت أيديهم الى أعناقهم، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم، يمشون على النار بوجوههم، ويطنون حسك الحديد بأحداقهم، والحيات تلسعهم، والعقارب تلدغهم، وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون.

وهذا بعض ما نص عليه الكتاب والسنة من أخبارهم وأحوالهم»<sup>(١)</sup>.

### 👉 معنى العبادة عند الخواص:

«الصوم وكذا كل عبادة إنما يعده العوام تكليفا، ويعمل به تكلفا، ولكن الخواص يرونه تشريفا ولطفا من الله ﷻ، ويرون أن الله في جعل العبادات وإيجابها منة عظيمة ونعمة جسيمة على عباده، ويستقبلونها استقبال التشريف لا التكليف بفرح وسرور ونشاط، بل ولذة وحبور من الخطاب. روي عن الإمام جعفر الصادق في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) المراقبات - الميرزا جواد الملكي.

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٣.



قال : «لذة الخطاب ذهب العناء». وهكذا يجب ان يكون العبد العارف بالله وبحق الله، فان العبد إذا عرف الله أحبه، وإذا أحب الله أحبه الله، فتصير جميع معاملاته مع الله معاملة الحبيب مع حبيبه، وهل رأيت حبيبا مستثقلا عن خدمة حبيبه؟! .. لا سيما إذا كانت الخدمة لطفاً من الحبيب وتشريفاً، بل دعوة لمجلس المؤانسة وكرامة يلتذ من خطاب التكليف، ويفديه بنفسه ومهجته على قدر محبته، ويراقب في إتيان تمام مراده، ويجتهد في تحصيل كل محابه وإن لم يردها منه، ولا يرى سعيه واجتهاده في ذلك إلا لذة وسعادة، فيكون الإتيان بمحارب الله تعالى من أهم محاب نفسه ومرادتها، فيعمل بها بالشوق التام الكامل، والامتنان من إذن الله تعالى له في ذلك، ولا يوجد في قصده غير الله تعالى وغير رضاه، لا يشوبه قصد جزاء وثواب وجنة ونعيم من نعم الله تعالى فضلا عن شوب الرياء والسمعة واطلاع الغير وتحصيل رضاه. وتفكر يا عاقل في هذا الصوم المعين الخارجي لو أتيت به على ما وصفناه من النيات والقصود، فزت بجيمع ما ورد من الكرامات السنية والمقامات العلية للصائمين والمخلصين وأزيد، لأن فضل الله وكرامته لا تقدر بالبيان، ويخدمك ملائكة الرحمن، بل يطعمك ويسقيك في قيلولتك الملك المنان. وإن أتيت به رياء وسمعة وجب لك الخذلان، وكنت من عبدة الشيطان، ونوديت بأربعة أسماء:

يا غادر!..



يا كاذب!..

يا مرائي!..

واستحقت بذلك النيران.

فيا سبحان الله هذا عمل واحد شخصي فما هذا الفرق العظيم إلا من جهة أمر القلوب والنيات. نعم لو لم يكن أمر القلوب والنيات بهذه العظمة والحيشة لما أنزل الله في كتابه العزيز في سورة والشمس أحد عشر قصفاً بفلاح من زكاها وخيبة من دساها. فللعقل أن يبذل تمام جهده وسعيه في إخلاص النيات وتصحيحها والصدق في ذلك»<sup>(١)</sup>.

### 👉 عبادة العارفين:

«الأحرار العارفين بالله جل جلاله لا تكون أعمالهم غالباً من باب الطمع والخوف، بل يكون باعثهم على العمل ما يتجلى لهم من عظمة ربهم وكبريائه أو نوره وبهائه، فيعملون ويتواضعون ويعبدون ربهم ومولاهم من غير روية وتردد واختيار، بل يشبه عملهم عمل المضطرين، كما قال في حقهم الإمام علي في حديث هام: «بل خامرهم من عظمة ربهم ما طاشت به عقولهم». أو عمل المجذوبين الواهين من ظهور بهاء الحق تعالى، وسطوع أنوار جماله،

(١) الوصايا العرفانية، العارف الميرزا جواد الملكي.

فصاروا بين يديه حيارى متضرعين، وسكاري متملقين، فإذا جهنم الليل، واختلط الظلام، ونصب الأسرة، وخلي كل حبيب بحبيبه، نصبوا بين يديه أقدامهم، وافترشوا جباههم، فهم بين متأوه وباك، ومتضرع وشاك، فبعين ما يتحملون لأجله، وبسمع الله ما يشكون من حبه، فيقبلهم ربهم بقبول حسن، ويريهم جماله، ويؤنسهم بحسن صنيعه، ولطف فعاله.

وأما الذين لم يعرفوا من الله إلا جنته وناره، فيعملون خوفا من النار وشوقا الى الجنة، فلا يتأتى منهم عمل العارفين المحبين المشتاقين. نعم لهم أن يقهروا أنفسهم بالتفكر في عظمة خالقهم ونعمه السابغة التي لا تحصى، ويسعوا في تخلية أنفسهم وقلوبهم من ذكر الجنة والنار، فيصححوا بالتعمل قصدا خالصا من باعث الرغبة والرغبة، ومجردا لكونه تعالى أهلا للعبادة، أو يتفكروا فيما سمعوا من أخبار الأنبياء والأولياء أن لا مرتقى فوق قرب الله ولقائه، ويقدرُوا في أنفسهم لذلك معنى صحيحا ويجهدوا فيستقيم لهم في بعض الأحيان باعث الشوق الى قربه ولقائه.

وإن أمكن ذلك لغير العارفين في بعض الأحيان فلا يتيسر لهم ذلك إلا نادرا فضلا عن الإستمرار، بل لم ينقل عن أحد الأنبياء والأولياء دعوى الإستمرار إلا ما روي عن أمير المؤمنين وأسوة العارفين وقدوة المشتاقين من قوله: «ما عبدتك خوفا من نارك،

ولا طمعا في جنتك، بل وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك»<sup>(١)</sup>، فهو من خصائصه وخصائص أخيه رسول الله، حبيب الله، سيد خلق الله أجمعين. والأهم للسالكين أن يصححوا ويخلصوا نياتهم عن شوائب الرياء، حتى يتخلصوا بذلك عن فضيحة يوم القيامة وحياء العرض على الله حين يقال له: يا فاجر يا غادر يا مرائي أما استحييت إذا اشترت بطاعة الله عرض الحياة الدنيا؟..

راقبت قلوب العباد واستخففت بنظر سلطان المعاد!..

وتحبت الى المخلوقين بالتبغض الى رب العالمين!..

وتزينت لهم بعمل الله وتقربت إليهم بالعبد عن الله، وطلبت رضاهم وتعرضت لسخطه!.. أما كان أهون عليك من الله!.. ورد عن الإمام جعفر الصادق: «أنه لو لم يكن للحساب مهولة إلا حياء العرض على الله وفضيحة هتك الستر، لحق للمرء أن لا يهبط من رؤوس الجبال، ولا يأوي الى عمران، ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام إلا عن إضطرار متصل بالتلف».

فوا غوثاه من أن ينكشف للإنسان يوم القيامة عباداته.. ويرى أهل الحشر أنه كان يراقب فيها نظر المخلوقين، ويتزين بها لأمثاله من الضفعاء، ويتحجب الى الناس بالتبغض الى الله جلّ جلاله لا سيما إذا كان واعظا للناس وناهيا لهم عن الرياء، فلعمري أنه أشد من

(١) نهج البلاغة خطبة ١٤ - شرح الشيخ محمد عبده.

جهنم وعذاب النار.

لا سيما إذا قال له الجليل: عبدي أما كنت لك خالقاً رازقاً، ومنعماً مراقباً؟.. أما كنت لك حافظاً؟.. كنت تنام على معصيتي وأحفظك في نومتك هذه عن أعدائك ومكارهك كلها وأنت تعصيني بنعمي عليك، وأن أنعمك بما تعصي به علي، فما وجه اختيارك غيري علي؟.. أكان غيري أنعم عليك مني فمن جهة نفعك اخترته؟.. أو كان أقوى مني فلأجل خوفك أتقيته؟.. أو كان حاضراً عندك وكنت غائباً فمن حضوره استحييته؟.. أليست الكبرياء ردائي والعظمة إزارتي والنعم كلها من فعلي؟.. أليست أنا أغني الأغنياء ولا أغني غيري؟.. أو ليس الخلق كلهم فقراء وليس في الوجود فقير غيرهم؟..»<sup>(١)</sup>.

### ﴿ إصلاح الباطن: ﴾

«أعلم علماً يقينا أنك لا تقدر على إصلاح الظاهر إلا بإصلاح الباطن، لأن مجاري الأعمال من عين القلب، والقلب الصالح لا يأتي منه إلا العمل الصالح، والقلب الفاسد لا يجيء منه إلا الفساد، فالعمدة والأهم إصلاح القلب، وهو يتأثر من الخواطر والملكات السابقة، والخواطر تنشأ مما يحس بالحواس ومن الملكات والمزاج، فمن لم يقدر على ذلك كله فلا حيلة ولا علاج، من الاحتراف

(١) الوصايا العرفانية، العارف الميرزا جواد الملكي.

بباب اللطف والكرم من اللطيف الكريم والرب الرحيم التوفيق والتسديد، فمن عرف عجزه عن إصلاح نفسه وقلبه بحقيقة الاضطرار، مثل رؤية الغريق هلاكه في البحر العميق، أو المبتلى بالحريق والتجأ عن وجه الاضطرار، وسلم نفسه وقلبه وعمله وكل أمره الى ربه، مع حسن ظنه بعنايته، فقد نجا وتخلص، وفاز ونال، إنه قادر لا يعجز، وجواد لا يبخل، وأمين لا يخون، وقد قيل - ونعم ما قيل، لا منتهي للمجاهدة من مكائد النفس والشيطان إلا بمعرفة العجز معرفة حقيقية، والالتجاء الى الله جل جلاله التجاء صادقا، فكل أمرك، وسلم شرك وروحك وقلبك وقالبك، وإيمانك وعملك الى ربك، فإنه لا يخونك ولا يجفوك»<sup>(١)</sup>.

### ✍️ خصوصية كل معصوم في قضاء الحوائج:

«ليعلم السالك للإمام الحسن العسكري خصوصية في الحوائج الاخروية، فإن المعصومين عليهم السلام وإن كان كل واحد منهم وسيلة للعباد في جميع حوائجهم، إلا أن لكل واحد منهم خصوصية لبعض الحوائج أيضا كما يشهد عليه دعاء التوسل.

فإن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكريمته صلوات الله عليها وسبويه عليهم السلام خصوصية في الحوائج المتعلقة بتحصيل طاعة الله جل جلاله ورضوانه.

(١) الوصايا العرفانية، العارف الميرزا جواد الملكي.

ولأمير المؤمنين علي في الانتقام من الأعداء وكفاية مؤونة الظالمين.

وللإمام السجاد في جور السلاطين ونبث الشياطين.

وللإمام الباقر والصادق عليهما السلام في الإغاثة على أمر الآخرة.

وللإمام الكاظم في العافية من المحذورات من العلل والأسقام والأوجاع.

وللإمام الرضا في النجاة من مخاوف الأسفار في البحار والبراري والقفار.

وللإمام الجواد في الوسعة والاستغناء عما في أيدي الناس.

وللإمام الهادي في قضاء النوافل وبر الاخوان وكمال الطاعات.

وللإمام الزكي العسكري في الإعانة على أمر الآخرة.

ولإمام عصرنا وملاذنا ومعاذنا ورجائنا وعصمتنا ونورنا وحياتنا الإمام المهدي في جملة هذه الحوائج وغيرها مما تسمى حاجة<sup>(١)</sup>.

(١) الوصايا العرفانية، العارف الميرزا جواد الملكي.

## 👉 من شروط استجابة الدعاء الاتصاف بصفات الدعاء:

«أعلم انك لا تنال خير الدعاء واجابته كاملاً إلا إذا أتصف  
سرك وروحك وقلبك بصفات الدعاء. والاتصاف بصفات الدعاء  
عبارة عن أن يكون المنشئ بالدعاء سرك وروحك وقلبك، مثلاً  
إذا قلت «يا من أرجوه لكل خير» تكون راجياً لله بسرك وروحك  
وقلبك، ولكل منها آثار فليظهر آثاره في عملك، فمن تحقق الرجاء  
في سره وحقيقته فكأنه يصير رجاء كله، ومن كان ذلك في روجه  
فكانه يكون حياته بالرجاء، ومن كان راجياً بقلبه تكون أعماله  
التي تصدر عن قصد واختيار ملازمة للرجاء. فاحذر أن لا يوجد  
شيء من شؤونك شيء من الرجاء. واعتبر ذلك من أعمالك فانظر  
هل ترى في حركاتك أثر الرجاء وهو الطلب أم لا؟.. أما سمعت  
قول المعصوم «من رجا شيئاً طلبه»، وهو كذلك لانك ترى في  
أحوال الراجين من أهل الدنيا في الامور الدنيوية أنهم إذا رجوا  
خيراً من أحد أو شيء طلبوه من هذا الشخص ومن هذا الشيء  
الذي رجوه فيه بقدر رجائهم، ألا ترى التاجر لا يفارق تجارته،  
والصانع ملازم لصنعتة، فذلك كله من جهة أنهم يرجون الخير في  
التجارة والصناعة.

وهكذا كل فرقة يطلبون ما يرجونه ولا يفارقونه حتى ينالوا به، إلا راجي الجنة والآخرة، وإلا راجي فضل الله وكرامته غالباً. هيهات هيهات هذه الآثار للصفات مما حكم به الله الحكيم، ولا ترى تغيراً لسنة الله، ولكن التخلف في اشتباه الدعوى بالحقيقة، وإلا فلا يوجد ذرة من الرجاء إلا وعنده مثله من الطلب وهكذا. هذا وقس على الرجاء غيره من مطالب الدعاء من التسبيح والتهليل والتحميد والتضرع والاستكانة والخوف والاستغفار والتوبة، فإن كل ذلك لها حقائق ودعاوى، فالأثر للحقيقة، ولا خلف. فمثلاً إذا كنت بسرك وروحك وقلبك منزلها لله تعالى عن النقائص، فكيف لا تأمن وعده في أمر رزقك وقد ضمن لك؟.. وإذا كنت منزلها له من أن يكون له شريك في ملكه فكيف تخاف غيره في طاعته ولا تخافه في طاعة الغير بمعصيته؟..

بل لو كنت عارفاً بحق المعرفة أن الله يسمع دعائك ويرى باطنك كما يرى ظاهرك، وأنت بين يديه مسخر مربوب وهو يفعل ما يشاء بك من ثوابك وعقابك ونجاتك وهلاكك وقبولك وردك، فلا أقل من أن تهابه أن تشافهه في حضوره بالكذب والفرية والدعاوى الباطلة، فالمظهر لمراسم العبودية - صورة لا باطنا إذا كان خلو الباطن معلوماً للطرفين يسمى مستهزئاً عند أهل العرف، لكن واقع الأمر في الأغلب ليس كذلك، لأن خلو الباطن عن مراسم العبودية وحقائقها ليس معلوماً للعبد، بل هو يرى أن



عبادته حقيقية وليست بصورية، وهو مغرور بذلك، فيخرج عن المستهزئين ولكنه يدخل في (١): ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (١٠٤) (٢).

### استكمال شرائط الدعاء:

«الأهم في الدعاء إستكمال شرائطه، وهو أن يعرف الله تعالى معرفة إجمالية لائقة بشأن الداعي لا محالة، ويدعوه عن حضور، بل وبى أن دعاءه أيضاً منه برز إليه، ويظن حسن عنايته، ويرجو إجابته إن كان صلاحاً. ويذكر في أول دعائه من أسماء الله الجمالية، أو مناسبا لدعائه، ويمجد الله تعالى ويشني عليه ويعقبه ب(يا أرحم الراحمين) سبع مرات، ويعترف بذنوبه وعيوبه وعدم استحقاقه للإذن في الدعاء وللإجابة، ثم يصلي على النبي وآله عليهم السلام ويتوسل بهم، ويقسم على الله تعالى بحققهم في إجابته. والأولى أن لا يذكر مطلوبه مستقلا بل يجعله شرطا وقيدا وصفة للصلوات عليهم، كأن يقول: صل عليهم صلاة تغفر بها ذنوبي، ثم يختمه أيضا بصلوات. وبقوله: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، ويكي عند دعائه ولو مثل رأس الذباب، ويكرر هذا التفصيل لا محالة أربع مرات فإن الله يحب السائل اللجوج» (٣).

(١) الوصايا العرفانية، العارف الميرزا جواد الملكي.

(٢) الكهف: ١٠٣ - ١٠٤.

(٣) الوصايا العرفانية، العارف الميرزا جواد الملكي.

## مناجاة صاحب الزمان :

إذا أردت أن تخرج الى صلاة العيد مع إمام أو كنت أنت اماما للناس، فلك أن لا تغفل عما ورد عليك من المصيبة بغيبة إمامك حيث إن صلاة العيد من حقه الخاص به، وهي من مقاماته المعروفة، إذا أسفرت في يوم عيد تزاومت على حسنها أبصار كل قبيلة فأرواحهم تصبو لمعنى جمالها وأحداقهم من حسنها في حديقة وعندي عيدي كل يوم أرى به جم، ال محياها بعين قريرة فانظر الى ما صار الحال حتى تبدل الصلاة مع الإمام بالصلاة معك وأمثالك، وتفكر في زمن حضوره واجتماع المؤمنين لصلاته وصلاتهم معه، وقدر في نفسك كيف كان حال المؤمن إذا كان الخطيب إمامه، يزور جماله، ويسمع كلامه، ويتلقى من علومه، ثم أنظر الى ما ورد في الأخبار من بركات زمن حضوره وأنواره، ونشر العدل، وطى الجور والبغي، وعزة الإسلام، وحرمة القرآن، ورواج الإيمان، وتكميل العقول، وتزكية القلوب، وتحسين الاخلاق، ورفع الشقاق، ودفع النفاق. فناده بعالي صوتك، وأعرض بلسان شوقك الى مقدس حضرته: هل إليك يا بن أحمد سبيل فتلقى؟.. متى يتصل يومنا منك بغده فنحضى؟.. متى نرد مناهلك الروية فنروى؟.. متى نتقع من عذب ماءك فقد طال الصدى؟.. مولاي يا سيدي متى ترانا ونراك وقد نشرت لواء النصر؟..

مولاي متى ترانا ونراك فتقر عيوننا بزيارتك ونهتدي بهداك  
فتخبرنا عما أشكل علينا من حقائق الامور، وتحل بك العويصات،  
وترتفع بك الجهالات، وتتم بك الكمالات؟. سيدي ومولاي، يا  
أملي ورجائي، ليت شعري إلى من تصير عاقبة أمري؟.. أتقر عيني  
بنور جمالك، وأروى من عذب وصالك، أم أذهب بهذه الغصص  
الى قبري وأموت بغصة بعد غصة، وبحسرة بعد حسرة؟.. سيدي  
يميتني طول فراقكم، ويحيني رجاء وصالكم، وما أخبرتم به  
من علائم ظهوركم، كيف؟.. لو لا هذه المواعيد في الأخبار، وما  
نترقب به ظهوركم من الآثار، صلوات الله وسلامه على من أحيانا  
بها وأخبرنا عنها، لأنها اليوم سبب حياة عبيدكم التائقين إليكم،  
المشتاقين الى وصالكم، ويقول لسان حال كل منا: أوعدوني  
أوعدوني وامطلوا حكم دين الحب دين الحب لي روح القلب بذكر  
المنحني وأعدده عند سمعي يا أخي سيدي لو لا ما وصل إلينا أن  
الفرج بعد الشدة لكنت هذه الشدائد أشد على قلوبنا ونفوسنا من  
أن تتحملها، ولكن من اجل أنها من علائم الفرج يهون علينا، بل  
ربما نشاق إلهيا لنصل بها إليكم.

سيدي قد طالت المدد، ومد الأمد، ننتظر أمركم، ونحیی بذكركم، ونتصفح آثار ظهوركم. سيدي اشتد الأمر، وكثر الظلم والجور تَدْمُ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ<sup>(١)</sup> ولم ير مثل اليوم فساد في الأرض برها وبحرها، وانضم إليها الهوى، والتهبت نيران الأهوية، وأحرق العالم، خرجت منها البلاد، وفنى منها العمران، وهلك الإنسان والحيوان والحيتان.

سيدي عظم البلاء، وبرح الخفاء، وإليك المشتكى.

سيدي فراقك وهجرك أعظم من جميع ذلك، وإلا فالبلاء معك نعمة، والأذى دونك راحة.

سيدي إذا تفكرت في وصالك، ولذة لقاءك وتأملت في احوال من قربتهم من جوارك ومنحت عليهم من إفضالك، وشرفتهم بزيارة جمالك، وأكرمتهم بتعليمك، ومننت عليهم بسقي كاسات التوحيد، وشرفتهم بمقام الجمع من أهل التوحيد، كاد أن ينصدع قلبي من الحسرة، وينشق فؤادي من الغيرة. ليس حال طالبي حضرتك كأحوال سائر المشتاقين، لأن جمالك لا يقاس بجمال سائر المعشوقين، وجلالك ليس كسائر الجلالات، إذ ليس غيرك مطلوب ومحبوب هو علة إيجاد محبة وطالبه، محتاج إليه في

(١) سورة لقمان الآية ٤١.

كل حاله في جميع شؤونه، بل ليس في عالم الحس جمال إلا وهو مظهر شيء من جمالك، ولا جلال إلا وهو أثر من آثار جلالك. لأن جمالك مظهر جمال الله الجميل، وجمال غيرك من مظاهر جمالك، وهكذا جلالك مظهر جلال الله الجليل، وجلال غيرك مقتبس من جلالك، وأنت أصل كل جمال وجلال، وأنت المراد بأبهى البهاء، وأجمل الجمال، وأجل الجلال، في دعاء السحر. وأنت نور الله الأنور، وضيائه الأزهر.

وأيضاً ليس هجرك وقلاك مثل هجر غيرك من المطلوبين، لأن مهجور غيرك ينسب الى الهجر الى المطلوب، ولا ملام في هجر محبوبه اياه، ومهجورك ملام في نفسه، ولام عند الناس، لا سلوة له، لأنه لا يمكن أن ينسب إليك أنك غير وفي، أو أنك غير محب لمحباك، وجميع محبيك يعتقدون أن حبك و وفائك أكثر من حبهم و وفائهم، فإذا هجرتهم يكشف ذلك عن تقصيرهم، وقصور حبهم يكشف عن عدم تمييزهم ومعرفتهم، فمهجورك أخسر الخاسرين إلا أن يسلي نفسه بالتسويق، وصلاح زيادة الثواب، ولكن أي ثواب عند المحب أعظم من لقائك.

مولاي فذاك جميع من سواك، بنفسي أنت من أثيل مجد لا يحاذي، بنفسي أنت من نصيف شرف لا يساوي، الى متى أحار فيك يا مولاي؟.. وإلى متى وأي خطاب أصف فيك وأي نجوى؟..

عزيز علي أن أرى غيرك متصرفاً في مملكتك، وحاكماً في رعيتك، بل في أهلك، بمرأى منك ومسمع، وهم يلوذون ويستغيثون بك فلا يجابون. سيدي، هذه ممالكنا دخلت بها الكفار من غير إذنا، يحكمون فينا وفي أنفسنا وأموالنا بما يريدون، وهذا سلطاننا كالأسير الممتهن، فيالله من هذه المصائب الفجيعة، والشدائد المهلكة، فإن الله وإننا إليه راجعون، من مصيبة فقدك وطول غيبتك، وقد صار حال شيعتك كقطائع غنم غاب عنها راعيها، وشدت عليها الذئاب من كل جانب، تأخذ منها ما تريد أكله، وتقتل الباقي لما بعدها.

سيدي، هذه مصائبنا والذي يصل إليك منها أوجع لنفوسكم وآلم لقلوبكم مما يصل إلينا، لأننا نعلم رأفتكم بشيعتكم، وغيرتكم ورقة لقلوبكم. أليس جدك أمير المؤمنين علي يشكو مما أخذه عسكر معاوية بن أبي سفيان من خلخال الذمية، ويقول: «لومات المسلم من هذا الأمر لم يكن عندي ملاماً؟»<sup>(١)</sup>.

فكيف بكم إذا علمتم ما يفعل بالمسلمات من السبي، وقطع الشعر والثدي؟!.. ساعد الله قلبك يا مولاي، والى الله المشتكى، والى سيد الورى محمد المصطفى والى علي المرتضى وسيدة النساء والى آبائك الطاهرين أئمة الهدى وليوث الوغى، والى حمزة سيد الشهداء، والى الطيار في الملاء الأعلى. من هذا الخطب العظيم والشأن الفظيع.

(١) بحار الأنوار ج ٥٤ ص ٢٣٧.



فأغث يا غياث المستغيثين عبيدك المبتلين، وأرهم سيدهم يا  
أرحم الراحمين، وأزل عنهم به ظلم الظالمين، وسلطان الكافرين،  
وكيد المخالفين، وعجل فرجهم بفرج وليك سلطان السلاطين،  
سيد الخلائق أجمعين، واملاً الأرض قسطاً وعدلاً وقد ملئت ظلماً  
وجوراً.

وأقر عيون المؤمنين بجمال ولي الدين، وأوفر نصيبهم بظهور  
جلاله في العالمين، واطهر عدلك الأعظم، وسلطانك الأجل  
الأفخم، فأقم به الحق وأدخض به الباطل، وأدل به أولياءك،  
وأذل به أعداءك، وانتقم من ظالمي أوليائك ومعاندي أصفيائك،  
وعجل بإظهار ما وعدته من نصر المؤمنين وعاقبة المتقين، يا أصدق  
الصادقين، ويا أقدر القادرين»<sup>(١)</sup>.

### الخوف والرجاء:

«لا بد للمؤمن من الخوف والرجاء، وهما أصل كل خير بعد  
الإيمان، لأن المراد لكل أحد السعادة، وهي سعادة عند المؤمن  
كلقاء الله، والانس به، ولا سبيل إليها إلا بتحصيل محبته، ولا  
تحصل إلا بعد المعرفة، ولا تحصل إلا بدوام الفكر، ولا يحصل  
غالباً، ولا يصفوا إلا بالذكر، ولا يتيسر الذكر والفكر إلا بالتزوع  
عن مشاغل الدنيا، والالف بشهواتها، ولا يمكن إلا بالانقلاع

(١) الوصايا العرفانية، العارف الميرزا جواد الملكي.

عن حبها، وحب مشتياتها، ولا تنقم اصولها إلا بالصبر عنهما، ولا يعمل بالصبر إلا بالخوف والرجاء، وحقيقة الخوف هو تألم القلب، واحتراقه بسبب انتظار مكروه فيما يأتي، سواء كان المكروه بحصول شقاوة، أو فقدان سعادة، ولا تنافي بينة وبين الرجاء، بل بينهما تلازم، والذي بينهما تناف هو القنوط والجماء، والأمن والخوف. ثم ان الخوف أما عن نفس المؤلم، أو عن سببه.

الأول: كالنار وسائر أنواع ما يعذب به الانسان، سواء كان في الدنيا أو الآخرة.

والثاني: كالكفر والمعاصي ومنشأهما كله، ويختلف خوف الخائفين في كلا القسمين:

أما الأول: فقد يكون خوف مؤمن من تعجيل العقوبة في الدنيا، وقد يكون الموت وسكراته، وقد يكون من القبر ووحشته وظلمته، وضيقة وضنكه، وقد يكون من السؤال، وقد يكون من هول المطلع، وقد يكون من أهوال القيامة، ومواقفها، وقد يكون من الحساب، وقد يكون من الصراط، وقد يكون من حياء العرض على الله، وقد يكون من فضيحة هتك الستور على رؤوس الأشهاد، وقد يكون من نار جهنم، وحياتها وعقاربها، وزقومها وضريعها، وغسلينها، وحميمها ومقامعها، وقرينها وأغلاها، وسلاسلها، وقد يكون من حرمان الجنة، ودار النعيم والملك العظيم المقيم،



وقد يكون من نقص الدرجة، وهي أيضاً كثيرة:

خوف الوقوف، خوف الأعراض خوف الحجاب، خوف الغضب، خوف المقت.

وأما الثاني: فقد يكون خوف أحدهم من الكبائر التي قاربها، وقد يكون من ملكاته السيئة، من شدة شهوته وغضبه، وقد يكون من حقوق الناس، وطبقات العباد، وقد يكون من البطر بكثرة النعم، أو خوف الإستدراج بها، وقد يكون من الوقوع في معصيته، أو الموت قبل التوبة، أو نقض التوبة، أو من القساوة، أو من الإعوجاج والميل عن الإستقامة، أو خوف اطلاع الله على سريرته في حال معصيته، أو غفلة، أو عدم قبول عباداته، أو رد مناجاته، كأن يقال عند تلبيته: لا لبيك ولا سعديك، أو من ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله، أو من سوء الخاتمة، أو السابقة، والصالحين والطالحين والعباد والزهاد والمتقين والصديقين والعارفين مختلفة في هذه المخاوف. ولا يذهب عليك أن الكاملين من العباد يخافون من جميع هذه المخاوف ومخصوصون ببعضها أيضاً، والله تعالى يتولى رياضة قلوبهم في كل وقت، بخوف ورجاء، وأخص ما يخافون منه خوف الوقوف، والأعراض، وخوف السابقة المؤدية إلى سوء الخاتمة. ثم اعلم ان أخوف الناس من الله أعلمهم بالله.

لذا قال رسول الله ﷺ: «أنا أخوفكم من الله» فانهم يخافون من الله جميع ما ذكر، لا لشيء من هذه المخاوف، بل بسر قوله تعالى: ﴿وَيَحْذِرُكُمُ اللَّهُ فَفَسَهُ﴾<sup>(١)</sup> ولكن قد يشغلهم الله من مقتضى خوفهم، فلا يظهر من أحدهم، أو في بعض حالاتهم، آثار الخوف، وقد يكون بالعكس رجائهم وخوفهم في بعض حالاتهم، وفيظهر منهم ما يكاد يتقطع منه القلوب ويبهر منه العقول، وقد يكون في بعضهم ظهور سلطان الخوف أكثر من بروز حقائق الرجاء<sup>(٢)</sup>.

### علاج الخوف:

علاج الخوف أصله الايمان بالله واليوم الآخر، والثواب والعقاب، والجنة والنار، سواء كان عن تقليد وسماع، أو عن تحقيق وبرهان، أو كشف وعيان. والخوف الناشئ عن الايمان التقليدي يشبه خوف الصبي من الحية اذا سمع من امه انها تلدغ، وتقتل، ويقوى إذا رأى أن أبويه يفران منها ويتزلزلان من رؤيتها، والناشئ عن الايمان الحقيقي يشبه خوف العقلاء، مما يحكم العقل بضرره، اهلاكه، ويقوى بكون مبادئه قريبة من الحس، وبكثرة الذكر والفكر فيه.

(١) سورة آل عمران الآية ٣٠.

(٢) الوصايا العرفانية، العارف الميرزا جواد الملكي.

والناشئ عن الكشفي هو الذي يجمع جميع فضائل الخوف، ويحرق في القلب كل شهوة ورغبة، وينسى كل شيء، ولا يبقى للمؤمن إلا هم المخوف منه، والخلاص منه، وله أيضا مراتب فإن الذي كوشف له نار جهنم، لا يبلغ خوفه مبلغ من كوشف له عذاب البعد والحجاب عن لقاء الله، أما تسمع أمير المؤمنين الإمام علي بعد ما يعد شدة عذاب جهنم، وطول مدتها، يقول: «وهبني يا الهي وسيدى ومولاي وربى، صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك؟. وهبني صبرت على حر نارك، فكيف أصبر على النظر الى كرامتك؟<sup>(١)</sup>.

وإن شئت أن تعرف الفرق ما بين عذاب نار جهنم، وعذاب نار الفراق فقس بين العالم الحسي والعالم العقلي، ودرك الحس والعقل، فان نسبة الحس الى العقل كنسبة القطرة الى البحر، بل الفرق أزيد، وخوف البعد والحجاب للمقربين، هو مهلك قطعاً إلا ان الله انما يتولى سياسة قلوب أوليائه، فإذا هاج في قلوبهم مبادئ هذا الخوف، وأحرق قلوبهم وقربوا من الهلاك، يحييهم بما يلقي اليهم من نفحات رحمته، ويمطر على موت قلوبهم من امطار رجاء رأفته الى أن يقضى فيهم حكمه وحكمته، ويقرب آجالهم التي كتب الله عليهم، وعند ذلك يطوى عنهم بساط الخوف والرجاء، فيشد على قلوبهم شوق اللقاء، حتى يكونوا الى الموت آنس من الطفل الى ثدى

(١) دعاء كميل بن زياد النخعي - المنسوب للإمام علي بن أبي طالب.

أمه، ولعل هذه معاملته تعالى ببعض أوليائه، ولكل منهم معاملة خاصة، كلها ناشئة عن كرمه وجوده ورأفته ورحمته، وعظيم فضله وإحسانه بما يناسب حاله في الترقى الى ما كتبه لهم من الدرجات العالية، بمقتضى أسماؤه وصفاته.

وإذا تمهد ذلك تعرف أن أصل الخوف سببه الايمان، وكل مؤمن لا بد أن يكون فيه مقتضى الخوف في الجملة، ولكن قد يكون الايمان ضعيفاً، فيضعف الخوف، وقد يكون قويا فيكون مقتضى الخوف أيضاً قويا، ولكن يمنع من فعليته مانع، فالعلاج إما بتقوية الايمان، أو رفع المانع.

أما الاول فليس هنا محل ذكره.

وأما الثاني فهو في المقام أمران:

أولهما: غفلة القلب عما آمن به من الجنة والنار.

وثانيها: غلبة حب الدنيا على القلب بحيث صار القلب مريضا بمرض العشق.

أما الاول: فعلاجه الوعظ والتذكير، وتذكر أسباب الخوف من العذاب الدنيوي والاخروي، وينفع كثيرا قراءة آيات العذاب، وتكرارها والتفكر فيها، وتصويرها واقعة على النفس، في كل يوم وليلة مرتين أو مرات، ولكن يكثر تكرارها ساعة أو ساعتين لا

محالة فيؤثر أثرا كاملا، وفي ملازمة الخائفين، ومشاهدة حالاتهم أيضا لفوز عظيم، وسماع أحوالهم أيضا بدل منه.

وأما الثاني: فعلاجه هو تقوية باعث الدين، وتضعيف باعث الهوى، وحب الدنيا، فان القلب دائما معركة هذين الجندين، حتى يغلب أحدهما فيملك القلب، ويكون هو السائس والحاكم فيه، فيجري أحكام الدين على الجوارح التي هي أيضا جند القلب.

وتفصيل تقوية باعث الدين على باعث الهوى، ليكون له اليد العليا المتصرفة في مملكة البدن يعلم بمثال. مثلا اذا أردنا أن يكون العقل والشرع حاكمين في الشهوة، فلنا أن نضعف الشهوة، ونقوي العفة.

أما الأول فيكون بثلاثة أمور:

أولهما: قطع أسبابها الخارجة، وهي الأغذية القوية والمشهية نوعا، ومقدارا، فلا بد من قطعها، فلا يأكل المرید [الأطعمه] المشهية المتنوعة، ويقل من المقدار، ولذا أمر الشرع بكسر الشهوة بالصوم.

الثاني: قطع أسبابها المهيجة الفعلية، فانها إنما تهيج بانظر الى مظانها، اذا النظر يهيج القلب، والقلب يحرك الشهوة.

وهذا أيضاً يحصل بالإعتزال. والاحتراز عن مظان رؤية الصور الجميلة، والمشهية، ولذا ورد في الشرع النهي عن النظر الى النسوان، والولدان الجميلة. وقال عليه السلام: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس»<sup>(١)</sup>. فإن سهمه هذا انما هو من قوس الصور، ومن طريق البصر، فلا يدفعه إلا غمض الا جفان، والهرب من مظان الأبصار.

الثالث: تسلية بالمباح من الجنس الذي تشتبهه، وهو النكاح.

وأما الثاني، وهو تقوية العفة فبوجهين:

أولهما: تذكر فوائدها وثمراتها الدنيوية، ومثوبتها الاخروية مما ورد في الآيات والأخبار.

وثانيهما: تعويدها بالغلبة، فيكون بالعمل بمقتضاها تدريجاً فيقوى بذلك، حتى أن الغلبة في المرة الثانية أسهل منها في الاولى، حتى ينتهي الى أن لا يبقى الخضم قوة للمصارعة.

ثم ان الخوف من الامور الاخروية أيضاً ينقسم الى: مكروه وحرام ومستحب وواجب.

ومن الأول أن يشتد من درجة الاعتدال، فيكيف الاشتغال به عن دوام الذكر، والفكر، والفراغ لكثرة العمل.

(١) بحار الأنوار ج ٥٤ ص ٣٢٥ - المجلسي.

ومن الثاني أن يصل الى درجة القنوط وهو كبيرة موبقة.

ومن الثالث كل ما يصير سبباً للتقوى، وزيادة العمل عن حد الوجوب الشرعي.

ومن الرابع كل ما يمنع عن المحرمات الشرعية، ويبعث على العمل بالواجبات الشرعية. وأيضاً ينقسم بالحاظ آخر: الى ناقص، ومعتدل وزائد، فاناقص ما يكون سبباً لتألم ما يوجع القلب، ويبكي العين ولا يمنع من المحرمات والشهوات، ولا يبعث على مجاهدة العبادات، فاذا سمع آية أو رواية واردة في وصف جهنم، وشدة عقابها يبكي، وإذا غفل ينقضي أثره فلا يكفه عن شيء، ولا يبعثه الى أمر نظير رقة النساء، وهذا ناقص، وجوده كالعدم، لضعف نفعه، وهو درجة خوف العامة، والمعتدل هو ما يبعث على العمل والتقوى والجهاد الأكبر، وهو على درجاتها مطلوبة نافعة جداً، ولها مثوبات عظيمة، والزائد هو الذي يقضي الى اليأس والقنوط، ويكف عن العمل، أو يقضي الى الموت والهلاك، وإخلال العقل، وهذا هو المرغوب عنه بأقسامه، والسبب فيه أن الخوف، ليس بنفسه من الفضائل ليزداد حسنه بإزدياده، بل هو في نفسه نقص، وصار مرغوباً لرفع نقص آخر أهم من نفسه، فإذا كان دائراً مدار ذلك.

فاذا زاد عن الحد بحيث لم ينفع في رفع النقص الآخر، أو زاد في نقصه، فيكون قبيحا ومرغوباً عنه.

وبالجملة ما يثمر في العمل المرغوب الشرعي هو المطلوب، وما لا يثمر في ذلك، أو يثمر في خلافه، فهو غير مرغوب فيه قطعاً<sup>(١)</sup>.

### نصائح وتنبهات:

هذه الأعمال والمراقبات التي أشير إليها إن أمكن العبد أن يؤديها، ويراعي حقها، ويخلصها من آفاتها، فطوبى له ثم طوبى له، ولكنها مظنة الإشتباه حتى على الكاملين، فعلى المراقب الحذر عن غرورها، وإن لم يقدر على إتياها أو لم يقدر على رعايتها حق رعايتها، فله حينئذ أولاً أن يستغفر ذنبه حيث إن ذنبه صار سبباً لسلب التوفيق، وثانياً ان يستفهم خصوص الذنب الذي صار سبباً لهذا الخذلان، فيمحوه بتوبة وإستعلاج، ويراقب اجتنابه عند كل عمل، حتى يخلص من الخذلان فيها بعد أيضاً.

(١) الوصايا العرفانية، العارف الميرزا جواد الملكي.



ويجزن لما فاته ويتداركه بقضاء إن كان يقضى أو بعمل غير القضاء، ويرى نفسه خاسرا لأن الفاتت المتدارك بالبدل وإن كان متداركا ببدله إلا أن المبدل أيضا كان ممكنا مع المتدارك ففات، فلا بدل له إلا أن تؤثر الفوات في قلبه حزنا وحسرة يحرق بها آثار الخذلان، ويتدارك معها نور التوفيق، بل قد يزيد نورها على نور توفيق العمل، فإنه تعالى كريم العفو، قد يعفوا عن التقصير بعفوه، ويبدله بالاجتهاد بكرمه، ويزيد في البدل أضعاف مافات.

ثم إن هذا الذي ذكرنا أولا إنما هو بحكم الفرض، وأما حكم الواقع غالبا أو دائما (فهو) أن المجاهد لا يطمئن باصابة الواقع في مجاهداته، فله أن يبذل كل مقدوره في العمل بكمال جده حتى يعرف معرفة جزئية حقيقية ناشئة من العمل أن الاصابة لا يمكن إلا بعون الله وحوله وقوته لأن المخلص كما عن الإمام الصادق بأذل روحه، وذائب مهجته، في تقويم ما به العلم والعمل، والعامل والمعمول بالعمل، وهذا أمر صعب لا سبيل للعبد إلى البلوغ به إلا بتوفيق خاص من الله تعالى.

وإذ قد أتى العبد بمجوده، وعرف عجزه عن نيل المراد، فيضطر عند ذلك للاستعانة بحقيقة قلبه، ويحترف على باب كرم الله تعالى، فيدركه عند ذلك نفحات رحمته الرحيمية، لأنه تعالى كريم يجب الكرامة لعباده المضطرين المحترفين على باب له لطلب مرضاته، فيقبله ويرضى عنه، ويدخله في عباده المخلصين، لأن الاخلاص معنى

مفتاحه القبول، وتوقيعه الرضا، وقبل القبول والرضا لا يوجد الاخلاص، فعلى العبد أن يكون تمام جده وغاية سعيه في معرفة آفات الأعمال، حتى يجتهد في تخلص عمله ببذل مجهوده، حتى يورثه ذلك معرفة العجز والاضطرار والتسليم إلى الله، والطلب منه، وإذا أتى بذلك، ووكل أمره إليه فإنه يكفيه في كل ما سلم إليه، ولا يضمن ولا يبخل، ولا يخون ولا يجفو.

ولكن الحذر الحذر أن يختدعه الخبيث فيوقعه في ترك المجاهدة، ويسميه بمعرفة العجز والاضطرار والتسليم، فيجمع له مع ترك المجاهدة دعوى هذه المقامات العالية بالكذب والقرية، فيلزم للأمن من الاختداع والنجاة من الغرور أن يستكشف حقائق هذه الصفات.

ويختبر حاله بالعلوم الربانية، والكواشف القطعية البرهانية ولا يمكنه استكشاف حقيقة معرفة العجز عن دعواها، ومعناها عن صورتها إلا بأن يضع نفسه في عمله موضع العاجز بالنسبة إلى جميع الامور، ولا يرى في الوجود قدرة إلا لله. فإذا تحقق العبد بهذه المعرفة لا يرى في العالم ضارا ولا نافعا إلا الله، فإذن لا يسعى ولا يتحرك ولا يسكن إلا من جهة أمر الله، وبقوة الله.

ومن لوازم هذه الصفة أن لا يتملق للسلطان، ولا يخاف أحدا إلا الله، بل ولا يشكر أحدا ولا يذمه بعتاء ومنع، فيشكر الله عند

عطائه ويذم نفسه بمنعه، وإذا انضم إلى ذلك معرفة وجه الحاجة إلى نعمة الله، وعدم الاستغناء من نعمه، تحقق الاضطرار، وإذا انضم إلى ذلك معرفة عنايته وقدرته وجوده تحقق أمر التسليم والتوكل. وإلا فمن يرى التأثير في الأسباب ويسعى لها بغير أمر الله، بل في محل نهي الله ولا يطمئن بضمان الله في وعده بالرزق، وإجابة الدعاء، وكفاية المتوكلين، ويخاف من الفقر عند البذل الواجب أو الحسن، ويذم الناس بالمنع ويتملق للأغنياء والسلاطين، ولا يجتنب في تحصيل رزقه وكسب معاشه عن الشبهات، بل ويتكسب المحرمات، ويسعى في طلب المال طلب الحريص، ولا يجعل في الطلب كما ورد به الشرع، كل ذلك يخالف هذه الصفات، فيتبين عند العارف أن تسليمه عبارة عن عدم المبالاة بأمر المجاهدة، وهو في دعواه كاذب، ومستحق الخذلان آخر، غير ترك أمر المجاهدة.

فعلم من ذلك كله أنه لا بد للعاقل من بذل غاية الجهد لا سيما في الاخلاص آيسا من قدرته على ذلك، ولكن رجاء بفضل الله وعنايته، فعند ذلك يرحمه ويمن عليه بالقبول والرضا و الاخلاص، وأما ترك المجاهدة فلا يجوز بحال سواء في ذلك حال التسليم وعدمه. وبالجمله للصورة حكم في جميع العوالم وللمعنى أيضاً حكم يختلفان، لا تؤثر الصورة أثر حكم المعنى في شيء من العوالم.

وقد يكون للصورة المخالفة للمعنى حكم مضاد لحكم المعنى،  
 فيؤثر ضد أثر المعنى كما أن الشهادة للاسلام والتوحيد إذا خالف  
 ما في القلب يؤثر أثر النفاق المضاد لحكم معنى الاسلام وحقيقته،  
 فيوجب الخلود في أسفل الدرجات وهذا الحكم مطرد في جميع  
 الامور الدينية والدنيوية، فانك لا تقبل من اولادك وخدمك في  
 طاعتهم لك وخدمتهم الصورة المحضة المخالفة لحقيقة الطاعة،  
 بل تعدها استهزاء وتجايزه جزاء المعصية، مثلا إذا أردت منه  
 تعظيمك وقال بلسانه:

أنت عظيم العظماء، ورأيتة يخالف بقلبه وعمله في هذا التعظيم  
 فلا تقبل منه هذا القول للتعظيم، بل تقول إنه أهانني وإستهزء بي،  
 وأي فرق في أمر الله تعالى لعباده بتكبيره في الصلاة مثلاً مع توقعك  
 من عبيدك وخدمك تكبيرك وتعظيمك، كيف لا تقبل منه قوله:  
 أن أكبرك إذا خالف في قلبه وأعماله، وحق على الله تعالى أن (لا)  
 يقبل منك لفظ التكبير المخالف لقلبك وعملك.

أما سمعت ما في مصباح الشريعة من قوله: «إن الله إذا أطلع  
 على قلب العبد إذا كبر ورأى فيه عارضاً عن حقيقة تكبيره، قال  
 له: يا كاذب أتخدعني»<sup>(١)</sup>.

(١) الكافي ج ٢ ص ١٤٣ - الكليني.

وفي بعض الروايات أن العبد إذا كبر في صلاته وأثنى على الله قال الله: «اشهدوا يا ملائكتي كيف رفع يده ونزهني وكبرني، فأشهدكم أني سأكبره وأنزه في منزلات دار كرامتي»<sup>(١)</sup>. فانظر يا أخي هذا المقام السني الذي يبهر العقول ويزيد على المأمول للتكبير الواقعي، كيف يتبدل حكمه بالطرد والعقاب، على التكبير الصوري المخالف لحقيقة التكبير، وإنما حكم الآثار بهذا المنول في غيره من الأذكار والأفعال، فلا يقبل الصورة عن المعاني في شيء منها وفي الأخبار المستفيضة أنه: كان النبي ﷺ إذا ادعى عنده أحد الإيمان أو شيئاً من مقامات الدين، يقول له: «ألا لكل شيء حقيقة فما حقيقة دعواك؟...»<sup>(٢)</sup>.

أما يكفي في ذلك ما في كتاب الله تعالى حيث يقول: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وبالجملته فعلى العبد أن يجعل همه وجده كله في تصحيح العمل وإخلاصه عن الآفات، وعن شوائب الهوى، فلو قدر أن يقول: (لا إله إلا الله) مرة بقلبه وعمله بل وروحه وسره وجميع جوارحه، فهو أنفع من أن يأتي تمام عمره بقيام الليالي وصيام الأيام مع دوام

(١) بحار الأنوار ج ٦٦ ص ٢٣٦ - المجلسي.

(٢) سفينة البحار ج ٥ ص ٢٦٦.

(٣) سورة المنافقون الآية ١

الذكر من دون إخلاص. وإن شئت تصديق ذلك فانظر إلى عمل إبليس فانه عبد الله مع الملائكة آلاف السنين فلم ينفعه ولم يمنعه من العذاب واللعن، وإلى آدم حيث إن كلمات منه في التوبة صارت سبباً لقبول توبته، ومقام الاجتباء، وفي الأخبار أن للمرائي في القيامة أربعة أسماء: يا كاذب، يا فاجر، يا غادر، يا مرائي، هذا.

ومن أهم ما يترتب على المجاهدة في إخلاص العمل عن الآفات التواضع القلبي الحاصل من معرفة ضياع أعماله، فانه يورث في القلب ذلة باطنية بحيث يتنفر عن عمله وعن نفسه، ويكون زارياً لنفسه غير مدل بعبادته، وغير معجب بها فكلما سعى أن يأتي بعمل صحيح ولم يقدر عرف عجزه، ويضطر إلى الإحتراف بأبواب الفضل والكرم والجود، ويرى نفسه وهو اه أعدى عدوه فيزري نفسه.

وهذه الذلة الباطنة وإزراء النفس ينفعه أكثر من عبادة سبعين سنة، كما روي أن عابدا عبد الله سبعين سنة صائماً نهاره وقائماً ليله، فطلب إلى الله حاجة فلم تقض له، فأقبل لوما على نفسه وقال: من قبلك اوتيت، لو كان عندك خير قضيت حاجتك، فأنزل الله إليه ملكاً فقال: يا بن آدم ساعتك التي أزريت فيها على نفسك خير من عبادتك التي مضت.

نعم هو عند المنكسرة قلوبهم كما ورد في الأخبار، ولعمري إن العمدة في ضياع أمر الآخرة والأديان، وصحة أمر الدنيا واستقامة أمر الهوى، إنما هو من هذا الباب لما نراه بالوجدان الغالب على أهل الدين في أمور الآخرة من عباداتهم وأعمالهم، بل وإيمانهم وأخلاقهم الاكتفاء بالصورة، والغالب على أهل الدنيا عدم الاكتفاء بها، بل يداقون في تكميل المعنى مثلاً أهل الأديان يكتفون غالباً في صلاتهم بإقامة الصورة، ويسعون في تكميل الصورة ولا يباليون بفقدان المعنى والروح، فان للصلاة صورة وروحا في كل جزء من أجزائها وشرائطها، من طهارتها وتكبيرها إلى تسليمها وتعقيبها، من أفعالها وأذكارها وهيئاتها، وترى المصلين يتعلمون الصورة حتى أنهم يجتهدون في تصحيح أمر تقليدهم وتعلم صورة الصلاة ويحتاطون في ذلك ويناقشون في علم المقلدين وورعهم.

ويداقون في تصحيح الرسائل ويناقشون في عباراتها، ويبالغون في تطهير الماء وتطهير الأعضاء، ويجتهدون في إيصال الماء إلى أعضاء الوضوء، بما لم يأت به الشرع بل نهى عنه صريحاً، وهكذا في تطهير المكان واللباس وفي أداء الحروف من المخارج في القراءة والأذكار بحيث يفسدون القراءة والذكر من كثرة المبالغة، وأما تطهير الجوارح من المعاصي والقلب عن الأخلاق الرذيلة وعن النفاق وعن محبة الدنيا وعن الشغل بغير الله فكأنه غير مأمور به.

وهكذا يسامحون في إتيان حقائق الأفعال والأذكار حتى ترى الفحول من أهل العلم لم يتعلم المراد من بعض أفعال الصلاة مع أنه مذكور في الأخبار، مثل رفع اليد بالتكبير ونفس القيام وهكذا الركوع والسجود ومد العنق في الركوع ورفع الرأس من السجود والتشهد والسلام، وقد ورد في أخبار آل محمد عليهم السلام لكل منها معنى وحقيقة إن لم تأت بها بقصد ذلك المعنى منه فكأنك لم تأت بها.

وهكذا التكبير والقراءة والتسبيح والتحميد والشهادة بالتوحيد وبالرسالة والسلام لكل منها حقائق إن لم يتحقق المتكلم بها بهذه الحقائق لا يصدق عليه أنه مكبر ومسبح وحامد وقارى، وهكذا، فمن أراد تحقيق ما ذكرنا فليراجع ما شرحناه في كتاب أسرار الصلاة في حقائق هذه المذكورات، وما ورد فيها من الروايات، وأما أهل الدنيا في امورهم الدنيوية، فلا يقنعون بالصورة بل يجدون في إتيان الحقائق، فما رأيت أحدا من الناس يكتفي من الحلواء بصورتها ونقشها أو قراءة لفظها، بل إذا نقص أحد أجزاءها عن حد الكمال ينفون الأسم، ويقولون: هذا ليس بحلواء، وهكذا في غيرها من الأشياء والأمور.

مثلاً إذا تواضع الولد لوالده في أغلب حالاته واقعا، وأتى في بعضها الآخر بالصورة الخالية عن المعنى، وعرف ذلك الوالد، يقول: إنه لم يتواضع لي واستهزء بي، وإذا أمر البناء أن يبني له عمارة وسوى هذا البناء العمارة من بابها إلى محرابها كما أمره ولكن



لم يتخذ لما بنى أساسا وعرف صاحب العمارة أنها تخرب بعد أشهر لا يعطيه الأجرة ويقول له: إنك لم تبني ما أمرتك به، فلا تستحق أجرة، بل يطلب منه قيمة الجص وغيره، وبالجملة ما رأيت أحدا يقنع في أمور دنياه بالصورة، ولكن أغلب الناس إن لم يكن كلهم لا يأتون في أغلب الأمور الاخروية إلا بالصورة، ومع ذلك يتوقعون من الصورة أثر الروح فلا يجدون.

ومن جملة هذه الأمور قرباتنا حتى هذا الكتاب الذي صرفت في كتابته عمراً، فان صورته كاملة في حدها ولكن من أين تغني الصورة من المعنى؟.. فان معنى كتابة أمثال هذه الكتب وروحها هو أن يكون قصد الكاتب القربة، وتحصيل مرضاة الله جل جلاله، ويكتب امورا وعلوما ربانية ينتفع منها الناظر فيها ويعمل بها. فاذا كان قصد الكاتب إثبات علوم نافعة للمسلمين لا يكتب إلا ما هو أنفع ولا يبالي لما يقال، ولا يهم بتحسين العبارة، ولا يعتني باظهار الفضيلة، بل لا يهم بحسن النظم والترتيب، بل يكون اهتمامه في إثبات مطالب نافعة مؤثرة في القلوب مرضية للخالق.

وبالجملة ابتلينا في أمر الدين وما يتعلق بالآخرة بالتهوين، واكتفينا بالصورة الخالية من الحقائق، وسامحنا في تحصيل المعاني، هذا، ولا يذهب عليك أن مقصودنا من الاهتمام بالحقائق والمعاني والزجر عن الأكتفاء بالصور ليس نفي الاهتمام بالصور، فان الصور أيضاً مطلوبة جداً، ولكن المقصود الترغيب في الجمع

بين الاهتمام بالصور والمعاني كل بحسبه على ما يقتضيه حكم الله واهتمام رسول الله ﷺ، وأما رفض الصور كلية كما قد يتراءى من بعض الصوفية - خذلهم الله فهو أيضا ضلال، بل هو ضلال مع إضلال، وفيه خروج عن الدين.

بل الذي يتراءى من هذه الطائفة المدعين للحقائق والمهملين للصور والتاركين لها، أنهم يتركون المعاني أيضاً، بل التارك للصورة أترك للمعاني من الصور، وهذا أضر للإسلام من كل شيء لأن بقاء الدين بحفظ الصورة غالباً لا لأن الإسلام عبارة عن الصورة والمعنى معاً، والتارك للجزء تارك للكل.

وإن كان هذا حقاً لا مرية فيه، بل لأن المراقبة للصورة وحفظها أقوى في اقتداء الناس بالشرائع والديانات، لأن المعاني أمور باطنية لا تظهر في الأغلب على الناس حتى يوجب اقتداؤهم، والظاهر إنما هو الصور، ولكن زيادة الإهتمام بالأرواح والمعاني من جهة أنها أنفسها أهم عند الشارع من الصور، فليكن الإهتمام بكلا الأمرين مساوياً، ولكن يزيد الإهتمام بالظواهر والصور في الظاهر والصورة، وبالأرواح والمعاني باطنا ومعنى»<sup>(١)</sup>.

(١) الوصايا العرفانية، العارف الميرزا جواد الملكي.

## الفصل الرابع

مقتطفات من مواعظ العارف الشيخ محمد تقي بهجت قدس سره

١ \_ الوصية الأولى - الأعمال الصالحة كالطاعة الإلهية.

٢ \_ الوصية الثانية \_ موجهة إلى الشباب المسلم.

٣ \_ الوصية الثالثة - الموعظة والنصيحة.

٤ \_ الوصية الرابعة \_ الإهتمام بالصلاة.

٥ \_ الموعظة الأولى: سعادة الدنيا والآخرة.

٦ \_ الموعظة الثانية: من كان الله جلسيه لا يحتاج لموعظة.

٧ \_ الموعظة الثالثة: الموعظة أعم من الكليات والجزئيات.

٨ \_ الموعظة الرابعة: نهج الفلاح.

٩ \_ الموعظة الخامسة: الذكر والمراقبة.

١٠ \_ الموعظة السادسة: العلم والعمل.

١١ \_ الموعظة السابعة: الموعظة بالعمل واللسان.

١٢ \_ الموعظة الثامنة: طريق رضا الله.

١٣ \_ الموعظة التاسعة: أركان السير إلى الله.



# مقتطفات من مواعظ آية الله العظمى الشيخ محمد تقي بهجت رحمته

## الوصية الأولى:

### بسم الله الرحمن الرحيم

إن على الجميع أن يعلموا بأنَّ عليهم التوجه في الأمور العملية لما يبقى لهم، دون الزائل الذي يفنى. فالأعمال الصالحة، كالطاعات الإلهية، وما يقرب إلى الله عزَّ وجلَّ، فإنها تبقى مع الإنسان، ويحملها من هنا إلى يوم القيامة، وإلى ما بعد يوم القيامة، وحيثما حل.

إن الأعمال الصالحة للإنسان، أعمال باقية له لا تفنى.. وليعلم بأن الطاعات والعبادات والمقربات، ليست مما يزول بخراب البيت مثلاً، أو بانفصال البدن عن الروح، فهي باقية وثابتة.. بل ستظهر

صورة معنوية منها هناك لكل فرد بحياله.

ولكي لا تغفلوا!.. فإن أولئك الذين استشهدوا، أو قدّموا شهداء إنما مضوا في سبيل الله، وكانوا ماضين في طريقه.. والله تعالى يعلم أي تاج وضع فوق رؤوسهم بالفعل، وإن كان البعض لا يرون ذلك إلا بعد مغادرتهم هذه النشأة وربما كان للبعض ممن هم من أهل الكمال أن يروا هنا أيضاً، أن فلاناً (مثلاً) يمتلك تاجاً على رأسه، بينما (فلان) الآخر لا يمتلك ذلك!.. والمقصود أن استشهاد أقارب المرء، هو بنفسه كرامة من الله عزّ وجلّ.

والشهادة لو أردنا تقييمها فهي مما يوجب المسرة لا الحزن.. هذا الحزن الذي يظهر في الإنسان، سببه أن ذلك الشهيد قد ارتحل إلى تلك الغرفة مثلاً، بينما بقينا نحن في هذه الغرفة.. ولا نفكر عند ذلك في أفضلية حاله من حالنا، وبأننا مكثرون بينما هو في راحة.. ولا نفكر في الأمور التي جعلها الله له الآن، بينما لا يُدرى كيفية إرتحالنا نحن.. هل نمضي مع الإيمان أم بدونه؟.. هو قد مضى مع الإيمان [مؤمناً] وبهذا النحو أيضاً: لقد مضى شهيداً علينا أن نفهم أن الشهادة من موجبات السعادة، وأنها ترتقي بكل فرد إلى أعلى، ولا تنزله إلى أسفل.. وهذا البيت ليس بالبيت الذي نبقى (نخلد) فيه.. بل على الفرد منا أن يجمع هنا أمور معينة للمكان الذي سوف يعيش فيه.

عند ذلك، وهناك يعلم مدى عظمة ما يجمعه هنا.. فهناك يعلم بأن هذا كاف وواف، وهذا غير معروف هنا (لا يعلم هنا).

الله يعلم كم من الآثار المعنوية للصلاة الواحدة [على محمد وآل محمد] التي يدعو بها المرء هنا ويهدي ثوابها للميت.. وأية صورة وأية واقعية (حقيقية) لهذه الصلوات نفسها.. علينا أن لا نهتم للقلة والكثرة، بل ليكن اهتمامنا للكيفية لو أنفق المرء شيئاً من ماله لله ولو كان زهيداً وأنفق في المقابل الآلاف من الذهب والفضة دون أن يكون ذلك لله، فذاك [أي ما كان لله] من الباقيات، بينما هذا [ما كان لغير الله] فهو من الفانيات.

إن الإنسان يترقى باستمرار، وينمو أناً فأن.. ومن المحال أن يقوم بعمل خير لله عز وجل ويكون مغفولاً عنه: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾<sup>(١)</sup>.

فمن المحال إذن ألا يطلع عليه الملائكة، أو لا يكتبه أحد أو يقوم بتسجيله. علينا الإلتفات!.. أن كل خير أو شر يصدر من أي كان سيكون هناك بارزاً وظاهراً.. والله يعلم مقدار الناظرين والذين سيطلعون على هذه الأوضاع!.. والله يعلم أي جزاء ثابت، وسيؤدى للإنسان على أعماله، خيراً كانت أم شراً!.. لا ينبغي التوهم بأن المسألة مسألة قلة وكثرة.. بل المدار على الكيفية..

(١) سورة سبأ الآية ٣.

فإن كان العمل لله فله قيمته حتى لو كان قليلاً، وإن كان لغير الله فلن ينفع ولو كان كثيراً.. ومن الضروري ملاحظة ما يقوله دستور الشرع، ليرى ما الذي يجب فعله أو تركه في ذلك المورد.. إننا ضيوف الله وعلى سفرتة، وهو يرانا ويعلم ما الذي نفعله، وما الذي نفكر بإتيانه.. فهو يعلم أفضل منا بأفكارنا.. إننا مثلاً نتخيل أموراً ونتخيل تحققها في الواقع في حالات يكون الله تعالى يعلم أن الأمر بالعكس، فما نتخيل تحققه لن يتحقق، وما نتخيل عدم تحققه هو الذي سوف يتحقق.. إنه تعالى مطلع إلى هذا الحد.

«الله تعالى مطلع» وهذا جلي.. فرسله في كل مكان، عن اليمين وعن الشمال، ومن هذه الجهة وتلك، إنها موجودان في كل مكان.. لا يمكن إخفاء شيء عن الله عزّ وجلّ.. حسناً، فإذا كان من غير الممكن إخفاء شيء، والله تعالى يرى ويعلم، وهو قادر أيضاً، وثمة أشياء يجبها، وأخرى لا يجبها، وذلك إنما هو لأجلنا، وإلا فلا يختلف الأمر بالنسبة له.. فإذا كان الأمر كذلك، فهل نحن بحاجة لأن نعلم أكثر من هذا المقدار: بأن الله مطلع على ظاهرتنا وباطننا؟!.. لقد تجسم الشيطان الملعون للنبي يحيى وقال له: أنصحك بأمر خمسة: فقال : تكلم!.. فتكلم الشيطان في البدء بكلمة حكمة جيدة جداً، والثانية أيضاً كانت حسنة جداً، والثالثة كذلك، والرابعة رأى أنها حسنة جداً. عندئذ قال له النبي يحيى : الآن فأغرب!..



ففي الخامسة سوف تقوم بعملك..إذهب!.. فالخامسة لا أريدها، إذ لا بد أنك ستقوم بعملك فيها.. وإلا فلن تكون إبليس.. فإبليس داعية الشر، وكل هذا كان مقدمة ليقوم - آخر الأمر بعمله. التفتوا أيضاً إلى أن حياة الإفرنجة تقوم بالجواسيس.. وكل ما حل بنا إلى الآن منهم، فقد كان بواسطة الجواسيس. التفتوا!.. انظروا حولكم، فأحياناً يصلون إلى الجاسوس عبر عدة وسائط. هذا نحو من الفطنة، ونحتاج إلى أن يمنحنا الله هذه الحذاقة لكيلا نخدع بالأكاذيب، فإنهم يكثرون من الصدق في ما يقولونه لنا، إلى أن يسوّقوا كذبهم. إلى أن قال دام ظله: عليكم الإنتباه!.. فلا حيلة إلا باللجوء إلى الله والتوسل، ليكن القرآن معكم في يد والعترة في اليد الأخرى.. العترة: معارفهم في مثل نهج البلاغة، وأعمالهم في مثل الصحيفة السجادية، وأعمالهم التكليفية في مثل هذه الرسائل العملية.

لا تدعوهم يخرجونكم منهم، بل ميزتنا نحن من بين المسلمين وغير المسلمين، هي أننا نمتلك أصلين ينفعان للدنيا والآخرة، ففي أمر دنيانا أيضاً لو أصبنا بمرض أو حلّ بنا بلاء ما، فإنه ينالنا الفرج بمجرد أن نتوسل بهم هذه الميزة خاصة بالشيعة، إذ لا يوجد هذا الأمر لدى أهل السنة.. بل هم لا يسمحون لعلماء الفقه بأن يتدخلوا في الأمور العقلية، فيجب الرجوع في المسائل العقلية إلى أبو الحسن الأشعري أو إلى المعتزلي.. وفي الشرعيات المرجع هو

أبو حنيفة مثلاً، أو الشافعي وأمثالهما، وهم يعجبون كيف يجعل الشيعة شخصاً واحداً مرجعاً للأمور الشرعية والعقلية معاً.

أئمتنا مراجع في المعارف والعلوم العقلية، كما أنهم كذلك في الأمور الشرعية والتكليفية أيضاً.. إنهم غيرنا - لا يعرفون أن لدى الأئمة أيضاً أمور أخرى غير هذين الأمرين الشرعيات والعقليات إذ أمر هذين سهل قياساً بما يمتلكونه، فلديهم سبل التوسل والحفظ والتحسين أيضاً.. ومنهم نتعلم طريق مناجاة الله عزَّ وجلَّ، وطريق العبودية له والأعمال.. بل نستطيع بإتباعنا لهم أن نستغرق أوقاتنا كلها في طاعة الله، وبنحو لا نخرج عن الطاعة في كل ما نقوم به.

والمقصود أن تتبهوا:

إذ أن الذئب كثيرة في هذا العصر.. فإنهم يمتهنونكم، لكن بمقدورهم فيما بعد أن يعطوكم الطعام المسموم، ويفرغوا من أمركم بعد أن يكونوا قد أخذوا الأمر منكم واستخدموكم، ومهما دفعوا لكم من المبالغ التي لا يحلم المرء بها.

انتبهوا!..

لئلا يضلونكم ويخرجونكم عن الجادة، فيحرمونكم من الدنيا والآخرة. وإذا رأوكم عبيداً لهم صادقين قانعين، رضوا عنكم لكن بشرط ان تقتلوا في سبيلهم... والسلام عليكم ورحمة الله

وبركاته.

## 👉 الوصية الثانية:

موجهة إلى الشباب المسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

على النشء الجديد والشباب أن يلتفتوا بأن عليهم - كما أنهم يتقدمون في العمر وهم في هذا السن يوماً بعد يوم أن يكون علمهم وإيمانهم فيازدياد مستمر بهذا النحو أيضاً، وبشكل مواز لذلك، فترقى معلوماتهم من الصف الأول للعلوم الدينية إلى ما فوق، ويكون إيمانهم ملازماً لعلمهم هذا، عليكم أن تعلموا بأننا نحن المسلمين لا نمتاز على غير المسلمين إلا بالقرآن والعترة، وإلا كنا نحن أيضاً كباقي الناس غير المسلمين.. لو لم نمتلك القرآن لكنا كغير المسلمين، ولو لم نمتلك الارتباط بالعترة لكنا مثل سائر المسلمين من غير أهل الإيمان.

علينا الإلتفات إلى لزوم الترقى في هذين الأمرين يوماً بيوم، فكما يتقدم بنا السن، فكذلك يلزم أن تترقى معلوماتنا بهذين الأمرين.. لا نذهب إلى هذه الجهة أو تلك، وإلا ضعنا.. وما دام هذان الأصلان الأصيلان معنا فلن نضيع أو نضل. نقول: إذا كنتم تقولون بأن الإسلام غير صحيح، ولا تقبلون بالقرآن فأتوا بمثل

القرآن، بل بسورة من مثله. يقولون: لا، فلا يمكننا أن نأتي بذلك، ولن نأتي به، ومع هذا فلن نصبح مسلمين!.. هذا الإدعاء وهذا الكلام لا جواب له، لأنهم يقولون: «نعلم ولا نعمل».

وكذلك شأن الذين هم مع القرآن صورياً وليسوا مع العترة.. نقول لهم: هذه آثار العترة، وهذه فضائلهم، وهذه أدعيتهم وأحكامهم، وهذه خطبهم ورسائلهم هذا نهج البلاغة، وهذه الصحيفة السجادية، أتوا بمثل هذا ممن خالف العترة!.. فإن فعلتم تخلينا عن العترة. هذه علومهم وهذه أمورهم العملية، هذا إيمانهم وهذه كراماتهم ومعجزاتهم.. علينا الحذر لئلا يسلبونا هذين الأمرين هل تعلمون كم يعطوننا من المال لو تخلينا لهم عنهم؟.. سوف يمنحوننا الكثير.. لكن هذا المال لا قيمة له، فغداً يسلبوننا هذا المال من طريق ملتو، وينزلون على رؤوسنا المصائب أيضاً.. إنهم لا يفون لنا، فبمجرد أن ينالوا منا مصالحهم، سوف يوقعون بنا.

خلاصة الأمر!.. علينا الإلتفات.. فلتتعلم القرآن وألفاظه، لتجنب الغلط في قراءة ما نعرفه منه، لتتعلم قراءته بشكل صحيح.. وكذا تجويده، لتكون قراءتنا في الصلاة صحيحة ولتعلم كذلك تفسيره بواسطة التفاسير السهلة المبسطة والمعتبرة لنحفظ القرآن لكي يكون دوماً معناً ونحن معه، ولتتحصن به ونجعله الحافظ لنا، والوسيلة لذلك في فتن الدنيا وشدائدها لنسأل الله عزَّ وجلَّ

أن لا يفرق بيننا وبين القرآن، كما نسأله أيضاً أن لا يفرقنا عن العترة، إذ العترة مع القرآن، والقرآن مع العترة.. إذا أفتقد شخص ما أحد هذين، فقد افتقدتهما كلاهما.

لنلتفت لكيلا يكذبوا علينا، ويسوقوا كذبهم لنا، لكيلا نشترى الكذب من أهل الدنيا لا يمكننا الابتعاد عن القرآن والعترة، فلو ابتعدنا عنهما لوقعنا في شباك الذئاب، والله يعلم إن كنا سننجو بعد ذلك من أيديهم، بعد أن تكسّر الرؤوس، وتقطع الأيدي، وتحل البلايا المختلفة.

أنتبهوا لثلاثي يخرجوا أحداً منكم من هذين الأصليين!..

إنكم تزاولون الدراسة في المدارس، فانتبهوا إلى معلمكم بأن يكونوا في الصراط المستقيم، إذا حرفوا المعلم بواسطة الرشاوى وغيرها.. فإن وضع الطلاب عندئذ سيكون وخيماً، لماذا؟.. ذلك لأنه سيصدر إليهم باطله، ويغذيهم عليه بشكل مباشر أو غير مباشر.

أنتبهوا، وتوخوا الغاية في الإحتياط!..

وينحصر احتياطكم أيضاً في ألا تتجاوزوا اليقين، بل على الكبار اليوم أن يكونوا كذلك أيضاً.. عليهم أن يسعوا غاية السعي في منعهم من أن يدخلوا غير اليقين ضمن يقينياتنا، ولا يسكبوا الماء في حليتنا فيفسدوه. لو نطق شخص ما بألف كلمة حق، فلتأمل

هذه الألف كلمة جيداً ونأخذها منه، ثم لتأمل بعدها هل الكلمة الواحدة بعد الألف، صحيحة أيضاً؟.. أم أنها ظن لا يقين. كل كلمة تسمعونها، من أيّاً كان، فليكن سعيكم معرفة هل هي صحيحة وتامة ومتطابقة مع العقل والدين، أم لا؟..

واعلموا بأن الله تعالى مطلع علينا في خلواتنا، كما أنه مطلع علينا عندما نكون مع الناس، سواء تكلمنا أم كنا ساكتين. بمجرد أن يعلم المرء بأن صاحب هذا البيت وصاحب هذا العالم مطلع على كل فرد، في جميع أفعاله وتروكه، وفي كل نواياه، في كل ما نواه وينويه فيما بعد أيضاً.. بل إنه يكتب نية الخير ويترك نية الشر قبل تحققه رجاء ألا يتحقق، وإذا تحقق الشر أيضاً فإنه يصبر مدة، ليرى هل تاب هذا الشخص أم لا؟ رجع عن ذلك أم لا؟ فبمجرد أن يعلم بذلك فقد أنتهى الأمر. والمقصود أنه بمجرد أن يعلم الإنسان أن الله تعالى يعلم بكل شيء ينتهي الأمر، فلا يؤخر الإقدام، فإنه بذلك يدرك كل شيء إلى الأخير: ماذا عليه أن يفعل أو يترك؟.. ما الذي ينفعه، وما الذي يضره، فالله تعالى يرى كل شيء.. أفهل بمقدورنا أن نتنازع مع بعضنا حال كوننا جلوساً على سفرته.. فنتنازع مثلاً على الأطعمة، ونتسابق على النيل منها، ونتعارك على ذلك؟.. كل الحروب التي قامت بها هذه الحكومات هي من هذا القبيل.. فإنهم قد جلسوا على سفرة الكريم، وهو تعالى يرى كل شيء أيضاً. والأوامر المطلوبة معلومة، وما الذي يرضي الله عزَّ

وجلّ أو يسوؤه: إنه لا يرضى بالأذى بغير الحق، ويجب الإحسان بالحق في محله.. فمع أنه تعالى يعلم بكل هذه الأمور، ونحن أيضاً نعلم أنه أمر بها، وهو يعلم بها ويراهما، فهل ترانا نقوم بهذه الأعمال؟.. إن ألدنا لا يرتكب أي شكل من أشكال المعصية أمام أي فرد عادي من البشر، وقد يكون المرتكب أقوى من المشاهد، فلا يملك المشاهد فعل شيء تجاهه، لكن المرتكب مع هذا يرتدع مخافة أن تسوء نظرة الرائي له، أو يسوء أمره معه، ولربما واتته الفرصة فصفى حسابه معه..

لكن الأمر مع الله تعالى يختلف، فهو قادر وعالم، وقد أصدر أوامره أيضاً، ويعلم من منّا يعرف، ومن منا لا يعرف، فهو يعلم بكل ذلك أفهل بإمكاننا أن نخفي الأمر عليه؟.. أو أن نظهره دون أن نبالي، معولين بأنه عاجز عن فعل شيء تجاهنا؟.. فهل الأمر كذلك؟.. هل هناك أي فائدة لنا في ذلك، وهل يمكننا إخفاء شيء؟.. قد تصل الشقاوة بالإنسان أو المكلف إلى حد كأنه لم تطرق هذه الأمور سمعه: من أن لنا إلهاً بصيراً سميعاً عالماً قادراً رحيماً وكرهياً. قادر على الإثابة على مقدار رأس الإبرة، فيما لو صرف في سبيله..

فهذا هو ربنا ثم أفاد في تنمة حديثه: على هذا انظروا مدى غفلتنا، كم قد ظلمنا أنفسنا بأن جعلنا الواضحات تحت أقدامنا.. فهذا هو الأمر، وهو دائر هذا المدار.. وتلخيصه: إذا لم نضع

معلوماتنا تحت أقدامنا، ولم نطبق مجهولاتنا عملياً، فقد أنتهى الأمر، أي تحقق المطلوب. يجب ألا توضع المعلومات تحت الأقدام، فهذا يوجب الندم.. إذا عمل الإنسان بمعلوماته، فقد أستبصر وتنور، ولا توقف في الأمر بعد. فإذا رأى أنه قد توقف مع هذا، فليعلم علم اليقين أنه قد داس بقدمه على بعض معلوماته، وأنه قد علق في حذائه حصاة، لم يدقق كما ينبغي في إنتزاعها: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»<sup>(١)</sup> قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ «من عمل بما علم كُفي ما لم يعلم»<sup>(٣)</sup> ليس بمقدور أحد أن يقول أني لا أعلم شيئاً، فهذا كذب.. فكل شخص ثمة غير المعصوم يعلم أموراً ويجهل أخرى، ولو عمل بتلك الأمور التي يعرفها، لأدرك التي لا يعلمها.

اعملوا بما تعلمون، وتوقفوا واحتاطوا منذ الآن فيما تجهلون إلى أن يتضح.. وعندما تعملون بذلك أي المعلوم يتضح المجهول، فنفس السبب الذي جعل تلك الأمور المعلومّة تتضح لكم، سيوضح لكم تلك الأمور الأخرى المجهولة وعليه فانظروا لأي شيء نتوقف.. ما تعلمه إعمل به!.. وما تجهله احتط فيه!.. فلم

(١) بحار الأنوار، ج ٧٨ ص ١٨٩ - المجلسي.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٩٩.

(٣) ثواب الأعمال ١٣٤.



تندم أبداً. زاد الله في توفيقات الجميع. ومنَّ على الجميع إن شاء تعالى بالسلامة المطلقة الروحية والجسمية. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته<sup>(١)</sup>.

## 👉 الوصية الثالثة:

### الموعظة والصلاة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله سادة الأوصياء الطاهرين، وعلى جميع العترة المعصومين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين. هناك جماعة من الناس يطلبون الموعظة والنصيحة، فإن كان مقصودهم أن نتكلم ويسمعون، ثم يتكرر منا ومنهم ذلك (كلامنا واستماعهم) مرة أخرى في وقت آخر، فإني عاجز عن ذلك، وهذا لا يخفى على المطلعين..

أما إذا قالوا بأنهم يريدون كلمة تكون أم الكلمات، وكافية لسعادة الدارين، فالله تعالى قادر على أن يكشف عنها، ويوصلها لكم من بيان العبد الفقير. وعليه فنقول: إن الغرض من الخلق هو العبودية تَدْبُرُ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴿١﴾ وحقيقة العبودية ترك

(١) وصايا عرفانية - آية الله العظمى الشيخ محمد تقي بهجت قدس سره.

المعصية في الاعتقاد وهو عمل القلب، وفي عمل الجوارح.. وترك المعصية لا يتحقق بنحو يصير ملكة للشخص إلا بإدامة المراقبة، وذكر الله تعالى في كل حال وزمان ومكان، وفي الخلوات أو بين الناس..» ولا أقول سبحان الله والحمد لله الخ.

لكن ذكر الله عند حلاله وحرامه». إننا نحب إمام الزمان عجل الله تعالى له الفرج، لأنه أمير النحل، وجميع أمورنا تصل بواسطته، وقد نصبه النبي ﷺ لنا أميراً.. ونحن نحب النبي ﷺ، لأن الله جعله واسطة بيننا وبينه.. ونحب الله تعالى، لأنه منبع جميع الخيرات، ووجود الممكنات فيضه.. فإذا كنا نريد أنفسنا وكماها، علينا أن نكون محبين لله تعالى.. وإذا كنا محبين لله، فعلينا أن نكون محبين لوسائل الفيوضات من الأنبياء والأوصياء.. وإلا، فإما أننا لا نحب أنفسنا، أو لا نحب واهب العطايا، أو لا نحب وسائل الفيوضات.. فكيمياء السعادة إذن ذكر الله، وهو يحرك العضلات نحو موجبات السعادة المطلقة.. والتوسل بالوسائل إستفاضة من منبع الخيرات بواسطة وسائلها المقررة.. علينا الإهتمام بهدايتهم والسير بقيادتهم لتنال الفلاح. إنكم لن تحتاجوا بعد للتوضيح أكثر.. أضبطوا ما ذكر وأثبتوه في قلوبكم، وهو يوضح نفسه بنفسه.

إن قلت: لم لا تعمل أنت؟.. نقول: إذا تقرر أن نقول بأننا نعمل بكل ما نعلم به، فلربما لم نكن لتتصدى لهذا المقام والبيان.. لكن التكليف بذل النعمة لعلها توصل للمقصود» ما أخذ الله على العباد أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا ولا يخفى أن النصيحة العملية - لمن يتيسر له ذلك أرقى من النصائح القولية «كونوا دعاة إلى الله بغير ألسنتكم». وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا جميعاً عما يسخطه.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة على محمد وآله الطاهرين، واللعن على أعدائهم أجمعين<sup>(١)</sup>.

### 👉 الوصية الرابعة:

#### الإهتمام بالصلاة.

#### باسمه تعالى

أعلم أن كل شيء من عملك تبع لصلواتك.. عليكم بالمحافظة على الصلوات الخمس في أوائل أوقاتها، وبالإقبال بالكل إليه تعالى فيها.. وعندئذ لا تفوتكم السعادة إن شاء الله.. وفقنا الله وإياكم لمراضيه، وجنبنا سخطه بمحمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم

(١) محاضرة للشباب المسلم - مشهد ربيع الثاني ١٤٢٠ هـ. ق. الشيخ

أجمعين<sup>(١)</sup>.

## الموعظة الخامسة:

سعادة الدنيا والآخرة.

باسمه تعالى

علينا أن نعلم صغاراً وكباراً بأن الطريق الوحيد لتحقيق سعادة الدنيا والآخرة، هو العبودية لله عزَّ وجل، وهي تتحقق بترك المعصية في العقيدة والعمل. لئن عملنا بما نعلمه، وتوقفنا واحتطنا فيما لا نعلمه، إلى أن نحصل العلم به، فلن نكون في معرض الندم والخسران أبداً.. ولئن تحقق هذا العزم في العبد بشكل ثابت وراسخ، فسيكون الله تعالى أولى بتوفيقه وإعانتة و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والصلاة على محمد وآله الطاهرين، واللعن على أعدائهم أجمعين<sup>(٢)</sup>.

(١) وصايا عرفانية - آية الله العظمى الشيخ محمد تقي بهجت قدس سره

(٢) مواعظ وحكم شيخ العارفين - الشيخ بهجت قدس سره .

## الموعظة السادسة:

من كان الله جلسيه لا يحتاج لموعظة.

باسمه تعالى

«قلت: ألف. قال: ثم مه. قلت: لا شيء.. فلو كان في البيت من أحد ثمة لكفاه حرف واحد» (ترجمة لبيت شعر فارسي: كفتم كه: ألف. كفت: دكر؟.. كفتم: هييج. دز خانه اكز كس است، يك حرف بس است).. قلت مراراً، وأكرر الآن إن من يعلم: «بأن كل من يذكر الله تعالى فالله جلسيه، لا يحتاج إلى أية موعظة، إذ أنه يعلم ما الذي يجب فعله أو تركه، ويعلم أن عليه أن يأتي بما يعلمه ويحتاج فيها لا يعلمه»<sup>(١)</sup>.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) مواظب وحكم شيخ العارفين - الشيخ بهجت قدس سره.

## الموعظة السابعة:

### الموعظة أعم من الكليات والجزئيات.

#### باسمه تعالى

الحمد لله وحده، والصلاة على سيد أنبيائه وعلى آله الطيبين، واللعن على أعدائهم أجمعين. لقد طلب جماعة من المؤمنين والمؤمنات النصيحة، وطلبهم هذا يرد عليه إشكالات منها: إن النصيحة تكون في الجزئيات، والموعظة أعم من الكليات والجزئيات.. ولا تكون النصيحة ممن لا يملك المعرفة لمثله. اعملوا بما تعلمون واحتاطوا فيما لا تعلمون إلى أن يتضح أمره.. فإن لم يتضح فاعلموا أنكم قد أهملتم بعض ما تعلمون.. وطلب الموعظة من غير العامل محل اعتراض.. ومن المقطوع به أنكم قد سمعتم بعض المواعظ، وتعلمتموها ولم تعملوا بها، وإلا لكنتم على بصيرة ووضوح من الأمر.

الجميع يعلمون أن عليهم أخذ الرسالة العملية، وقراءتها وفهمها، والعمل طبقها، وتشخيص الحلال والحرام بواسطتها.. وكذلك الأمر بالنسبة للمدارك الشرعية إن كانوا من أهل الإستنباط.. إذن لا يمكنهم القول: «إننا لا نعلم ما يجب علينا فعله أو تركه».

أنظروا إلى أعمال من لديكم اعتقاد حسن ظن بهم، فما يأتون به عن اختيار فعليكم بإتيانه، وما يتركونه عن اختيار فعليكم بتركه.. وهذا من أفضل السبل للوصول الى المقاصد العالية: قال صادق آل البيت: «كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم»<sup>(١)</sup>.

والمواعظ العملية أرقى وأشد تأثيراً من المواعظ القولية.

من الأمور الواضحة أن قراءة القرآن في كل يوم، والأدعية المناسبة للأوقات والأمكنة، في التعقيبات وغيرها، وكثرة التردد إلى المساجد والمشاهد المشرفة، وزيارة العلماء والصلحاء ومجالستهم، مما يرضاه الله ورسوله ﷺ.. كما يجب مراقبة البصيرة، والأنس بالعبادة والتلاوة والآيات يوماً بيوم وعلى العكس من ذلك، فإن كثرة مجالسة أهل الغفلة تزيد من قساوة القلب وظلمته، ومن النفور من العبادات والزيارات، ولذا نجد أن الأحوال الحسنة الحاصلة من العبادات والزيارات وأنحاء التلاوة، تتبدل بسبب مجالسة ضعفاء الإيمان إلى سوء الحال والنقصان.. فمجالسة ضعفاء الإيمان إذن في غير صورة الإضرار، أو من دون قصد هدايتهم، تسبب فقدان الملكات الحسنة للمرء، بل إنه يكتسب أخلاقهم الفاسدة: «جالسوا من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله»<sup>(٢)</sup>.

(١) أصول الكافي: ج ٩ ص ٧٧ / ٢.

(٢) أصول الكافي: ج ٣٩ / ١ ص ٣.

من الواضحات أن ترك المعصية في الاعتقاد والعمل يغني عن غيره.. فغيره يحتاجه، بينما هو لا يحتاج إلى غيره، بل هو مولد للحسنات ودافع للسيئات، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) (١).

ويظن البعض أنهم اجتازوا مرحلة ترك المعصية، غافلين عن أن المعصية لا تختص بالكبائر المعروفة، بل الإصرار على الصغائر أيضاً كبيرة.. والنظرة الحادة مثلاً إلى المطيع لإخافته إيذاء محرم، كما أن الإبتسام للعاصي لتشجيعه إعانة على المعصية ومحاسن الأخلاق الشرعية ومفاسدها، قد تم بيانها في الكتب والرسائل العملية. وإن الإبتعاد عن العلماء والصلحاء، يمنح سارقي الدين الفرصة، لتضييع الإيمان وأهله بأهون السبل وأرخصها، وأبعدها عن الخير والبركة.. وكل هذا مجرب ومشاهد.

نسأل الله تعالى أن يجعل هديتنا في العيد (عيدتنا) في أعياد الإسلام الشريفة، التوفيق للعزم الراسخ الثابت الدائم على ترك المعصية، فإنه مفتاح سعادة الدنيا والآخرة، إلى أن يصبح ترك المعصية ملكة، والمعصية بالنسبة لصاحب الملكة بمنزلة شرب السم للعطشان، أو أكل الميتة للجائع. وبالطبع، فلو كان هذا الطريق صعباً إلى آخره، ولا ينتهي بالسهولة والرغبة، لما وقع مورداً للتكليف والترغيب، والحث من قبل الخالق القادر الرحيم وما توفيقني إلا بالله، عليه

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.



توكلت وإليه أنيب، والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة على محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

## الموعظة الثامنة:

### نهج الفلاح.

#### باسمه تعالى

إن من يتيقن ويعتقد بالخالق والمخلوق، ويرتبط ويعتقد بجميع الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم، ولديه توسل اعتقادي وعملي بهم، وينبعث في حركاته وسكناته وفق توجيهاتهم، ويخلي قلبه في العبادات عما سوى الله، ويأتي بالصلاة والتي هي الأساس، وكل شيء تابع لها - فارغ القلب، ويتبع في المشكوكات إمام العصر عجل الله له الفرج: أي يخالف كل من يراه الإمام مخالفاً له، ويوافق من يراه الإمام موافقاً له، ويلعن من يلعنه الإمام، ويترحم على من يترحم عليه الإمام، ولو على سبيل الإجمال إن شخصاً كهذا لن يفتقد أي كمال، ولن ينال أي وزر أو وبال. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الموعظة التاسعة:

الذكر والمراقبة.

باسمه تعالى

ليس هناك ذكر أرقى من «الذكر العملي»، ولا ذكر عملي أرقى من «ترك المعصية في الأمور الإعتقادية والعملية». والظاهر أن ترك المعصية بقول مطلق لا يتم من دون «المراقبة الدائمة». والحمد لله والله الموفق.

## الموعظة العاشرة:

العلم والعمل.

باسمه تعالى

ثمة جماعة يتعاملون مع الوعظ والخطابة والإرشاد والتي هي مقدمة للأمور العملية المناسبة معاملة ذي المقدمة.. وكأن المطلوب أن «يتكلموا ويستمعوا لمجرد أن يتكلموا ويسمعوا» وهذا إشتباه، إن التعليم والتعلم إنما يكون مناسباً لأجل العمل، ولا استقلالية لهما.. وقد قالوا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لإفادة هذا المطلب والحث عليه: «كونوا دعاة إلى الله بغير ألسنتكم».. تكلموا من خلال العمل، وتعلموا من العمل، وليكن سماعكم بالعمل.

يريد البعض أن يعلم المعلم.. بل ويطلب منه حتى أن يأخذ كيفية التعليم من المتعلمين، يطلب البعض منا الدعاء، فنسأل لأي شيء؟.. فيبينون العلة، فنشرح لهم الدواء، وبدلاً من أداء الشكر واستعماله، يقولون ثانية: «ادعوا لنا».. وبعيداً عما نقوله وما يريدون، فإنهم يخلطون شرطية الدعاء مع نفسيته. مراده حفظه الله أن الدعاء إذا كان يطلب كمقدمة وشرط لتحصيل حاجة معينة وحل تلك المشكلة بواسطته، فعندما يد لهم على دواء دائهم وحل مشكلتهم، فلا يعود هناك حاجة لطلب الدعاء لهم مرة أخرى، إلا إذا كان دعاؤه لهم مطلوباً لنفسه وذاته، لا لتحقيق تلك الحاجة، فطلبهم أن يدعوا لهم ثانية يعني أنهم في هذه الحال قد تعاملوا مع الدعاء على أنه مطلوب لنفسه، لا كمقدمة وشرط للحاجة التي يريدون، وهذا خلط بين المقامين.

إننا لا نخرج عن عهدة التكليف، بل علينا تحصيل النتيجة بواسطة العمل، ومن المحال أن يكون العمل بلا نتيجة، أو تحصل النتيجة من غير العمل.. ليس الأمر كذلك: «كانت إقامة المجلس لحاجة ومصلحة، فلم ينل منها إلا الجلوس والحديث والقيام»<sup>(١)</sup> جعلنا الله من أهل العمل، لا مجرد قوالين من أهل الكلام.. فلا نقدم على حركة عملية من دون علم ولا نتوقف مع العلم. لنقم

(١) ترجمة شعر بالفارسية نصه: بي مصلحتي مجلس آراستند نشند وكفتند وبرخاستند

بأداء ما نعرفه، ولنتوقف ونحتاط فيما لا نعرفه، إلى أن يحصل لنا العلم به، ومن المقطوع به أنه لا ندم في هذا النهج لا ينظر بعضنا إلى البعض الآخر، بل ليكن نظرنا إلى دفتر الشرع، ولنجعل أعمالنا وتروكنا مطابقة له<sup>(١)</sup>. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

### الموعظة الحادية عشر:

الموعظة بالعمل واللسان.

باسمه تعالى

لنسأل السادة الذين يطلبون الموعظة: هل عملتم بالمواعظ التي سمعتموها إلى الآن، أم لا؟..

هل تعلمون أن من عمل بما يعلم علمه الله ما لا يعلم؟.. هل من اللائق توقع زيادة المعلومات، مع كونكم تركتم العمل بما تعلمون باختياركم؟.. وهل يفترض أن تكون الدعوة إلى الحق بواسطة اللسان؟.. ألم يقولوا ﷺ [بما مضمونه]: «كونوا دعاة للحق بأعمالكم»؟.. هل علينا تعليم طريق التعليم أم تعلمه؟.. أفلا يتضح جواب هذه الأسئلة من القرآن الكريم حين يقول: تَدْعُوا الَّذِينَ جَاهَدُوا فِيْنَا لِهَدْيَتِهِمْ سُبُلَنَا ﴿١﴾.

(١) سورة العنكبوت الآية ٩٩

مَنْ اللهُ عَلَيْنَا بِالتَّوْفِيقِ لَعَدَمِ تَرْكِ وَإِهْمَالِ مَا نَعْلَمُ، وَلِلتَّوَقُّفِ  
وَالِإِحْتِيَاطِ فِيهَا نَجْهَلُ إِلَى أَنْ يَعْلَمَ وَلَا نَكُونُ مِمَّنْ قِيلَ فِيهِمْ:  
«أَقَامُوا الْمَجَالِسَ لِحَاجَةٍ وَمَصْلَحَةٍ، فَلَمْ يَنْلَهُمْ إِلَّا الْجُلُوسَ وَالْكَلامَ  
وَالْقِيَامَ»<sup>(١)</sup> وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ. وَالسَّلَامُ  
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

### الموعظة الثانية عشر:

طريق رضا الله.

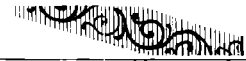
باسمه تعالى

كلنا نعلم بأن رضا الله جلَّ جلاله مع أنه غني بالذات، ولا  
يحتاج إلى إيمان العباد ولوازم إيمانهم هو في أن يكون العباد دوماً في  
مقام التقرب إليه.

فنحن نعلم إذن أن الله تعالى إنما يجب ذكره واستمرار ذكره،  
لأجل حاجة عباده إلى التقرب إلى مبدأ الألفاظ، وإدامة هذا  
التقرب.

---

(١) ترجمة لشعر بالفارسية - من محاضرة للشيخ بهجت رحمته مدينة مشهد  
المقدسة - ربيع الأول ١٤١٧ هـ. ق.



فنحن نعلم إذن بأن انتفاعنا من التقرب إليه، سيكون بدرجة اشتغالنا بذكره.. وبمقدار ما نسعى في طاعته وخدمته، ننال درجة مناسبة من التقرب والانتفاع بقربه.. والفرق بيننا وبين سلمان إنما هو في درجة طاعته وذكره له تعالى، اللذين يؤثران في درجة قربنا منه سبحانه وإن ما نعلمه، هو أن ثمة أعمالاً ستقع محل ابتلائنا في الدنيا، فعلينا أن نعلم أن ما كان منها محل رضا الله عزَّ وجلَّ، فسُيُعد خدمة وعبادة وطاعة له أيضاً فعلينا أن نعرف إذن، أن هدفنا يجب أن يكون في لزوم صرف العمر كله في ذكر الله وطاعته وعبادته، إلى أن نصل إلى آخر درجة في التقرب ونملك الاستعداد والقابلية لها.. وإلا فعندما نرى وصول البعض إلى المقامات العالية، وتحلفنا عن ذلك من دون علة، سنكون من النادمين. وفقنا الله لترك الاشتغال بغير رضاه بمحمد وآله صلوات الله عليهم أجمعين<sup>(١)</sup>.

(١) محاضرة في مدينة مشهد المقدسة. ربيع الأول ١٤١٧ هـ. ق.

## الموعظة الثالثة عشر:

أركان السير إلى الله.

باسمه تعالى

الحمد لله وحده، والصلاة على سيد الأنبياء محمد وآله سادة الأوصياء الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم من الأولين والآخرين. وبعد، فلا يخفى على أولي الألباب، بأن أساس ودستور الحركة في المخلوقات، هو معرفة المحرك الذي تحتاج إليه الحركة، ومعرفة ما منه الحركة وما إليه الحركة، وما له الحركة.. أي البداية والنهاية والغرض.. حيث أن الممكنات في حالة حركة مستمرة آناً فآن بإتجاه المقصد. والفرق بين العالم والجاهل، هو معرفة علاج الحوادث وعدم معرفة ذلك.. والتفاوت في منازلها في العاقبة بمقدار التفاوت في مراتب علمهما في البداية. فإذا عرفنا المحرك، واطلعنا على حسن تدبيره وحكمته من انتظام المتحركات، كان كل توجهنا وهمنا إرادته التكوينية والتشريعية.. فهنيئاً للعارف لأهل المعرفة، وإن كان أكثر الشهداء بذلاً وتضحية.. وتعباً للجاهل لغير العارف، حتى لو كان فرعون زمانه.

عاقبة هذه الحركات يقول الجاهل: (ليت أُمي لم تلدني) ويقول العالم: «ليتني سرت نحو المقصد سبعين مرة، ثم عدت وسرت ثانية، واستشهدت في سبيل الحق».. ولكيلا نعود من حياتنا بالندم أقول بصراحة: لو انقضى مثلاً نصف عمر أي شخص في ذكر المنعم الحقيقي، ونصفه الآخر في الغفلة، لاعتبر نصف عمره حياة له، والنصف الآخر موتاً، مع إختلاف عن الموت في الأضرار وعدم النفع.

أقول: الظاهر أن مراده حفظه الله أن نصف عمره الذي يقضى في الغفلة، وإن كان يعد موتاً، لكنه يزيد على الموت بأنه قد يجني منه الإنسان أضراراً ويخسر منافع.. بينما الموت مجرد عدم فوات الحياة، دون أضرار إضافية زائداً عن ذلك»<sup>(١)</sup>. إن من يملك المعرفة بالله، يصير مطيعاً له، ويكون شغله وارتباطه به تعالى، ويعمل بما يعلم بأنه موافق لرضاه، ويتوقف فيما لا يعلم إلى أن يعلم، ويسعى لتحصيل العلم بذلك آنأ فآن، لكي يعمل أو يتوقف..

فعلمه ناشيء عن الدليل، وتوقفه راجع لعدم وجود دليل. هل من الممكن لقافلتنا أن تصل إلى المقصد، عبر هذه العقبة المليئة بالخطر، من دون التسلح بطاعة الله القادر؟.. هل من الممكن أن يكون وجودنا من الخالق تعالى، وقوتنا من غيره؟.. فلا قوة نافعة باقية إذن إلا لأهل الله، ولا ضعف إلا لغيرهم.

(١) كتابات عرفانية - المؤلف الشيخ العاملي.



والآن إذا صرنا من أصحاب اليقين في هذه المرحلة، فعلينا لأجل ترجمة هذه الصفات والأحوال عملياً، أن نعلم أن هذه الحركة المتحققة من أولها إلى آخرها مخالفة لمحرك الدواعي الباطلة.. ويكفي في سعادة الاتصال برضا المبدأ الأعلى، أن لا نعتني بها. أقول: (أي الدواعي الباطلة فلا تتحرك تبعاً لها وانبعثاً منها)<sup>(١)</sup>. ونهملها: «أفضل زاد الراحل إليك عزم الإرادة»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة على محمد وآله الطاهرين،  
واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

---

(١) كتابات عرفانية - المؤلف الشيخ العاملي.

(٢) من دعاء يوم المبعث.



## الأسئلة والمراجعات

هذه جملة في الأسئلة وجهت للشيخ رحمته من قبل بعض طلابه والمراجعين، وقد أعتدنا ترتيبها ضمن عناوين مع المحافظة على المتن في السؤال والجواب:

### ✎ علاج العشق المجازي.

❁ سؤال رقم ١: منذ مدة وأنا أسير في حب شخص، وقد أفلت الزمام من يدي، فما العمل؟..

✎ جواب رقم ١: إن العاقل إنما يحب الأكمل والأجمل والأنفع والأدوم، ويرجع محبته على محبة غيره، هذا بالإضافة إلى أن محبة

الأكمل تدفع الشرور والبليات، بخلاف محبة غيره.

### 👉 الصلاة والواجبات.

❁ سؤال رقم ٢: نرجو أن تبينوا لنا جملة مختصرة [نافعة] وبليغة حول الصلاة، لتكون نصب أعيننا.

👉 جواب رقم ٢: من البيانات العالية في فضيلة الصلاة يقع في المرتبة العليا، الكلام المعروف عن المعصوم : «الصلاة معراج المؤمن» وقد ذكره عليه السلام للذين يمتلكون اليقين بصدق في هذا البيان، ويستمرون في طلب المقام العالي، ولم يتجاوزوا اليقنيات.

❁ سؤال رقم ٣: ما الذي نفعه لكي نؤدي الواجبات الإلهية وخاصة الصلاة بخشوع؟..

👉 جواب رقم ٣: التوسل الحقيقي بإمام الزمان عجل الله تعالى فرجه في أول الصلاة من أجل تأدية العمل بالتمام [والكمال] المطلق.

❁ سؤال رقم ٤: ما الذي يجب أن نفعله لتحصيل حضور القلب وتركيز الذهن في الصلاة؟..

👉 جواب رقم ٤: بسمه تعالى: في اللحظة التي تلتفت فيها لا تنصرف وتشرذم بذهنك باختيارك.

## 👉 معرفة الله وأوليائه.

❖ سؤال رقم ٥: أرجو معذراً أن تفضلوا ببيان أنه كيف يمكن الاستئناس بشكل أفضل [بدرجة أكبر] بالله والأئمة الأطهار عليهم السلام؟..

👉 جواب رقم ٥: بإطاعة الله والرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام، وترك المعصية في الاعتقاد والعمل.

❖ سؤال رقم ٦: ما هو الطريق في معرفة الله؟.. تفضلوا ببيان ذلك إذا أمكن.

👉 جواب رقم ٦: طريق معرفة الله معرفة النفس، فنحن نعرف بأننا لم نصنع نخلق أنفسنا، ولا يمكننا ذلك، والآخرين إن كانوا مثلنا فهم لم يخلقوا أنفسهم كما لم يخلقونا نحن أيضاً، ولا يمكنهم ذلك.. فالذي خلقنا إذن قادر مطلق وهو الله.. وطريق قربه «شكر المنعم» من خلال طاعته، والمشقة في ذلك إنما تقع ابتداءً، ولا يمضي الكثير حتى يصبح [الأمر] لطالبي قربه أحلى من كل حلاوة.

❖ سؤال رقم ٧: كيف نقوي العلاقة مع أهل البيت عليهم السلام وبالخصوص مع صاحب العصر؟..

👉 جواب رقم ٧: طاعة الله بعد معرفته، توجب حبه تعالى، وحب من يحبه من الأنبياء والأوصياء الذين أحبهم إليه محمد

وآله، وأقربهم منا صاحب الأمر عجل الله فرجه.

### ✍️ علاج بعض الرذائل.

❁ سؤال رقم ٨: ما الذي يجب فعله للإبتعاد عن الرياء؟..

✍️ جواب رقم ٨: الإكثار من الحوقلة «لا حول ولا قوة إلا بالله» مع الاعتقاد بها بشكل كامل.

❁ سؤال رقم ٩: ما الذي نفعه لمعالجة الغضب وتوتر الأعصاب؟..

✍️ جواب رقم ٩: الإكثار من الصلوات «اللهم صل على محمد وآل محمد» مع الاعتقاد الكامل بها.

### ✍️ طريق التقوى.

❁ سؤال رقم ١٠: بعض الطلبة سألنا عن علاج «الرياء» و«العجب» و«الكبر» و«السمعة» و«الشهوة» وغير ذلك، فما رأيكم الشريف؟.

✍️ جواب رقم ١٠: كل هذه الرذائل ناشئة من الضعف في معرفة الله، يرفعها ويدفعها الإستيناس بآنس الأنسين تعالى في العبادة.. لو عرف انه تعالى أحسن من كل حسن في جميع الأحوال والأزمة، لما انصرف عن الإستيناس به سبحانه.

❖ سؤال رقم ١١: ما هو العمل الذي يمكننا القيام به - غير التدريس والاهتمام بكتاب الله عزَّ وجلَّ وتفسير أهل البيت: بحيث نتمكن به من التقوي على التقوى والارتقاء في السير على الله تعالى؟..

☞ جواب رقم ١١: العزم الثابت الدائم على ترك المعصية في الاعتقاد والعمل.

### 👉 الأخلاق وتهذيب النفس.

❖ سؤال رقم ١٢: بعض الطلاب في لبنان، يرجعون إلينا ويطلبون الموعدة والإرشاد إلى المسائل الأخلاقية ويسألون عن طريق تهذيب النفس، لذا نستدعي منكم أن ترشدونا في ذلك الأمر المهم جداً.

☞ جواب رقم ١٢: من أعظم ما ينفع في هذا الأمر، أن تُذكر كل يوم من يحضر معك، رواية واحدة من روايات الأخلاق الشرعية في جهاد النفس الواردة في كتاب «الوسائل» وفي باب آداب العشرة من كتاب الحج في «الوسائل» مع التدبر والتأمل والبناء على العمل بالمعلوم.



## 👉 نفي الخواطر.

☀ سؤال رقم ١٣: ماذا نعمل لنفي الخواطر؟..

👉 جواب رقم ١٣: من عرفه تعالى واستأنس به يقال له: «انصرف لضرورياتك» ولا يقال له «انصرف إليه عن حوائجك» ويقال أيضاً «لماذا لا تفارقه» «لو علم المصلي ما يغشاه من جلال الله ما انفتل عن صلواته».

## 👉 الزهد.

☀ سؤال رقم ١٤: ما هو الزهد الحقيقي، وكيف نعمل به؟..

👉 جواب رقم ١٤: «الزهد» أن تملك نفسك، وتراقب إذن الله تعالى في كل فعل وترك.

## 👉 الذكر العملي.

☀ سؤال رقم ١٥: ما هو أفضل ذكر؟..

👉 جواب رقم ١٥: أرقى ذكر بنظر العبد الحقير هو «الذكر العملي» أي «ترك المعصية في الإعتقاد والعمل».. فكل شيء يحتاج إلى هذا، بينما هو لا يحتاج إلى شيء.. وهو مولد الخيرات.



### ✍ علاج الغرور.

❖ سؤال رقم ١٦: ما هو السبيل الذي توصون به لعلاج الغرور؟..

✍ جواب رقم ١٦: إكثار الحوقلة لا حول ولا قوة إلا بالله علاج الغرور.

### ✍ داء الوسواس.

❖ سؤال رقم ١٧: إني مبتلى بالوسواس، تكرموا بإرشادي لأجل رفعه؟..

✍ جواب رقم ١٧: إكثار التهليل [لا إله إلا الله] علاج الوسواس.

### ✍ علاج الفتور ونقض العزم.

❖ سؤال رقم ١٨: إني أتخذ قراراتي في المجالات الأخلاقية بواسطة النذر واليمين، لكن عزمي تفتت بعد مدة من الزمن، فأقوم بنقض ذلك، فما العمل؟..

✍ جواب رقم ١٨: إذا وجدت نفسك في حالة ذكر الله عزَّ وجلَّ لدقيقة واحدة، فلا تصرف نفسك عن ذلك باختيارك، ولا تبال بالانصراف والغفلة غير الإختياريين.



## 👉 السلوك إلى الله.

☀ سؤال رقم ١٩: إني مصمم على تحصيل القرب من الله والتوفير على السير والسلوك، فما السبيل لذلك؟..

📖 جواب رقم ١٩: إذا كان الطالب صادقاً فترك المعصية كافٍ ووافٍ للعمر كله، حتى لو كان ألف سنة.

☀ سؤال رقم ٢٠: هل لا بد في المسير إلى الله من وجود استاذ، ومع عدم وجوده ما العمل؟..

📖 جواب رقم ٢٠: أستاذك علمك، إعمل بما تعلم تكف ما لا تعلم.

☀ سؤال رقم ٢١: إني مصمم على نيل القرب الإلهي، تلتطفوا بإرشادي، أفلا يحتاج هذا الأمر إلى أستاذ؟..

📖 جواب رقم ٢١: الأستاذ هو العلم والمعلم مجرد واسطة.. إعمل بمعلوماتك، ولا تضع المعلومات تحت قدميك، فذلك كاف: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم» ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١١﴾. إذا رأيت أن الأمر لم يتحقق فاعلم أنك لم تعمل بذلك.. خصص ساعة في اليوم والليلية لأجل العلوم الدينية. والحمد لله رب العالمين.

## الفصل السادس

رسالة في فلسفة الأخلاق والمذاهب الأخلاقية

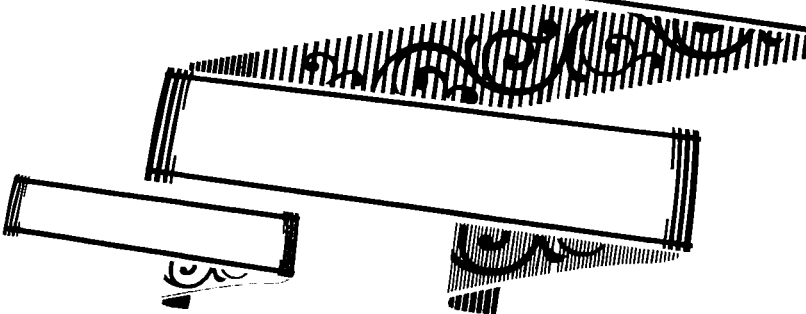
١ \_ رسالة في فلسفة الأخلاق.

٢ \_ ما هي فلسفة الأخلاق.


٣ \_ المذاهب الأخلاقية في الإسلام.

٤ \_ المذاهب الأخلاقية: مذهب الجمال.

٥ \_ المذاهب الأخلاقية: مذهب الاعتدال.







## رسالة في فلسفة الأخلاق والمذاهب الأخلاقية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يستوجب المزيد من إحسانه وفضله، والصلاة والسلام على نبيّه، محمّد الذي فتح الله له من كنوز غيبه، فارتوت أمّته من فيضه، وعلى آله كنوز أسرارهِ، وحملته شرعه، ومكارم أخلاقه.

أمّا بعد: فهذه رسالة موجزة في فلسفة الأخلاق نتطرق فيها إلى أهم المذاهب الأخلاقية، وقبل الخوض في الموضوع، لا بدّ من تعريف علم الأخلاق أولاً، ثمّ نعرّج إلى تعريف فلسفة الأخلاق ثانياً، فنقول:

**علم الأخلاق:** هو العلم الباحث عن الفضائل والرذائل الروحية التي يكتسبها الإنسان بإرادة واختيار، فهذه الصفات هي موضوع علم الأخلاق، والغاية منها هي تحلية النفس بالفضائل وتخليتها عن الرذائل. وأمّا السلوك العملي، فهو من آثار تلك الصفات من حسن وقبيح. نعم ربما يطلق علم الأخلاق ويراد منه مجموع ما يصدر من الإنسان في حياته الفردية أو الاجتماعية من الأفعال، الذي يعرب عن فضيلة أو رذيلة نفسانية.

### 👉 ما هي فلسفة الأخلاق؟

يمكن تعريف فلسفة الأخلاق بأحد أمرين على وجه مانعة الخلو:

١ - هو العلم الباحث عن المبادئ التصورية والتصديقية لهذا العلم، بمعنى أنّها توضح المفاهيم الواردة في ذلك العلم كما تسهل التصديق بالقضايا الأخلاقية المبحوثة في علم الأخلاق.

٢ - هو العلم الباحث عن مباني علم الأخلاق، وتبيين الأسس التي يبتني عليها ذلك العلم، فهل الأخلاق مبنية على الحسن والقبح العقليين، أو على مذهب الجمال، أو الاعتدال، أو اللذة، أو غير ذلك؟ فما لم يكن للعالم الأخلاقي موقف حاسم حيال تلك المباني، لا يتيسر له عرض مذهب أخلاقي جامع.

## المذاهب الأخلاقية:

١ - المذهب الأخلاقي في الإسلام.

أنّ الانسان بفطرته يميّز بين الفضائل والرذائل، وأنّ منشأ الأخلاق عبارة عن الانصياع لقضاء الفطرة بالتحلي أو بالتخلي، وأنّ هناك أموراً يدرك العقل العملي حسنها وجمالها فيبعث إلى تحصيلها، كما أنّ ثمة أموراً يدرك قبحها فيزجر عن فعلها، وهذا ما يعبر عنه بمذهب الفطرة. وثمة مذاهب تبنت أسساً أخرى للأخلاق.

٢ - مذهب الجمال.

٣ - مذهب الاعتدال.

٤ - مذهب اللذة.

٥ - المذهب الكلبي (العزوف عن لذائد الدنيا).

٦ - مذهب الحس الأخلاقي.

٧ - مذهب القوة.

## المذاهب الأخلاقية:

المذهب الأخلاقي في الإسلام قد احتدم النقاش في تمييز الفعل الأخلاقي عن غيره، وأسفر عن تأسيس مذاهب أخلاقية، سيأتي شرحها تباعاً. والذي نحن بصدد بيانه حالياً هو تبين موقف الإسلام في هذا المقام وأنّ الفعل الأخلاقي يندرج تحت أي مقولة من المقولات، وما هو سماته وخصوصياته؟ فيقع البحث في مقامين:

المقام الأوّل: في بيان المقولة التي تندرج تحتها الأخلاق.

وتوضيحه رهن بيان أمور:

أ - الأخلاق سلوك نابع من ذات الإنسان الأخلاق جمع الخلق، وهو يحكي عن أنّ الفعل الأخلاقي عبارة عن سلوك نابع من صميم الإنسان وذاته وعلى ذلك فالفعل الأخلاقي مظهر من مظاهر ما يكمن في وجود الإنسان، ويحكي عن حس باطني. فلو قام إنسان بمشاريع خيرية نتيجة ضغوط خارجية فلا يعد عمله هذا عملاً أخلاقياً، لأنّه لم ينبع من صميم ذاته أو من حس باطني، ولذلك تكون الأخلاق نحو سلوك حاكٍ عما يجيش في ضميره وكيانه. نعم هذا القيد، قيد لازم دون أن ينحصر به.



ب - أنواع قضايا الحكمة العملية قسّم الحكماء الإدراكات العقلية إلى نظرية وعملية، فالمراد من الأولى ما من شأنه أن يُعلم، والمراد من الثانية ما من شأنه أن يُعمل، ولكن الغاية من الأولى هي العلم، والغاية من الثانية هي العمل، فثمة قوة واحدة تدعى «العقل» وإنما الاختلاف في مدركاته.

ثم إنهم قسّموا قضايا الحكمة النظرية إلى بديهية ونظرية، لأنّه لو كانت عامة القضايا غير بديهية لما استطاع الإنسان أن يحل مجاهيله ومشاكله، فالقضايا البديهية مفاتيح لحل مبهمات القضايا النظرية.

وطبيعة الحال تقتضي أن تكون الحكمة العملية على ذلك الغرار، فقضاياها بين بديهية تقف على صحتها أو سقمها عقول الناس قاطبة من دون إمعان نظر، كقولنا: العدل حسن والظلم قبيح.

وغير بديهية تفك عُقدها من خلال البديهيّات، والدليل على ذلك التقسيم في قضايا الحكمة العملية هو نفس الدليل في تقسيم قضايا الحكمة النظرية.

ج - حسن الفعل وقبحه عند العقل إنّ العقل العملي يقسّم الأفعال إلى قسمين: بين حسن وجميل يطلب إيجاده، وقبيح ودميم يطلب تركه واجتنابه، هذا النمط من التقسيم نابع من صميم ذاته، فيميل إلى الأوّل لإحساس جمال في الفعل وحسن فيه، كما أنّه ينفر

عن الثاني لإحساس قبحة ودمامة طبعه. فإذا اتضحت تلك الأمور، فنقول: إنَّ القيم الأخلاقية من مقولة الجمال، فالفعل الجميل نابع عن الإحساس اللطيف، والروح الجميلة غير أنه ينبغي الوقوف على حقيقة الجمال قد صرح القدماء ان الجمال يدرك ولا يوصف، كما أن الملاحظة كذلك، ولكن يمكن لنا الوقوف على واقع الجمال من خلال إمعان النظر في الأمور الحسية الجميلة.

فالجمال الحسي رهن التوازن والتعادل بين أجزاء الموجود سواء أكان موجوداً عنصرياً أو نباتياً أو حيوانياً أو إنسانياً. فإذا كانت الأجزاء متناسبة ومتناسقة، كل جزء يحتل مكانه الخاص فهو جميل، هذا هو حال الجمال الحسي.

وأما الجمال المعنوي: فهو عبارة عن حسن الفعل النابع عن تعادل القوى وتوازن الاستعدادات. فإذا كان الإنسان متعادلاً في قواه، ومجتنباً عن الإفراط والتفريط في إعمالها، حينها تكون الروح مبدأً لصدور الأعمال الحسنة مثلاً: أن الشهوة والغضب وحب الجاه والمال من أركان الحياة ولولاها لما قام صرحها، شريطة أن يستغلها الإنسان بأسلوب معتدل. وعلى ضوء ذلك يُصبح الفعل الأخلاقي من مقولة الجمال. ومما يؤيد أن الأخلاق من مقولة الجمال هو أن الإسلام يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والمعروف ما عرفه الناس والمنكر ما أنكره الناس، وليس لعرفانهم وإنكارهم سبب سوى أن بعض الأفعال تتجلى في نظر الإنسان بصورة الحسن

والبعض الآخر بصورة القبيح. نعم هناك فرق بين الجمال الحسي والروحي.

فالجمال الحسي أمر خارج عن الاختيار، دون الجمال الروحي فإنه داخل في اختياره، فله أن يقوم بإقامة التوازن والانسجام في الميول النفسانية العلوية والسفلية، حينها تصبح الروح جميلة، والسلوك المنعكس منها مثلها، كما أنّ له أن يقوم بعكس ذلك، حينها تصبح الروح شريرة، والسلوك الصادر منها كذلك، ومع ذلك يمكن أن يقال أنّ الفعل الأخلاقي من مقولة العدالة بشرط أن تفسر العدالة بالتوازن والانسجام، إذا عرفت ذلك وأنّ الأخلاق تندرج في مقولة الجمال أو الاعتدال، فلنتناول المقام الثاني بالبحث.

المقام الثاني: سمات المذهب الأخلاقي في الإسلام وخصوصياته  
لقد ظهرت أنظمة أخلاقية متنوعة منذ العهد اليوناني القديم إلى عصرنا الراهن، ويرجع تاريخ تأسيسها في الغرب إلى عهد الثورة الصناعية والنهضة الثقافية التي حلت فيها التجربة مكان البرهان في الاستدلال على العلوم الطبيعية، وآل الأمر إلى ظهور فكرة تفكيك الدين عن السلطة، وبالتالي تفكيك الأخلاق عن الدين. ففي ظل هذه الظروف سادت أنظمة أخلاقية جديدة غير مبتنية على الدين معتمدة على ملاكات مختلفة، وسيوافيك بيانها في الفصل القادم بإذن الله.

والمهم هنا، هو بيان دعائم المذهب الأخلاقي في الإسلام وخصوصياته وسماته، وقبل الخوض في البحث لابد من طرح مسألة لها بالغ الأهمية في هذا الموضوع، وهو أنّ الأطروحات التي يقدمها أي نظام أخلاقي رهن الوقوف على حقيقة الإنسان، لأنّ القضايا الأخلاقية التي يتبنّاها فإنّها يطرحها لغاية جلب السعادة إلى الإنسان والمجتمع، وتلك الأمنية فرع معرفة ما يُسعد الإنسان عمّا يشقيه، فلولا تلك المعرفة لما نال المذهب الأخلاقي بغيته ثم إنّ الاختلاف الجوهرى بين المذاهب الأخلاقية يرجع إلى اختلاف الروى حيال الإنسان، فكان من المهم الإشارة إلى وجهة نظر الإسلام حول الإنسان. وقد قامت على عدة أسس نجملها بما يلي:

١ - الإنسان مركب من جسم وروح إنّ العالم المادي ينظر إلى الإنسان من خلال منظار ضيق، وأنّه موجود مادي منذ أن تشكلت نطفته في رحم أمّه حتى خروجه إلى هذا العالم الفسيح، وتكامله بالتدرّج من الصبا إلى البلوغ والكمال ثم الشيخوخة والهرم إلى أن توافيه المنية وينطفئ مصباح حياته، فهذه النظرة إلى الإنسان نظرة مادية صرفة، فلا يعلم من أين جاء؟ ولماذا جاء؟ وإلى أين ينتهي؟ فتجول تلك الأسئلة في ذهنه باطراد دون أن يجد لها حلولاً عند المادي. وفي المقابل، فإنّ الإلهي ينظر إلى الإنسان بما أنّه موجود مركب من مادة ومعنى، وجسم وروح، وبدن ونفس

إلى غير ذلك من التعبيرات المكررة التي تشير كل منها إلى زاوية من زوايا وجوده.

بل الحقّان يقال أنّ الإنسان واحد متكامل، بدل القول بالتركيب، فواقع الإنسان هو الروح التي تستخدم البدن لقضاء حاجاتها، حيث ترى بالعين، وتسمع بالأذن، ولكن الرائي والسامع الحقيقي هي الروح التي تستخدم هذه الأعضاء بغية إدراك الواقع الموضوعي، وقد أقام فلاسفة الإسلام براهين دامغة على تجرد النفس وليس في الوسع طرحها في هذا المختصر، وإنّما نشير في هذه العجالة إلى آيتين كريمتين، تشيران إلى تجرد الروح عن المادة.

أ - انه تبارك وتعالى يبين كيفية خلق الانسان على الوجه التالي: ويقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ (١).

وبعد ما ينتهي إلى تلك النقطة من خلق الإنسان، يغير لحن الكلام، نرى أنّه سبحانه يصف هذه المرحلة من خلقه الإنسان بخلق آخر، وكأنّه يختلف عما سبق من مراتب الخلق، وما هذا إلاّ لأجل وجود اختلاف جوهري بين تلك المرحلة، وما سبقتها من

(١) سورة المؤمنون: ١٢.

المراحل، وهو أنّ المراحل الآخر تصوّر الإنسان بأنّه موجود مادي أشبه بموجود حيّ له حركة طبيعية، ولكنّه بعد طيّه لتلك المراحل يصل إلى مرحلة تعلق الروح به وفي هذه المرحلة تتبدّل المادة إلى خلق آخر، وهذا إن دل على شيء فإنّها يدل على امتياز تلك المرحلة عن سائر المراحل وليس هو إلا تجرد روحه ونفسه.

ب - أنّه سبحانه يذكر في سورة السجدة شبهة منكري المعاد، وحاصل الشبهة: أنّ الموت سبب لتفسيخ أعضاء البدن واندثار رميمه في أطراف العالم وأكنافه، وهو يلازم انحلال شخصيته، ومعه كيف يمكن إعادته ولو بجمع أجزاء بدنه المبعثرة في أصقاع العالم، فإنّ اجتماع الأجزاء المتفرقة لا يعيد شخصيته الأولى، بل يُضفي عليه شخصية ثانية مع أنّها ليست المسوّلة عن أعمال الإنسان الذي انحلت شخصيته.

وهذه الشبهة هي التي نقلها الذكر الحكيم عن المشركين، قال: **تَشْتَرُوا وَقَالُوا إِذَا ظَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَنَا نَفِي خَلِقْ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١﴾** فهذه الآية تتضمن الشبهة والاجابة الاجمالية عنها، ولكن الجواب التفصيلي ورد في الآية التالية: **﴿ قُلْ يَنُوقِنُكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿١١﴾ ﴿٢﴾**.

(١) سورة السجدة: الآية ١٠.

(٢) سورة السجدة: الآية ١١.

وهذه الآية تزيل الشبهة بالبيان التالي، وهو: إن واقع الإنسان ليس هو البدن المتفرقة أجزاءه، بل واقعه أمر محفوظ، وهو الذي يأخذه ملك الموت ويُرجعه إلى ربه، وهو شيء لا يمسه الانحلال ولا التغيير ولا التبدل، فما يتبدل أو يتغير ليس هو واقع الإنسان، وما هو واقع الإنسان فهو في معزل عن التفرق والانحلال، ويتضح ذلك إذا كان معنى التوفي هو الأخذ، يقول سبحانه: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾<sup>(١)</sup>.

أي أن الله يأخذ الأنفس حين موتها، وفيما نحن فيه من الآية ينسب التوفي وأخذ الروح إلى ملك الموت، ولا تنافي بين النسبتين، لأن ملك الموت جند من جنود الله سبحانه، وأمور من قبله، والآية بصراحته تكشف عن أنموت البدن ليس موت الإنسان، بل الإنسان باق بعد الموت يتوفاه ملك الموت ويحتفظ به إلى قيام الساعة. إلى هنا تبين أن الروية الإسلامية حيال خلق الإنسان هو أنه كائن علوي روعي باق بعد الموت عبر القرون إلى يوم القيامة، وأن الحياة لا تنقطع بالموت، وإنما تمتد بنشأة أخرى وهي الحياة البرزخية، ثم الحياة الآخروية، فكما أن هناك عوامل تسعد الإنسان أو تشقيه في الدنيا، فهكذا الحال في الآخرة.

(١) سورة الزمر: الآية ٤٢.

وفي هذه النقطة بالذات يختلف المذهب الأخلاقي في الإسلام عن سائر المذاهب التي تحدّد الحياة في إطار مادي محدود، لا تتصور للسعادة معنى إلا السعادة الدنيوية، فتجعل محور الأخلاق هو الالتذاذ الفردي أو الانتفاع الجماعي، وأمّا المذهب الأخلاقي في الإسلام والذي يرى أنّ وراء الحياة الدنيا حياة أخروية، وهناك سعادة وشقاء، ينظر إلى الحياتين على حد سواء، ويبعث إلى ما يسعده في كلتا النشأتين، ويزجره عما يشقيه فيهما، وسيوافيك توضيحه في بعض الأصول الآتية:

٢ - الإنسان موجود مختار على الرغم من أنّ هناك فئة قليلة تصور الإنسان أنّه فاعل بالجبّر وإنّه فاقد للحرية والاختيار، إلا أنّ الأكثرية الساحقة تصوّره فاعلاً عالماً بفعله، ومختاراً بين الفعل والترك، وهذا غني عن اقامة برهان بعد شهادة الوجدان عليه.

وعلى ذلك نزل الذكر الحكيم: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ﴿٤٦﴾ (١).



ويقول في آية أُخرى مبيناً حرّيته واختياره: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ  
فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ (١).

ولقد صبّ العالم الكبير زين الدين العاملي المعروف بالشهيد الثاني رحمته مضمون الآية في قالب الشعر، وقال:

فقد جاء في القرآن آيةٌ حكمة

تدمرُ آياتِ الضلالِ ومن يُجبر

وتُخبر أنّ الإختيار بأيدينا

فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

نعم ربما يقع موضوع الحرية في إطار المغالطة، ويقال إنّ حرية الإنسان يحيط بها الغموض، لأنّه من جانب، حُلِقَ بلا مشية منه، كما أنّه خرج من رحم الأم إلى هذا العالم بلا ارادة منه، مضافاً إلى ذلك فإنّ شخصيته رهن مثلث الوراثة والثقافة والبيئة التي لكلّ منها تأثير في مصيره وتفكيره وما يختار من الأفعال ومن جانب آخر، يشهد الوجدان أنّه موجود حرّ يمكن أن يهشم إطار المثلث المذكور ويفعل على خلاف مقتضاه ولكن الحقّ هو الثاني، إذ ليس معنى حرية الإنسان أنّه موجود مختار في عامة ما يرجع إليه من نواحي حياته، فخلقته وخروجه إلى الدنيا وتأثره بالأضلاع الثلاثة، أمور

(١) سورة الكهف: الآية ٢٩.

خارجة عن اختياره دون أن تُخلَّ بحريته إذا كان تعيين المصير في المستقبل بيده. وعلى هذا، فالإنسان موجود مسوول عن أفعاله، لما رزق من إرادة واختيار في جوهر ذاته، ولأجل هذه النعمة عرض الإسلام نظاماً أخلاقياً ينسجم معها.

٣ - تعديل الغرائز خلق الإنسان مقروناً بغرائز علوية وسفلية، وفيه ميول متضادة، يطلب كل غير ما يطلبه الآخر، فهو موجود إلهي مثالي يميل إلى ما وراء الطبيعة والاتصال بمبدأ الوجود، كما يميل إلى العدل والصدق والوفاء وغير ذلك من الصفات العلوية التي تحكي عن فطرته، كما أنه له في الوقت نفسه ميول حيوانية جامحة كالشهوة والغضب وحب المال والثروة والأنانية، إلى غير ذلك من الأفعال الناشئة من الغرائز السفلية، وكل واحد من هذه الغرائز تشكل دعامة وجود الإنسان ومحور حقيقته، فلو فقد واحد منها لسقط النوع الإنساني في الهاوية، فالشهوة دعامة بقاء النوع، والغضب آلة دفاع الشر، إلى غير ذلك من الميول.

وقد قام الإسلام بتعديل الغرائز فلم يحصر اهتمامه بالغرائز العلوية دون السفلية، أو بالعكس، وإنما عدل بينهما، فالنكاح أمر حسن لكن في قالب العفة، والعبادة أمر حسن شريطة التجرد عن الرهبانية، وللإمام أمير المؤمنين الإمام علي كلام في خلق الإنسان من مواد مختلفة، نقل منه هذه الشذرات: «ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنساناً ذا أذهان يُجِيلُها، وفكر يتصرّفُ بها، وجوارح يُخْتَدِمُها،

وأدوات يُقَلَّبُها، ومعرفة يفرق بها بين الحقِّ والباطل والأذواق  
والمشامِّ، والألوان والأجناس، معجوناً بطينة الألوان المختلفة،  
والأشباه الموتلفة، والأضداد المتعادية، والأخلاق المتباينة، من  
الحرِّ والبرد، والبلَّة والجمود»<sup>(١)</sup>.

#### ٤ \_ ما هو ملاك القيم الأخلاقية؟

إنَّ الوقوف على ملاك القيم الأخلاقية رهن أمرين:

الأمر الأوَّل: معرفة الميول الباطنية في الإنسان إنَّ كلَّ إنسان يجد  
في صميم ذاته أنَّ له ميولاً خاصة نحو أمور، كالميل إلى إقامة العدل،  
والوفاء بالمواثيق، وإجابة الإحسان بالإحسان، وإغاثة الملهوفين،  
إلى غير ذلك من الميول النابعة من البعد الملكوتي للإنسان. كما  
أنَّه يحس من صميم ذاته الانزجار من الظلم، ونقض المواثيق إلى  
غير ذلك من المنكرات العقلية. والمعياري في تمييز الأخلاق عن  
اللاأخلاق هو مطابقة العمل لهذا النوع من الميول على نحو يصدر  
تلبية لهذه الميول الباطنية.

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١، صفة خلق آدم.

الأمر الثاني: السير على هدي الوحي إنَّ نور الفطرة والحس الباطني بحاجة إلى دعمهما بنور الوحي، إذ ربما تكون الفطرة والعقل الباطني عاجزين عن درك الحسن والقبح، فبما أنَّ نور الوحي نور لا ظلمة فيه، صواب لا خطأ فيه، فلا محيص عن اقتفائه فيما إذا لم يكن للعقل هناك حكم خاص.

وقد أمر الإسلام بالمعروف ونهى عن المنكر، وربما يعجز عن تشخيص المعروف من المنكر، فلا محيص له عن التمسك بأذيال الوحي، فالواجبات والمحرمات الشرعية من القيم الأخلاقية، التي قد يعرفها الإنسان بفطرته ونور عقله، وإلاَّ فيكون الوحي هو المتبع. وعلى ذلك فالضابطة التي طرحها الإسلام في مجال تمييز الأخلاق عن اللا أخلاق، أمران:

أ - الميول الباطنية.

ب: السير على نور الوحي وما يأمر به الشرع أو ينهاه.

٥ - العمل الصالح المقرون بنية خالصة إنَّ المذهب الأخلاقي في الإسلام يثمن العمل الحسن الناجم من نية صادقة، كما إذا صلى وصام تقرَّباً من الله سبحانه، أو قام بمشاريع خيرية قربة إلى الله وتلبية للعاطفة الإنسانية، فهذا النوع من العمل يعد من القيم الأخلاقية، فالعمل الحسن، هو النابع من نية صادقة لا يشوبها أي رياء. وأمَّا المذاهب الأخلاقية الأخرى فإنَّها هي تنظر إلى ظاهر العمل فحسب

دون أن تولي أهمية إلى الحوافز التي دفعت الإنسان نحو القيام به، فلو قام شخص بمشاريع خيرية لغاية كسب رصيد أكبر من آراء الناس في الانتخابات مثلاً أو في مجالات أخرى فهذا النوع من العمل بما أنه لم ينبع من نية صادقة، بل من أنانية استحوذت عليه للوصول إلى مآربه المادية، ليس له قيمة في الإسلام، وما ذلك إلا لأن العمل ثمرة النية، فلو كانت النية خالصة فالعمل حسن مهما كان ضئيلاً، وأما إذا كانت النية مشوبة بالرياء والسمعة فيحط من قيمة العمل مهما كان عظيماً، والآيات القرآنية تثبت هذا المدعى بوضوح نكتفي بأيتين: وردتا في عمارة المسجد الحرام.

كان المشركون في عصر الرسالة قائمين بتعمير المسجد الحرام لله تعالى، بل لأجل كسب الوجاهة عند القبائل العربية التي كانت تحج كل عام و تزور المسجد الحرام، فنزل الوحي الإلهي على قلب النبي ﷺ يبلغه بأنه ليس لهم أي حق في تعمير المسجد الحرام مع شركهم وكفرهم، وما ذلك إلا لأجل أن نيتهم كانت يعوزها الإخلاص في العمل.

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (١٧) ﴿١﴾.

(١) سورة التوبة: الآية ١٧.

وفي الوقت نفسه يرى سبحانه ذلك الحق للمخلصين من عباده الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنَءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ  
أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (١)

وهذا العنصر له أهمية بالغة في المذهب الأخلاقي في الإسلام دون أن تجد له أثراً يذكر في المذاهب الأخلاقية المادية الأخرى، ولم يكتب الإسلام بذلك، بل جعل النية الخالصة مكان العمل إذا لم يكن الناوي قادراً على القيام به روي أن علياً لما أظفره الله بأصحاب الجمل، قال له بعض أصحابه: «وددت أن أخي فلاناً كان شاهداً ليري ما نصرك الله به على أعدائك.

فقال له: أهوى أخيك (٢) معنا؟

فقال: نعم. قال: فقد شهدنا.

ولقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوام في أصلاب الرجال وأرحام النساء سيرعف (٣) بهم الزمان، ويقوى بهم الإيمان (٤).

(١) سورة التوبة الآية ١٨.

(٢) هوى أخيك أي ميله ومحبته - راجع لسان العرب.

(٣) يرعف بهم: يجود بهم.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٢.

إنَّ اهتمام الإسلام بتصفية الباطن من خلال الترغيب إلى النية الخالصة والابتعاد عن النية المشوبة، يعرب عن عناية الإسلام بموضوع النية، وما ذلك إلاَّ لأنَّها مصدر العمل وروحه، فالنيات الصالحة مصادر الخيرات كما أنَّ النيات الطالحة منابع الشرور.

قال أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام : «أيها الناس، إنَّما يجمع الناس الرضا والسخط، وإنَّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعَمَّهم الله بالعذاب لما عمَّوه بالرضا»<sup>(١)</sup>.

فقال تعالى: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : «الرَّاضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم، وعلى كلِّ داخل في باطل إثمَان: إثم العمل به، وإثم الرِّضا به»<sup>(٣)</sup>.

فالواجب على علماء التربية أن يولوا أهمية كبرى لهذا العنصر، وهو إصلاح الباطن وغرس بذور الايمان في قلوب الأجيال الذي من ثمراته النية الخالصة والعمل الصالح بغية إقامة مجتمع صالح وفاضل.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠١.

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٥٧.

(٣) نهج البلاغة: قسم الحكم، برقم ١٥٤.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَافُكُمْ بِهٖ ٱللَّهُ﴾ (١).

## ٦ - القيم الشمولية المطلقة:

إنَّ المطلق والنسبي اصطلاحان رائجان في العلوم والفلسفة الإسلامية، فلو كانت القضية صادقة في جميع الأزمنة والامكنة وفي جميع الشرائط والظروف، فهي قضية مطلقة، كما هو الحال في القضايا الرياضية، فقضية  $١ + ١ = ٢$ ، قضية مطلقة لا ترى أمامها أي رادع ومانع، والنسبي على العكس.

فإذا كانت القضية صادقة في ظروف خاصة، فالقضية صادقة صدقاً نسبياً، مثلاً إذا شاهدنا قاعة واسعة في مدينة فيمكن وصفها بالكبر والصغر معاً، فإذا قيست القاعة إلى قاعة أخرى، وكانت الثانية أوسع منها بمراتب، توصف القاعة الأولى بالصغر، وأما إذا قيست إلى قاعة ثانية هي أقل مساحة، فتوصف القاعة الأولى بالكبر، وما هذا إلا لأنَّ الصغر والكبر من الأوصاف النسبية.

إذا وقفت على ما نرمي إليه، فنقول: إنَّ القضايا الأخلاقية التي يتبنّاها الإسلام هي قضايا كلية مطلقة صادقة في جميع الأزمنة والامكنة، وما ذلك إلا لأنَّ الإسلام يعتمد في استنتاج القيم على محورين مطلقين عامين شاملين هما:

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٤.



١ - الفطرة الإنسانية التي تتحد في جميع الأفراد.

٢ - بلاغات الوحي ونوره الذي نزل لانقاذ البشر من الضلالة إلى الهداية، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾<sup>(٣)</sup>.

فآيات تركز على أنّ الرسول الأعظم ﷺ بُعث إلى الناس كافة، إذ أنّ الفرقان الذي هو تعبير آخر عن القرآن، نذير للعالمين، وبالتالي جاء الرسول ليخرج عامة الناس من الظلمات إلى النور، فيكون تشريعه عالمياً.

وثمة سؤال يثار وهو كيف يقال أنّ القضايا الأخلاقية قضايا مطلقة مع أنّها تعد من القيم في ظرف دون ظرف. مثلاً: الصدق حسن، ولكنه لا في كلّ زمن، فلو كان الصدق سبباً لهلاك الأبرياء فليس بحسن، بل الكذب ينقلب هناك من القبيح إلى الحسن، فهذا

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

(٢) سورة الفرقان: الآية ١.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ١.

يدل على أن القضايا الأخلاقية في الإسلام قيم نسبية لا مطلقة؟

والجواب: إنَّ الصدق حسن في جميع الأزمنة والأمكنة، غير أنه لما كان الصدق في ذلك المورد يقع ذريعة لقتل الأبرياء، فلا يميزه العقل لا لقبحه بل لأجل دفع الظلم عنهم، وأما قبح الكذب فهو باق على قبحه حتى في ذلك الظرف الحرج، ولكنه لما دار الأمر بين ارتكاب أحد القبيحين الأصغر وهو الكذب، والأكبر وهو قتل الأبرياء، فيقدم العقل، الأقل قبحاً على الأكثر منه، كما هو الحال في باب التزاحم في باب الأغراض والمقاصد حيث يقدم الأهم على المهم، أو الأقل مفسدة على الأكثر مفسدة.

والحاصل: إنَّ الصدق في هذه الظروف أيضاً حسن، كما أن الكذب فيها أيضاً قبيح، غير أن العقل لا يرخص العمل الحسن للحيلولة دون قتل الأبرياء، أو يجوز الكذب لدفع القبيح الأكبر.

٧ - القيم الأخلاقية والحرص على إجرائها إنَّ أكثر المذاهب الأخلاقية تنطوي على التزامات، وتوصي باتباعها، فمثلاً: تأمر بالصدق في الكلام، والوفاء بالمواثيق، والنهي عن الكذب إلى غير ذلك من القضايا.

ولكنها لا تخرج عن إطار الإيذاء ولكن المنبع الأخلاقي في الإسلام، يتجلى وراء كونه منهجاً منسجماً مسائراً للحياة ضامناً للسعادة في ضرورة العمل وفق تلك القضايا والوصايا، وذلك



بوضع ضمانات ووعد ووعيد في ذلك المجال.

فأغلب المناهج الأخلاقية لا تتجاوز عن كونها وصايا مجردة، لا تدعمها أي جنبه إجراء، إلا الحس الأخلاقي أو ما يعبر عنه بالوجدان، ولكنه لا يشكل دعامة قوية أمام إجراء القوانين بصورة صحيحة بل ينهار أمام التيارات النفسانية الجارفة التي تزيل كل رادع أمامها.

مما يشكل ثغرة واضحة في كيان المذاهب الأخلاقية الوضعية.

أما المذهب الأخلاقي في الإسلام فهو ليس مجرد وصايا فحسب، ولا يقتصر في مقام الإجراء على الحس الأخلاقي، بل يعتمد أيضاً على قدرة فوق الطبيعة قاهرة على كل شيء، تحاسب عمل الإنسان حقيره وخطيره، يوم تبلى السرائر وتكشف الحقائق ويتجسد عمل كل إنسان أمامه.

فهذا النوع من المنهج يعلوه الكمال حيث جمع بين العلم والإيمان، والتقنين والتنفيذ.

إلى هنا ظهر مجموع السمات التي يتمتع بها المذهب الأخلاقي في الإسلام، وإليك موجز ما سبق منها:

١ - الإنسان في النظرة الإسلامية مركب من المادة والمعنى، والبدن والروح، بل حقيقته تتقوم بالروح، والبدن ليس إلا أداة للروح.

٢ - الإنسان فاعل مختار وما يقوم به من الأعمال إنّما تعد من القيم إذا قام به عن إرادة واختيار لا عن جبر وقسر، فلو أدى ما عليه من الضرائب المالية بإجبار من الجهاز الحاكم فلا يعد عمله عملاً أخلاقياً.

٣ - المذهب الأخلاقي قائم على تعديل الغرائز علوها وسفلها، وجعل الإنسان على صراط يتمتع بكافة غرائزه لكن بتعديل خاص ويعطي حق كل غريزة.

٤ - الملاك في القضايا الأخلاقية هو تطابقها مع الفطرة و نور الوحي.

٥ - العمل الحسن إنّما يعد حسناً ومن القيم إذا اقترن بنية خالصة بعيدة عن الرياء والسمعة.

٦ - المذهب الأخلاقي في الإسلام نظام عام يسود كافة المجتمعات الإنسانية دون فرق بين من غبر ومن حضر ومن يأتي في المستقبل.

٧ - إنّ المذهب الأخلاقي ليس مجرد وصايا و بلاغات فارغة عن أي قوة تنفيذية.

## المذاهب الأخلاقية: مذهب الجمال.

نظرية الأخلاق عند أفلاطون (٤٢٧ - ٣٤٦ - ق.م) من فروع سياسة المدن، فقد انتهى هو من البحث في العدالة الاجتماعية إلى العدالة الفردية التي هي الأخلاق، والقيم عند أفلاطون تنحصر في أمور ثلاثة:

١ - العدالة.

٢ - الحسن.

٣ - الحقيقة.

ومرجع الثلاثة إلى الخير، فالذي له قيمة ذاتية هو الخير، والأمور الثلاثة تبسيط لهذا الأمر المعياري.

ثم إنه ارجع العدالة إلى الحسن<sup>(١)</sup> من غير فرق بين العدالة الاجتماعية أو الفردية، لأنها توجد التوازن المطلوب الذي هو عبارة أخرى عن الحسن، وعلى ذلك فالحسن إما محسوس كجمال الورد، أو معقول كحسن الصدق والأدب والتقوى والإيثار وغير ذلك، الذي نعبّر عنه بالخير والأخلاق الحميدة فهو من مقولة الجمال.

(١) لاحظ ص ١٤ من وجود الصلة بين الجمال وتعادل القوى.

ذهب أفلاطون إلى أنّ الأخلاق أمر واقعي، فالأخلاقي من يدرك هذه الأمور الواقعية ويكفي في التخلّق بها معرفة الخير عن الشر، فلو عرف الإنسان الخير يعمل به ومن لم يعمل فإنّما هو لجهله، فلا محيص لنا من استئصال الفساد الأخلاقي بالقضاء على الجهل ومكافحة الأمية، وعلى ذلك فرأس الفضيلة هو الحكمة والمعرفة، فكلّ فضيلة نوع من الحكمة، مثلاً الشجاعة عبارة عن معرفة ما يجب أن يخاف منه وما لا يخاف، وأنّ الفقه عبارة عن العلم بالحد الذي يجب أن يراعى به أعمال الشهوات، كما أنّ العدالة عبارة عن العلم بالأصول والضوابط التي يجب أن تراعى في تنظيم رابطة الإنسان مع أخيه الإنسان.

فإذا كانت الحكمة مبدأ للفضيلة، والمعرفة منشأ للأخلاق، فكلّ حكيم أخلاقي ولا ينفك عن الأخلاق<sup>(١)</sup>.

وحصيلة الكلام: أنّ المذهب الأخلاقي لأفلاطون مبني على أمرين:

أ - لو أنّ إنساناً وقف على الخير والشر على ما هما عليه، ففعله يكون على وفق الأخلاق دائماً ولا يخرج عن إطاره.

ب - أنّ القضايا الأخلاقية، قضايا كلية عامة شاملة لجميع الظروف والشرائط، ولذلك ليس لبني آدم إلاّ نوع من الحياة فيه

(١) ويل دورانت: تاريخ الفلسفة: ٣٤ - ٣٦.



سعادته لا أكثر.

هذه عصارة نظرية أفلاطون في الأخلاق، وقد يواخذ عليها بأمور أوضحها بأن العلم بالفضيلة أو الرذيلة لا يكفي في التخلُّق ولا في الاجتناب عن الشرِّ ما لم تدعمه التربية والتهذيب.

وبعبارة أخرى: إنَّ العلم وإن كان مؤثراً في سعادة الناس وإتقناً من الجرائم نتيجة جهل الإنسان بمضاعفاتها ونتائجها، ولكن نفس العلم لا يكفي لكبح جماح النفس، إذ ربَّ عالم قد قتله جهله، وعلمه معه لم ينفعه<sup>(١)</sup>.

فالغرائز السافلة للإنسان تدفعه إلى الحرص والثروة واللذة والشهوة التي ربَّما تعمي بصيرة الإنسان، وقد قيل: «إنارة العقل مكسوف بطوع الهوى»، وربما يكون علم الإنسان ذريعة لارتكاب جرائم أبشع. مضافاً إلى أنَّ الأصول الأخلاقية ليست رهن التعليم الكلاسيكي، بل إذا تجردت الإنسانية عن نزعاتها الشخصية والأنانية ربَّما تدرك هذه الأصول بشكل أوضح، كما بيناه فيما سبق.

(١) كلام مروى عن الإمام أمير المؤمنين.

## المذاهب الأخلاقية: مذهب الاعتدال.

ذهب المعلم الأوّل أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م) إلى أنّ كلّ إنسان يطلب بفطرته السعادة ويفرّ من الشقاء، والمراد من السعادة هو التمتع باللذائذ والابتعاد عن الآلام، دون أن يقتصر عليها بل يعم اللذات والآلام العقلائية والروحانية.

وعلى ذلك فكلّ إنسان يطلب السعادة ويرفض الشقاء، بيد أنّ تحصيل السعادة لا يتم إلاّ عبر علم الأخلاق.

يعتقد المعلم الأوّل بأنّ سبيل الوصول إلى السعادة عبارة عن التمسك بالاعتدال، ثم يمثل بالشجاعة التي هي وسط بين إفراط هو التهور، وتفريط هو الجبن، وبالكرم أو السخاء التي هي وسط بين إفراط هو التبذير وتفريط هو التقدير، والمناعة من الفضائل لوقوعها وسطاً بين التكبر والتزلزل، ويمثل أيضاً بالعفة فإنّها من فروع القوة الشهوية وتتوسط بين الخمول والشره، كما أنّ الحكمة ترجع إلى القوة العاقلة وهي حدّ وسط بين الجريزة والبلاهة، كما أنّ السخاوة حدّ وسط بين البخل والإسراف، كما أنّ التواضع حدّ وسط بين التكبر والتحقير<sup>(١)</sup> فأرسطو على خلاف أستاذه لا يقول بكفاية العلم والمعرفة في تحصيل الفضيلة، بل يعتقد بأهمية التربية في التحلّي بالأخلاق والفضائل.

(١) انظر سير حكمت در اروبا: ١ - ٣٤.



وقد أورد على مذهبه مناقشات كثيرة أظهرها:

الأولى: أنّ الفضيلة لا تدور على رحي الاعتدال في جميع الظروف والشرائط، إذ ربما لا يوجد بين السعادة والشقاء حدّ وسط، فالصدق فضيلة والكذب رذيلة دون أن يكون بينهما حدّ وسط.

فالعامل بالعهد حسن كما أنّ نقض الميثاق قبيح وليس بينهما حدّ وسط، ونظير ذلك طلب العلم، ومقابله الجهل.

حسن بمكان مهما أفرط في تحصيله، وليس الحسن هو الحدّ الوسط، وليس المراد من الإفراط في العلم ترك سائر الوظائف بل تحصيل العلم مع ما عليه من الوظائف الفردية والعائلية.

الثانية: أنّ العلم بالحدّ الوسط من بين الصفات أمر صعب المنال، لأنّ الوقوف على الحدّ الوسط فرع معرفة قوى الإنسان الروحية والجسمانية، ثمّ معرفة الحدّ الوسط منه، وهذا ليس أمراً سهلاً لكل من طلب التخلّق بالأخلاق الحسنة.

الثالثة: ربما يطرأ التزاحم بين تحقيق الاعتدال بين الصفات فلم يعط ضابطة على ضوئها يتم تقديم إحداهما على الأخرى.

ثم إن الحكيم النراقي (١١٢٨ - ١٢٠٩ هـ) يؤيد مذهب الاعتدال في كتابه «جامع السعادات» ويقرّره بصورة واضحة تستغرق صحائف كثيرة، نقبس منها ما يلي:

إنّ القوى في الإنسان أربع: قوة نظرية عقلية، وقوة وهمية خيالية، وقوة سبعة غضبية، وقوة بهيمية شهوية.

والصورة المعتدلة من اعمال هذه القوى هي الفضيلة، والانحراف عن الوسط امّا إلى طرف الإفراط أو إلى طرف التفريط، رذيلة، فيكون بازاء كلّفضيلة جنسان من الرذيلة، ولما كانت أجناس الفضائل أربعة، فتكون أجناس الرذائل ثمانية.

فالحكمة هي الحدّ المتوسط، وهي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه، وهو موقوف على اعتدال القوة العاقلة، فإذا حصلت له حدّة خارجة عن الاعتدال (كالجربزة) يخرج عن الحد اللائق ويستخرج أموراً دقيقة غير مطابقة للواقع، ويكون العلم بهذه الأمور ضد الحكمة من طرف الإفراط، وإذا حصلت له بلادة لا ينتقل إلى شيء فلا يحصل لها العلم بالحقائق وهذا هو الجهل، وهو ضده من طرف التفريط.

والشجاعة هي الصورة المعتدلة للقوة الغضبية، والتهور والجنون طرف الإفراط والتفريط.

والعفة هي الصورة المعتدلة من القوة الشهوية، والشه والخمول

في طرفي الإفراط والتفريط، فإن الشره عبارة عن الانهماك في اللذات الشهوية على ما لا يحسن شرعاً وعقلاً.

والثاني في طرف سكون النفس عن طلب ما هو ضروري للبدن<sup>(١)</sup>.

---

(١) جامع السعادات: ١- ٧٥ و ٩٩.

## مصادر الكتاب

- الكتاب: القرآن الكريم.
- الكتاب: نهج البلاغة.
- الكتاب: بحار الانوار.
- الكتاب: أصول الكافي - الكليني.
- الكتاب: الوصايا العرفانية - الإمام روح الله الخميني قدس.
- الكتاب: الآداب المعنوية للصلاة - الإمام روح الله الخميني قدس.
- الكتاب: المراقبات - العارف الميرزا جواد الملكي قدس.
- الكتاب: الوصايا العرفانية، العارف الميرزا جواد الملكي قدس.
- الكتاب: الوصايا العرفانية، العارف الشيخ بهجت قدس.
- الكتاب: محاضرة للشباب المسلم - الشيخ بهجت قدس.
- الكتاب: مواعظ وحكم شيخ العارفين - الشيخ بهجت قدس.
- الكتاب: تفسير الميزان - العلامة السيد الطباطبائي قدس.
- الكتاب: ردود وتفسير - العلامة السيد الطباطبائي قدس.
- الكتاب: رسائل قيصري، رسالة في التوحيد والنبوة والولاية.
- الكتاب: رسالة العرفان - السيد جواد الأملي.
- الكتاب: على حافة العالم الأثيري - د. جيمس آرثر فند لاي.
- الكتاب: جامع الأسرار ومنبع الأنوار - حيدر الأملي.
- الكتاب: محاضرات وتعليقاً العلامة محمد تقي المصباح اليزدي - على كلام المجلسي.
- الكتاب: أضواء حول الحياة بعد الحياة - ريمون مودي.

- الكتاب: التوحيد - الشيخ الصدوق.
- الكتاب: وسال الشيعة - الحر العاملي .
- الكتاب: سفينة البحار.
- الكتاب: السيرة الحلبية، لابن هشام.
- الكتاب: دعاء كميل.
- الكتاب: الصحيفة السجادية.
- الكتاب: تاريخ دمشق - ابن عساكر.
- الكتاب: الوافي.
- كتاب: الحدائق النضرة.
- الكتاب: الإنحراف والخروج - صفي الدين.
- الكتاب: ومضات عرفانية - عبد الرحمن جامي .
- الكتاب: جامع الأخبار.
- الكتاب: المطالب العالية من العلم الإلهي - الفخر الرازي.
- الكتاب: تفسير نور الثقلين - الحويزي.
- الكتاب: كنز الفوائد.
- الكتاب: أمالي المرتضى - الشريف المرتضى.
- الكتاب: كتابات عرفانية - الشيخ عباس أمين حرب العاملي.
- الكتاب: أجوبة المسائل المهنية - العلامة الحلي.
- الكتاب: تاريخ الفلسفة - ويل دورانت.
- الكتاب: فلسفة كانت.
- الكتاب: سير حكمت در اروبا.
- الكتاب: لسان العرب - لابن منظور.

- الكتاب: توحيد المفضل.
- الكتاب: ثواب الأعمال.
- الكتاب: جامع السعادات.
- الكتاب: موسوعة الفلسفة عبد الرحمن بدوي.
- الكتاب: تاريخ فلسفة اليونان والروم، فردريك كابليستون.
- الكتاب: الموسوعة الفلسفية - عبد المنعم الحفني.
- الكتاب: العمدة في فلسفة القيم.
- الكتاب: تاريخ الفلسفة اليونانية - يوسف كرم.
- الكتاب: مستدرک الوسائل.
- الكتاب: دعائم الإسلام.
- الكتاب: الأخلاق النظرية - عبد الرحمان البدوي.
- الكتاب: الحكم الفريدة - للفيلسوف الألماني كانت.
- الكتاب: تمدن إسلام وعرب.
- الكتاب: فلسفة كانت.
- الكتاب: البيان - السيد الخوئي.
- الكتاب: وحي محمدي - رشيد رضا ترجمة خليلي.
- الكتاب: مجمع البيان - الطبرسي.
- الكتاب: منار الإسلام - الشيخ محمد عبده.
- الكتاب: فضائل الصحابة.
- الكتاب: ينابيع المودة.
- الكتاب: فقه الإمام الصادق عليه السلام - الشيخ محمد جواد مغنية.

# الفهرس

٥	مقدمة .....
١١	الفصل الأول .....
١٣	الشباب وعلم العرفان والقراءات الروحية والغيبية ..
٢٥	حقائق مهمة عن عالم الغيب وقضايا الروح .....
٥٥	ظهور المعاني العينية والحقائق الغيبية .....
٦٢	الشريعة مقدمة على الحقيقة: .....
٦٥	تحليل دوافع النزوع الروحي عند الشباب .....
٧٩	حقائق لا بد أن يعيها الشباب في سيرهم التكاملي ..
١٠٣	الشباب وعالم الأحلام والرؤى .....
١٦٤	الخاتمة: كلمة أخوية إلى جيل الشباب .....
١٦٩	الفصل الثاني .....
١٧١	برامج للسالكين على درب العرفان .....
١٧١	البرنامج الأول: منهاج السالكين .....
١٧٣	الرسالة الجوابية للعارف الميرزا جواد الملكي .....
١٧٧	الطبائبي وتفسير الرسالة .....



- البرنامج الثاني: ذكر اليونسية ..... ١٧٨
- البرنامج الثالث: شرائط التدبير في القرآن ..... ١٨١
- البرنامج الرابع: كيفية التذلل لله ..... ١٨٧
- البرنامج الخامس: المشاركة والمراقبة والمحاسبة ..... ١٩٠
- البرنامج السادس: رؤية المعصوم في عالم المنام ..... ١٩٣
- البرنامج السابع: كيفية التوبة ..... ١٩٤
- الفصل الثالث ..... ١٩٧
- مقتطفات من مواعظ العارف الميرزا جواد الملكي ... ١٩٩
- أثر القلب على أعمال الانسان ..... ١٩٩
- موعظة بليغة ..... ٢٠١
- معنى العبادة عند الخواص ..... ٢٠٥
- عبادة العارفين ..... ٢٠٧
- إصلاح الباطن ..... ٢١٠
- خصوصية كل معصوم في قضاء الحوائج ..... ٢١١
- من شروط استجابة الدعاء الاتصاف بصفات الدعاء ... ٢١٣
- استكمال شرائط الدعاء ..... ٢١٥
- مناجاة صاحب الزمان ..... ٢١٦
- الخوف والرجاء ..... ٢٢١
- علاج الخوف ..... ٢٢٤
- إنصائح وتنبيهات ..... ٢٣٠
- الفصل الرابع ..... ٢٤١



٢٤٣	مقتطفات من مواعظ العارف الشيخ محمد تقي بهجت.....
٢٤٣	الوصية الأولى.....
٢٤٩	الوصية الثانية.....
٢٥٥	الوصية الثالثة.....
٢٥٧	الوصية الرابعة.....
٢٥٨	الموعظة الخامسة.....
٢٥٩	الموعظة السادسة.....
٢٦٠	الموعظة السابعة.....
٢٦٣	الموعظة الثامنة.....
٢٦٤	الموعظة التاسعة.....
٢٦٤	الموعظة العاشرة.....
٢٦٦	الموعظة الحادية عشر.....
٢٦٧	الموعظة الثانية عشر.....
٢٦٩	الموعظة الثالثة عشر.....
٢٧٣	علاج العشق المجازي.....
٢٧٤	الصلاة والواجبات.....
٢٧٥	معرفة الله وأوليائه.....
٢٧٦	علاج بعض الرذائل.....
٢٧٦	طريق التقوى.....
٢٧٧	الأخلاق وتهذيب النفس.....
٢٧٨	نفي الخواطر.....

٢٧٨	.....	الزهد
٢٧٨	.....	الذكر العملي
٢٧٩	.....	علاج الغرور
٢٧٩	.....	داء الوسواس
٢٧٩	.....	علاج الفتور ونقض العزم
٢٨٠	.....	السلوك إلى الله
٢٨١	.....	الفصل السادس
٢٨٣	.....	رسالة في فلسفة الأخلاق والمذاهب الأخلاقية
٢٨٤	.....	ما هي فلسفة الأخلاق؟
٢٨٦	.....	المذاهب الأخلاقية
٣٠٧	.....	المذاهب الأخلاقية: مذهب الجمال
٣١٠	.....	المذاهب الأخلاقية: مذهب الاعتدال
٣١٣	.....	المذاهب الأخلاقية: مذهب اللذة
٣١٧	.....	الفهرس